وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الحياة الفكرية في بلاد الشام في القرن 12هـ/18م من خلال أبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد:
حورية عباس
وئام منصورين

إشراف :
أ/لطيفة حمصي

السنة الجامعية:1436-1437هـ /2015-2016م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

الحياة الفكرية في بلاد الشام القرن 12هـ/18م من خلال كتاب أبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»

مذكّرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر

الأستاذ	الجامعة	الصفة
نواصر عبد الرحمان	المدية	رئيسا
طرشون نادية	المدية	مناقشا
لطيفة حمصي	المدية	مشرفا (مقررا)

إعداد:
حورية عباس
وئام منصورين

إشراف :
أ/لطيفة حمصي

السنة الجامعية:1436-1437هـ /2015-2016م

-كلمة شكر وعرفان-

قال تعالى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

شكرا لله تبارك وتعالى وحمدا كثيرا له على ما منحنا ويمنح كلّ لحظة وبعد الهداية.

شكرا للأستاذة المشرفة التي شرفتنا بتعهدها بحثنا مُذ كان فكرة إلى أنّ أصبح مذكرة.

شكرا للأساتذة الأفاضل فردا فردا الذين كونوا مسارنا العلمي ومهدوا أمامنا سبل النجاح،

فللجميع منا جزيل الشكر وفائق الامتنان ومن الله عظيم الأجر وثواب الجزاء.

-آميـــــن-.

-إهـــــداء-

أول شخصين يجب أن أهدي لهما هذا العمل هما والدي اللذان دعماني طوال مشواري الدّراسي ولم يبخلا علي أبدا بدعمهما المعنوي قبل المادي حتى وصولي إلى ما أنا عليه اليوم والحمد لله كثيرا.

إلى من شدّ على يدي لأواصل الطريق **"زوجي"** وأحاطني بالرعاية والتفهم والتعاون طوال خمس سنوات من الدراسة والتعب.

إلى قرة عيني ونجواي أبنـائي **"بسمة"** و**"عبد الرحمن"**.

إلى إخوتي: **"هبة"**، **"محمد"**، **"عبير"**، **"نور الدين"**، وإلى صهرنا زوج أختي.

إلى صديقاتي العزيزات وأخص بالذكر رفيقتي في هذا العمل **"حورية عباس"**التي قدرت دائما ظروفي العائلية على الرغم من ظروفها الصعبة بسبب طبيعة رسالتها النبيلة التي تقتضي تواجدها صباحا مساء بالمؤسسة التعليمية.

شكر خاص إلى**"مريم"** التي تعبت معنا منذ بدأنا في كتابة مذكرتنا برغم كل انشغالاتها.

وإلى **"مدينة"**، **"وهيبة"** متمنية لهما التوفيق والسداد.

وئام

- إهـداء -

إلى من دفع بخطواتي إلى الأمام كي تجد طريقها وتصنعهُ

إلى من وقف خلفي لحظة تعبي وضعفي

إلى من آمن بي وبأحلامي

لكل هؤلاء أهدي جهدي

اعتـرافا وحبـه

حورية

مقدمة

ركزَت الدراسات التاريخية في بحثها عن الحياة الفكرية في تاريخ الولايات العربية خلال العهد العثماني عامة والحياة الفكرية في بلاد الشام خاصة على القرن **13هـ/ 19م**؛لما لهذه الفترة من عوامل مثلت بوادر عصر النهضة العربية أو عصر التنوير العربي، إذ أثرت بشكل واضح في تفعيل الحياة الثقافية في المجتمع الدمشقي العربي.

في المقابل جاءت الدراسات التاريخية عن الحياة الفكرية في القرن **12هـ/ 18م**قليلة، حيث اتهمته بالركود والجمود، وبالرغم من أن **أكمل الدين إحسان أوغلي** يطلق على هذه الفترة "المرحلة الانتقالية"من خلال مؤلفه الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، حيث ظهرت في ثناياها ملامح تغيرات هامة في مجرى الحياة الفكرية سواء كان ذلك في الدولة العثمانية أم في الولايات العربية، منطلقا من عدّة اعتبارات أهمها بداية حركة إصلاح على النمط الأوروبي، سيما الميدان الحربي والتي تبّنتها الدولة العثمانية لتتغلب على الضعف الذي اعتراها، وخروج الفكر الإسلامي من تقليديته التي عاشها خلال المرحلة السابقة بظهور دعوة إسلامية قوية تمثلت في الحركة الوهابية التي كانت بوادرها بمنطقة نجد وشبه الجزيرة العربية، حيث عملت على حماية الإسلام من البدع التي ألحقت به وإعادته إلى أصالته، إضافة إلى حملة نابليون على مصر وأثرها في الفكر العربي المصري بصفة خاصة والعربي والعثماني بصفة عامة.

وبالعودة إلى بلاد الشام؛ فإن الاستقرار السياسي ذو الطابع المحلي الذي عرفته في ظل ضعف الدولة العثمانية، جعل الحياة الفكرية أكثر تحررا في المنطقة، فتعدّدت المؤلفات وكثر المؤلفون في ذلك العصر ولعل من أهمهم **أبي الفضل محمد خليل بن علي المرادي** بمؤلفه **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** والذي سنحاول من خلاله الوقوف على أهم المعالم الكبرى ال تي مثلت الجانب الفكري في كيفية انسجامها مع معطيات ذلك العصر واتفاقها مع قيمه الاجتماعية والفكرية، لذلك جاء موضوعنا الموسوم بـ: **الحياة الفكرية في بلادالشام خلال القرن12هـ / 18م كتاب المرادي نموذجا** مركزا على بلاد الشام، حيث انطلقنا من دمشق مركزها للوقوف عند تفاصيل الحياة الفكرية.

دوافع اختيار الموضوع:

•-الوصول إلى أنّ الجو الفكري في بلاد الشام خلال القرن **12هـ / 18م**كان متناسبا وقيم المجتمع الدمشقي العربي آنذاك، عكس ما قيل عنه أنّه عصر جمود وخمول.

•- تسليط الضوء على الجانب الفكري في الشام أثناء الفترة المدروسة من خلال كتاب **المرادي** **سلك الدرر** لمعرفة صورة الملمح الثقافي في ذلك العصر.

•- التعرف على أهم علماء تلك الفترة التي فعّلت الحياة الفكرية في الشام بمختلف مدارسها وتأليفها، ووظائفها والمهام المنوطة بها.

- أهمية الموضوع:

تكمن أهمية موضوعنا في إبراز دور الفكر والعلم في تنوير الحياة ببلاد الشام، ودور العلماء باعتبارهم المؤسسة الدينية التي أسهمت في توجيه مسار الفكر العربي بالمجتمع خلال الفترة المدروسة.

- الإشكالية:

من هذا المنطلق استوجب علينا في موضوع دراستنا الإحاطة به من جميع جوانبه، لذلك جاء طرح إشكاليته على النحو التالي:

-كيف أسهم العلماء في تفعيل المشهد الثقافي في بلاد الشام خلال القرن **12هـ / 18م** ؟

ولأن طبيعة الموضوع تتشعب إلى عدّة جوانب، راعينا في ذلك هذه الجزئية من خلال البحث فيها قصد تغطيتها، لذلك تفرعت جملة من التساؤلات للإحاطة به أهمها:

•- ما هي أهم الوظائف التي شغلها العلماء في ذلك العصر؟ وكيف تمكنوا انطلاقا من هذه الوظائفمن أن يحركوا الجانب الثقافي؟

•-ما طبيعة التعليم في بلاد الشام؟ وما هي مناهجه المتبعة وتقسيماته ومواده المدرَسة؟ ثم ما مدى إسهام المدارس باختلاف مذاهبها الفقهية في تحريك المشهد الثقافي والفكري خلال القرن**12هـ / 18م؟**

•- فيما تكمن نوعية الإنتاج الفكري الذي أَلَفه العلماء في تلك الفترة؟ وكيف أسهم هذا الإبداع الإنتاج في رسم ملامح الفكر العربي في بلاد الشام خلال الفترة المدروسة؟

-الدراسات السابقة:

لم نجد كتابا مستقلا يتناول الحياة الفكرية في المجتمع الدمشقي بشكل دقيق خلال القرن **12هـ/18م** –حسب اطلاعنا-ويستوعب كل جزئياتها وتفاصيلها، إلاّ إذا استثنينا بعض المراجع والمذكرات الجامعية التي تناولت جوانب منها ، **حيث** نذكر على سبيل المثال مذكرة ماجستير لفتيحة علواش الموسومة بـ: **الحياة الفكرية في مصر والشام خلال الفترة العثمانية في الربع الأول من القرن 10هـ/16م إلى منتصف القرن 13هـ/19م**، كما عثرنا على مؤلف لليلى الصباغ المعنون بـ: **من أعلام الفكر العربي العثماني الأول " محمد أمين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"**، لكنه خصّ الحديث عن القرن الحادي عشر هجري/ السابع عشر ميلادي، ورغم ذلك فلقد كانت استفادتنا منه في كيفية معالجتها للموضوع بحدّ ذاته.

- المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدنا المنهج المسحي الإحصائي الذي تتبعنا من خلاله أعيان القرن **12هـ/18م** في مؤلف **المرادي**، لنقف عند إحصائيات مكنَتنا من رصد حالة الحياة الفكرية بإتباع مسار هؤلاء العلماء انطلاقا من الوقوف عند تفاصيل حياتهم والأساتذة الذين تتلمذوا على أيديهم، ثمالوظائف التي تقلدوها مرورا بإنتاجهم العلمي الذي تركوهكما ستوضحه هذه الدراسة.

- خطة الدراسة:

إنّ طبيعة الموضوع تستلزم منا اتباع خطة بنَينا عليها دراستنا، حيث جاءت على النحو التالي:

مدخل المعنون بـ: **أوضاع بلاد الشام خلال القرن 12هـ/18م**للإحاطة بالجوانب السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في دمشق خلال هذه المرحلة، حيث تطرقنا في **الأوضاع السياسية** لأهم ولاة دمشق من أسرة "آل العظم" التي ساعدت على تواجدهم بالمنطقة مجموعة من العوامل كان من بينها علاقتهم بالسلاطين العثمانيين، وتتبعنا أهم أعمال أبرز هؤلاء الولاة في فترة حكمهم، وختمنا ذلك باستنتاج لهذه الجزئية، أما بالنسبة **للأوضاع الإدارية** ، فقد عرضنا فيها التقسيمات الإدارية التي شهدتها الشام خلال القرن **12هـ/18م**، وسعي الدولة العثمانية في التحكم بالمنطقة بفعل هذه التقسيمات ثم تعرضنا إلى **الجانب الاجتماعي**، حيث ذكرنا فيه عوامل الزيادة التي عرفتها

المنطقة، وأهم الشرائح المختلفة التي تكوّن منها المجتمع الدمشقي والتي قامت على أساس فروق مادية محضة.

وفيما يخص **الأوضاع الاقتصادية**، فقد حاولنا الوقوف على جملة من الأسباب التي أدّت إلى ازدهار هذا الجانب، كما استعرضنا أهم القطاعات التي شكلت الاقتصاد الشامي، والمتمثلة في الزراعةوالصناعة والتجارة، ووقفنا في آخر المدخل على **الأوضاع الثقافية** التي حاولنا من خلالها تقديم صورة وصفية عن الأفكار والمعارف التي سادت ذلك العصر، ثمّ ذكرنا نوع المؤلفات التي غلب عليها الطابع الصوفي وأبرز روادها ممن مثّلهذا النوع من الإنتاج الفكري.

وحاولنا في **المبحث الأول** : الموسوم بـ **العلماء** إبراز مكانتهم وذكر مختلف الوظائف التي تقلدوها كالقضاء والإفتاء و التدريس ونحو ذلك من الوظائف الدينية والخطط الشرعية، ثم انتقلنا إلى نوع العلاقة التي ربطت العلماء بالسلطة الحاكمة لما لهذه الفئة من نفوذ بين أوساط المجتمع الدمشقي، كما عرجنا بالحديث لمختلف الطرق الصوفية وأهم المتصوفة الذين انتموا إليها، ومدى إسهامهم في تفعيل المجال الفكري.

وكان **المبحث الثاني**: المعنون بـ**المؤسسات التعليمية** عرضا لمختلف المدارس وأقسامها بحسب ترتيب المذاهب الأربعة (الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية)،أين ركزنا على أهم مراكز العلم التي استقطبت العلماء والطلبة خلال الفترة المعنية بالدراسة **12هـ/18م** لتزودنا بالمعارف والعلوم المختلفة، ثم تحدثنا عن الإجازات والدرجات العلمية التي تحصل عليها الطلاب والعلماء، ومدى أهمية الإجازة في ترقية الطبقة المثقفة والارتقاء من خلالها بالمكانة الاجتماعية.

أما **المبحث الثالث :الانتاج الفكري** فأردنا من خلاله أن نعرض مؤلفات هؤلاء العلماء خلال هذا القرن من علوم دينية، وأخرى لغوية أدبية ودنيوية، لنقف في الأخير على نوعية التيار الفكري الذي ساد خلال هذه الفترة.

وجاءت **الخاتمة** تلخيصا لأهم ما توصلنا إليه من استنتاجات مع ذكر فوائد هذه الدراسة التي ستفتح المجال أمام دراسات لاحقة في المستقبل.

– المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة:

أ– المصادر:

•- المرادي الفضل محمد خليل المرادي، **سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر** بأجزائه الأربعة؛ لأن دراستنا تعتمد على هذا المؤلف- دراسة في كتاب- الذي اعتبرناه الأرضية التي انطلقنا منها للخوض في الموضوع خاصة وأن هذه مؤلف **المرادي** يعدّ من بين أهم المصادر التي أرخت للفترة المدروسة.

•-المرادي، **عرف البشام فيمن وليَ فتوى دمشق والشام** ، تح: محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد، كذلك يعدّ هذا المؤلف من المصادر المهمة؛ إذ يزودنا بأهم العلماء الذين تولوا وظائف الإفتاء في دمشق خلال القرن **12ه/18م**.

•- كرد علي أحمد، **خطط الشام**، ج **2**، **4**، **6**، من المؤلفات التي أفادتنا في الدراسة، خاصة الجزء**6** الذي مكنّنا من الوقوف على أهم المؤسسات العلمية التي كانت منتشرة في بلاد الشام، ناهيك عن مؤلف النعيمي المعنون بـ **الدارس في المدارس** بجزءيه، حيث تعرفنا من خلالهما على أبرز المدارس التي وجدت في دمشق.

•-الحلاق أحمد البديري ، **حوادث دمشق اليومية (1154-1175ه/1741-1762م)**، نقحهاالشيخ محمد سعيد القاسمي، تح: أحمد عزت عبد الكريم،ط1، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،القاهرة، **1959** م.

ب- المراجع:

•- أوغلي أكمل الدين إحسان، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج2**ترجمة صالحسعداوي، يقعالكتاب في مجلدين، شارك في إعداده نخبة من الأتراك المتخصصين في التاريخوالأدب العثماني،ويعدّ مرجعا أساسيا لكلّ من يرغب في الإلمام بالتاريخ الحضاري للدولةالعثمانية بشكل عام، حيث توسع الفكر والتعليم.

•- شليشر ليندا، **دمشق في القرنيين 18-19م**،ترجمه كلّ من عمر الملاح ودنيا الملاح، حيث شملت هذه الدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها والتي كانت تعيشها دمشق في تلك الفترة.

•- نعيسة يوسف جميل، **مجتمع مدينة دمشق (1186- 1256ه/ 1772 – 1840م)**، ج2

خاصة الذي تناول بالتحليل والدراسة جانبا من الحياة الفكرية ووقفعند أهم المعالم الثقافية التي شكلت الفكر في القرن **12هـ/18م** .

صعوبات الدراسة

تكمن صعوبة الموضوع الذي تناولناه في ضيق الوقت الممنوح لإنجازه، إذ من غير المعقول دراسة أربعة أجزاء كاملة **للمرادي** في مدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر، هذا مما جعلنا لا نغوص أكثر في البحث والدراسة. ناهيك عن قلة خبرتنا في معالجة مواضيع من خلال مؤلفات حتى نستطيع أن نوفيّ الدراسة حقها في البحث والتحليل.

مدخل : بلاد الشام في القرن 12هـ/18م

أوضاع بلاد الشام: *

1 –الأوضاع السياسية والإدارية.

2 – الأوضاع الاقتصادية.

3– الأوضاع الاجتماعية.

4– الأوضاع الثقافية.

*** أوضاع بلاد الشام خلال القرن 12 هـ– 18م**

1– الأوضاع السياسية والإدارية

أ– الأوضاع السياسية:

اعتمدت الدولة العثمانية في القرن **12هـ/18م** لتوطيد حكمها في بلاد الشام على قاعدة محلية كانت **أسرة آل العظم**[1] أحد دعائمها، فسطع نجمها خلال هذه الفترة بفعل عوامل مكنتها من الظهور كان أهمها، تمكّن الجدّ الأعلى لآل العظم **ابراهيم** من تولي موقع عسكري في منطقة المعرة على التخوم الشمالية لولاية دمشق، حيث فتح المجال أمامهم لإبراز مكانتهم وتوسيع نفوذهم بالبلاد[2] وأضحوا يمثلون قيادة ملكية بيت المال في دمشق [3]. كما سعت الدولة العثمانية في ظل الضغوطات الخارجية والضغوطات الداخلية من إيجاد ولاة موثوقين، توطد من خلالها الاستقرار والأمن في بلاد الشام من جهة، وضمان سلامة طريق قافلة الحج من جهة أخرى باعتبارها مورد اقتصادي هام[4].

لقد تداول على حكم دمشق في القرن **12هـ/18م** عدّة ولاة من أسرة آل العظم أهمهم**إبراهيم باشا العظم** (**1130– 1132هـ/ 1717–1720م**) الذي يعدّ أول من حكم المنطقة، اشترك في حرب قامت بين أهل الشام وبعض عشائر التركمان الذين كانوا يفدون إليها شتاء [5]. أما **إسماعيل باشا العظم** (**1137– 1143هـ/ 1724–1730م**) فهو المؤسس الحقيقي لنظام الحكم المحلي في دمشق الشام والذي أصبح وراثيا في هذه الأسرة[6]، حيث استطاع أن يقضي على الاضطرابات التي وقعت أثناء باشوية **عثمان باشا** (**1133–1137هـ/1721هـ/1724م**) بين

---

[1]- *اختلف* المؤرخون في أصلهم،فمن قائل إنهم أتراك من قونية، ومن قائل إنهم عرب من معرة النعمان بقرب حلب. وسواء أكانوا تركا أم عربا فقد أقام أكثرهم في بلاد الشام. انظر : أحمد البديري الحلاق ، **حوادث دمشق اليومية (1154-1175ه/1741-1762م)**، نقحها الشيخ محمد سعيد القاسمي، تح : أحمد عزت عبد الكريم،ط1، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، 1959 م، ص 32.

[2]- ليندا شيلشر ،**دمشق في القرنين 18 – 19م**، تر: عمر الملاح، دنيا الملاح، ط 1، دار الجمهورية، سوريا، 1998م، ص ص 41-42.

[3] -Abdul karim Rafeq, The poor in Ottoman Damascus a socio economic and political study ;by: jean-paul pascual ،Poverty and wealth in the muslim mediterranean world , Maisonneuve a larousse ,Fance, sd

[4]- شلشير ،المرجع السابق، ص ص 41-42.

[5]- الحلاق، المصدر السابق، ص 32.

[6]- جميل سيار ، **تكوين العرب الحديث** ، ط1، دار الشروق، عمان، 1997 م، ص 259 .

القابيقول[1] واليارلية[2] وأعاد الاستقرار إلى المدينة [3] وعمد تأمين قافلة الحج الشامية من اعتداءات البدو[4]، كما اهتم أيضا ببناء المدارس وبالعلماء ودعم الطرق الصوفية، ودانت له ولاية الشام عام **1138هـ/ 1725م** لكن عزل وتوفي في جزيرة كريت عام **1143هـ/1730م**[5].

برز أيضا **سليمان باشا العظم** (**1146– 1155هـ/ 1733–1742م**) الذي"كان حاكما عادلا صاحب خيرات"، وأهم عمل قام به تشيكل ديوان أعضاؤه من أعيان دمشق ترأسه **علي المرادي**[6]، كما اهتم كثيرا بالزراعة[7]واحترم العلماء وتودد إليهم وعمل جاهدا لاسترضاء الفقراء تجنبا تجنبا لحدوث أي ثورة [8]. ومن أشهر ولاة العظم **أسعد باشا العظم** (**1156–1171هـ/1743–1757م**)، ولي أمور حماة وعرف بتجاوزاته المتعسفة مما جعله يدخل في صراع مع فئة الأشراف [9]، لكنه تمكن من احتواء الوضع في **1159هـ/1746م**ودانت له الشام عشر سنوات بعدها في هدوء وسلام[10]. تم عزل عن دمشق في **1171هـ/1757م**[11]، ومن ثم عُين واليا على حلب التي كانت مقدمة لعزله نهائيا ومصادرة أملاكه[12].

---

[1]- القابيقول: لفظ مركب، **قابي** بمعنى الباب و **قولي** بمعنى عبد، أي عبيد الباب . للمزيد انظر: صابان سهيل ، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م،ص 172.

[2]- **اليارلية:** عبارة عن مجموعة من الفرسان من أبناء الشام، وفي التركية yer والتي تعني محلي، أي أنها تعني عسكر محلي. انظر، عبد الله حنا، **حركات العامة الدمشقية في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر**، ط 1، دار ابن خلدون، بيروت، 1985 م، ص 141 .

[3]- حنا، الرجع السابق، ص 141.

[4]- إسماعيل أحمد ياغي، **العالم العربي المعاصر في التاريخ الحديث** ، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997 م، ص 104 .

[5]- شليشر، المرجع السابق، ص 44.

[6]- الحلاق، المصدر السابق، ص ص 18- 30.

[7]- نوفان رجا السوارية، **من استثمارات سليمان باشا العظم الزراعية في بعض مناطق بلاد الشام في ضوء مصورات الوثائق العثمانية (1145هـ/1732م-1154هـ/1741م) دراسة توثيقية**، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار ، مج4، العدد 4، 2010م، ص ص40-41.

[8]- حنا، المرجع السابق، ص 145.

[9]- واجه **أسعد باشا** السيد **فتحي الفلاقنسي** الذي شغل منصب الدفتر دار ولما كان من فئة الأشراف استطاع حشد أتباع كثر من أهل دمشق. للمزيد انظر: شليشر، المرجع السابق، ص 45.

[10]- عمر عبد العزيز عمر، **تاريخ المشرق العربي 1516 -1922 م**، دار النهضة العربية، بيروت،د ت، ص 161.

[11]- أندري ريمون، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، تر: لطيف فرج، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1991، ص 29.

[12]- حنا، المرجع السابق، ص 151

أما **محمد باشا العظم** (**1187–1189هـ/1773–1783م**) ظلت في عهده دمشق تتمتع بالرخاء، ولم يواجه حكمه أية معارضة من سكان المدينة[1]. وقد قال عنه **خليل المرادي** أنه أفضل الحكام في القرن **12هـ/18م** وسادت"مواسم أفراح"[2] طيلة فترة حكمه التي دامت **10** سنوات[3].

وعليه فإنّ أسرة آل العظم استطاعت أنّ تفرض سيطرتها على بلاد الشام والأقاليم العربية خلال النصف الأول من القرن **12هـ/18م**، ممثلة بولاتها بدءً من جدهم الأعلى إلى من جاء بعده من أفراد هذه الأسرة التي خدمت الدولة العثمانية على مر **ستين** عاما، إذ تمكنت من فرض هيبة السلاطين العثمانيين في المنطقة، ووفرت الاستقرار والسلامة لقافلة الحج الشامي، وفي المقابل لم تبخل الدولة العثمانية عليهم بمنحها الامتيازات الواسعة التي توارثتها الأسرة بمرور الوقت. وبهذا تمتعت دمشق بالاستقرار النسبي بفعل آل العظم[4].

خلال العقود الأخيرة من القرن **12 هـ/ 18م** فقد آل العظم مكانتهم فانتهى حكمهم عام **1201هـ/1786م**[5]، هذا ما أدى إلى عودة الاضطرابات وانتشار حركة التمرد والثورة داخل الولايات العثمانية في بلاد الشام وكانت النتيجة أن فقدت الحكومة المركزية سلطتها على الأقاليم التابعة لها، وما زاد الأمر سوءاً هو استعانة زعماء التمردات بقوى أجنبية[6].

إنّ أبرز التحديات التي عرفها الباب العالي هي حركة **ضاهر العمر**[7] في فلسطين (**1163–1189هـ/1750-1775م**) الذي رفض الحالة التي وصلت إليها بلاده وهي تحت الحكم العثماني من تشتت وانقسام فأراد أن يجمع البلاد في بناء واحد. فأعلن الثورة عليها وطلب المساعدة من

---

[1]- شليشر، المرجع السابق، ص 47.

[2]- أبي الفضل محمد خليل المرادي ، **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر**، ج 4، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 97 وما بعدها.

[3]- سيار، المرجع السابق، ص 262. هناك ولاة آخرون من أسرة آل العظم تولوا حكم دمشق مثل: **إبراهيم باشا العظم (1786/ 1790م)** و**عبد الرحيم بك العظم** حاكم حمص سنة **1775**م و **خليل باشا** والي طرابلس سنة **1796**م، كذلك **نصوح باشا** للمزيد . للمزيد انظر: الحلاق، المصدر السابق، ص 39.

[4]- رأفت الشيخ، **تاريخ العرب الحديث** ، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1994م، ص ص 55 – 56.

[5]- نفسه، ص 58.

[6]- غانية بعيو، **التنظيمات العثمانية وأثرها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839 / 1876م** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث(مرقونة)، جامعة الجزائر، 2008 - 2009 م، ص 24 .

[7]- ينتمي إلى الزيدانية، جد زيدان الذي نسب إلى أشراف بني زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رحل مع أسرته إلى بلاد الشام في أواخر القرن **11هـ/17 م** ومن إنجازاته: - توسيع ممتلكاته التي منحها أمير لبنان **الشهابي** لولده بدءً من صيدا سنة **1733م** التي أصبحت مركزا استراتيجيا لعملياته العسكرية - اتخاذ ميناء عكة مقرا له. انظر: سيار، المرجع السابق، ص 268.- تشجيع الزراعة كالقمح والقطن والتوت - تشريط التجارة كما أقام علاقات ودية مع التجار الفرنسيين. ووفق إلى توطيد الأمن في الأقاليم. للمزيد انظر: محمد عبد الله عودة، **تاريخ العرب الحديث**، دط، الأهلية، الأردن، 1989م، ص 42 .

الأسطول الروسي المتواجد بالبحر المتوسط الذي أراد أن يحدث الفوضى داخل الدولة العثمانية وطعنها من الخلف [1] لكن الدولة العثمانية أرسلت قوة كبيرة لمقاتلته فحاصرته برا وبحرا وقتل في الأخير بعد أن عمرت دولته مدة تزيد عن ربع قرن، واعتبر خارج عن الخلافة لاستعانته بأكبر أعداء العثمانيين[2].

إلى جانب ذلك تمرد **أحمد باشا الجزار** (**1189–1219هـ/1755–1804م**)[3] الذي صد **حملة نابليون** التي حاصرت مدينة عكا مستعينا بالأسطول الإنجليزي بقيادة **سدني سميث**[4]، فارتفعت مكانته عند الدولة العثمانية وظل يحكم المنطقة حتى سنة **1219هـ/ 1804م**، لكن وبعد حكمه لفلسطين مدة **30**عاما وتقلده ولاية دمشق ثلاث مرات [5]عُزل عام **1218هـ/ 1803م** بسبب ثورة قامت بينه وبين سكان دمشق[6].

وعليه إنّ تمرد كل من **ضاهر العمر** و**أحمد باشا الجزار** خلال القرن **12**هـ/**18**م جاء نتيجة ظروف داخلية وأخرى خارجية، إذ لا يمكن اعتبار هذه النزعات المحلية بمثابة انفصال عن الدولة العثمانية واستقلال عنها [7]، بالرغم من تمتع هؤلاء الزعماء بالسلطة الكاملة في ولاياتهم، وتوفر الإمكانات المادية والعسكرية. ويعود سبب ذلك اعتار السلطان العثماني مهما بلغ ضعفه السياسي والعسكري "الزعيم الروحي للمسلمين" وأي خروج من شأنه أن يؤلب الرأي العام الإسلامي ضد الثائر. إضافة إلى ذلك الانفصال عن الباب العالي سيجعل المنفصل لقمة سائغة لأطماع القوى الخارجية[8]، بالإضافة إلى عجزَ العثمانيين عن إيقاف **الجزار** في مساعيه الرامية للسيطرة على المنطقة، المنطقة، إذ لم يكن هناك شخص يضاهيه في الدفاع عن دمشق وحكم دمشق وإمارة الحج[9].

---

[1]- ياغي، المرجع السابق، ص 123 .

[2]- جميل بيضون، **تاريخ العرب الحديث**، ط 1، دار الأمل، الأردن، 1992 م، ص 70 .

[3]- الذي ظهر في مصر وقدم إليها في عهد الأمير **علي المصري**، ثم فر إلى لبنان سنة **1184هـ/1770م** لما ارتكب الموبقات بالبلد مما حمل الحكومة على تعقبه. أقام ببيروت بأمر الأمير **يوسف شهاب**الذي عينه حاكما على بيروت وعندما قوي أمره خرج ع ليه وحاول أن يستقل عنه.كما قضى. للمزيد انظر: مسعد، المرجع السابق، ص 47 وعبد العزيزعمر، المرجع السابق، ص 182 وبيضون، المرجع السابق، ص 87 وما بعدها.

[4]- سيار، المرجع السابق، ص 275 .

[5]- نفسه، ص 49 .

[6]- تيسير جبارة، **تاريخ الدولة العثمانية 1924/1280 م**، ط 1، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2015م، ص 188 .

[7]- عبودة، المرجع السابق، ص 189 .

[8]- الغالي غربي ، **دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1916/1288م**، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 135.

[9]- شليشر، المرجع السابق، ص 51 .

ب– الأوضاع الإدارية:

حافظت الدولة العثمانية في بداية تواجدها في الشام على التقسيم الإداري المملوكي للبلاد الذي قسمها إلى ست مقاطعات، أطلق على كل واحدة منها نيابة ، لكن في عهد السلطان **سليمان القانوني** (**900–974هـ/1495–1566م**) أعيد النظر في هذا التقسيم وفي صلاحيات حكام المقاطعات[1] وبهذا قسمت بلاد الشام إلى أربع أيالات هي:

1) **أيالة حلب:** مركزها حلب، ضمت الألوية التالية: أدنة، بيره جاك، باليس، حلب، عزيز(أعزاز)، كليس، معرة النعمان.

2) **أيالة الشام:** مركزها دمشق، ضمت دمشق، القدس، غزة، نابلس، عجلون، صفدا، صيدا ، الشوبك والكرك.

3) **أيالة طرابلس:** مركزها طرابلس، وضمت طرابلس، حمص، حماة السلمية وجبلة[2].

وكانت ولاية الشام أهم الولايات لامتداد مساحتها الترابية ومركزها الاستراتيجي والروحي، وظل هذا التقسيم قائما إلى غاية القرن **13هـ/19م** وحرصت الدولة العثمانية من خلال هذا التقسيم الجديد إلى عدم انفراد أي هيئة في الولايات العربية بالنفوذ، لذا وضعت إلى جانب الوالي قادة الإنكشارية وأعيان البلاد، حيث كان كل فريق يراقب الآخر[3].

أما في المناطق الجبلية من بلاد الشام فقد اختلف الأمر، حيث ربطتها بالسلطة المركزية علاقة غير مباشرة. فعلى سبيل المثال نجد المنطقة الشمالية كعين تاب، ملاطية وقلعة الروم وغيرهم، كانت تحت سيطرة حكم الأمراء ورثوا إقطاعياتهم ونظموا شؤونهم الإدارية تنظيما عشائريا ينسجم وطبيعة حياتهم القبلية[4]. كذلك منطقة لبنان التي حكمها إقطاعيون من العرب التركمان والأكراد الذين انتموا انتموا لمذاهب مسيحية وأخرى إسلامية. أما المناطق الجنوبية من البلاد، فقد حكمتها قبائل البدو العربية التي فشل الباب العالي في إخضاعها رغم المحاولات العديدة، هذا الأمر الذي جعلهم يتمتعون باستقلالهم السياسي والاقتصادي، واكتفى هؤلاء الشيوخ بمنح بعض الهدايا كالخيول للسلطان والأمراء[5].

---

[1]- غربي، المرجع السابق، ص 81.

[2]- عبد العزيز محمد عوض، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914** ، ط1، دار المعارف، مصر، دت، ص ص 62-63.

[3]- نفسه، ص 66.

[4]- ليلى الصباغ، **المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني**، دط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1973م، ص 21.

[5]- غربي، المرجع السابق، ص 82.

2- الأوضاع الاجتماعية:

شهدت بلاد الشام (دمشق) خلال القرن **12هـ/18م** زيادة سكانية ملحوظة بلغت ما يقارب **150**ألف نسمة، في حين زادت حلب على دمشق بما يقدر **50**ألف نسمة[1]، ومرد هذه الزيادة في عدد السكان إلى جملة من العوامل أهمها: دور قافلة الحج الإيجابي، الذي نتج عنه استقرار جماعات بشرية متعددة في المحيط العام وذلك يعود إلى جهود الولاة الذين أضحوا يقودون قوافل الحج منذ **1115هـ/1708م**[2]، الشيء الذي وفّر الأمن والسلام للحجيج وشجعهم على الحج في كل عام، إلى جانب تطور حركة التجارة وازدهارها بسبب نمو المبادلات التجارية بين دمشق وأحوازها خاصة مناطق الجنوب، حيث سهل حوران وفلسطين[3]. لكن في نفس الوقت تعرضت هذه الزيادة السكانية لبعض أنواع الأوبئة التي عصفت بالمنطقة كالمجاعات والزلازل، الطواعين المتكررة [4]. ولقد تشكلت البنية السكانية في دمشق خلال القرن **12هـ/18م** من فئات اجتماعية مبنية على المساهمة الفعلية أو المفترضة ذات الطبيعة الإنتاجية أو المهنية توزعت كالآتي:

أ -فئة الحكام و الولاة:

هم الأتراك، وقد تميزت حياة هذه الفئة بالاضطراب والقلق والخوف من العزل في أي لحظة، ولهذا السبب كان شغلهم الشاغل جمع أكبر عدد من الثروة على حساب الرعية[5].

ب -فئة الإقطاعيين:

هم أصحاب الإقطاعات العسكرية وبعض الملتزمين، اعتمدت عليهم الدولة العثمانية في تولية مهام الشرطة والجيش لتوفير الأمن ومرافقة قوافل الحج وحمايتها[6].

ج- فئة رؤساء العشائر والشيوخ والأشراف:

كانت لهم امتيازات في البلاد، حيث اعتبرت هذه الطبقة الأكثر نفوذا في المدينة أكثر من الأغوات بل أكثر من العلماء أنفسهم في بعض أحيانا[7].

---

[1]- مهند أحمد مبيضين، **الناس والمدينة في العصر العثماني : دمشق في القرن الثامن عشر الميلادي** ، الإضافات، العددان 20 ،21، خريف وشتاء 2012-2013، ص 187.

[2]- ريمون، المرجع السابق، ص 39.

[3]- نفسه، ص 158.

[4]- الحلاق، المصدر السابق، ص 52.

[5]- حنا، المرجع السابق، ص 131.

[6]- شليشر، المرجع السابق، ص 137 .

[7]- شليشر، المرجع السابق، ص 156 .

د– فئة العلماء:

كانت لعلماء دمشق أهمية سياسية بفضل تأثيرهم المعنوي والديني والفكري على السكان المسلمين عموما[1]، لهذا تمتعوا بالامتيازات بحكم مكانتهم الدينية، كما تحصلوا على مخصصات من عوائد الأوقاف والعقود التي يقومون بتحريرها، وإلى جانب ذلك أعفيوا من دفع جميع أنواع الضرائب[2].

هـ– أهل الذمة:

هم من بين أهم الطوائف غير مسلمة، شكلها كل من المسيحيون واليهود، حيث التزموا بدفع الجزية، كما كانت لهم نظمهم وتقاليدهم الخاصة[3].

و– فئة عامة الشعب:

هم الفلاحون وأصحاب الحرف، فلقد تحملوا أعباء ثقيلة على كاهلهم. من بينها التجنيد ودفع الضرائب[4].

وعليه يمكن القول أنّ النمو السكاني الذي حصل في بلاد الشام كان نتيجة عوامل مختلفة، أسهمت في تلك الزيادة السكانية، حيث قام المجتمع الدمشقي في تركيبته على مجموعة من فئات تمايزت مستوياتها الاقتصادية والفكرية، إذ ظهرت في شكل فئات مجتمعة شكلتها الأحوال المادية، لكن بدت في علاقاتها فيما بينها متداخلة، مشكلة لحمة متضامنة متناسقة برغم الفروق، مما دفعها إلى تحقيق نمو وازدهار مسّ جميع جوانب الحياة.

3– الأوضاع الاقتصادية:

عرفت دمشق خلال الفترة المعنية بالدراسة (**12**هـ/**18**م) نموا وازدهارا في الجانب الاقتصادي، إذ يعود سبب ذلك النمو إلى عوامل مختلفة منها نمو الحكم المحلي في مدينة دمشق واستقراره على يد

---

[1]- حنا، المرجع السابق، ص 144.

[2]- بيضون، المرجع السابق، 68.

[3]- محمد عبد الله عودة وابراهيم ياسين الخطيب، **تاريخ العرب الحديث**، ط1، الأهلية، عمان، دت، ص 38.

[4]- وهناك تصنيف آخر للشرائح الدمشقية في القرن **12ه-18/ م**، حيث نجد: * **فئة الخاصة أو الأعيان** : تضم الأشراف، رجال العلم والقضاة وشيوخ الطرق الصوفية* **فئة العامة:** تضم الحرفيين، الخدم، الجند، الباعة، التجارو العامة الرثة.وقد جاءت كتب التراجم وقسمت المجتمع إلى: الأكابر والأعيان والعامة. أصحاب المقامات الرفيعة. للمزيد انظر: مبيضين، الناس والمدينة، ص 190. وأيضا حنا، المرجع السابق، ص ص 16-19.

أسرة العظم، التي عملت جاهدة على تشجيع العمليات التجارية وتأمين قافلة الحج [1]، مما انعكس إيجابا على الحركة التجارية[2].ناهيك عما توفره القافلة من فرص عمل لأبناء المنطقة كسقاية الحجيج [3] وشدّ البضائع[4] ونحو ذلك من الأعمال المرتبطة بموسم الحج . والملاحظ أنّ الجانب الاقتصادي قام على دعائم ثلاث هي:

أ/– الزراعة:

اعتمدت الزراعة في بلاد الشام خلال القرن **12هـ/18م** على النظام الإقطاعي، الذي مثله رجال الدولة المقيمين في المدن، حيث قسمت ملكية الأراضي إلى أراضي الدولة الأميرية وأراضي الملكيات الخاصة وأراضي الأوقاف[5]، وبالتالي كانت معظم الأراضي ملكا للإقطاع أو ملكا للحاكم، أما الأملاك الوقفية فقد شكلت نسب قليلة من حيث امتلاكها والتصرف فيها، لذلك أضحى الفلاح يعمل في أرض إحدى المالكين، لأنه لا يملك الأرض وإنما يملك حق فلاحتها وزراعتها فقط[6]؛ فقط[6]؛ لأن المالكين للأراضي لهم حرية التصرف في منحها للمزارعين على أن تكون كلّ قطعة أرض ممنوحة للفلاح تخضع لضريبة تدفع للمستأجر الذي حصل على الأرض، كما لا يمكن لهذا المستأجر انتزاع الأرض من الفلاح إلا في حالة عدم دفع اللزمة[7].

رغم تطبيق هذا النظام الإقطاعي على ملكية الأرض الذي عرقل كثيرا النشاط الزراعي، إلا أن الزراعة بقيت تمثل موردا رئيسيا لثلاثة أرباع السكان، ولم يطرأ على الزراعة أية إصلاحات إلا مع حملة **إبراهيم باشا** إبان الحكم المصري[8].

---

[1]- شليشر، المرجع السابق، ص 80.

[2]- مهند مبيضين، **مظاهر الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها خلال القرن الثامن عشر الميلادي**، مجلة المنارة، مج 14، العدد 2، 2008م، ص 50.

[3]- محمد سعيد القاسمي، **قاموس الصناعات الشامية**، تح: ظافر القاسمي، ج1، ط1، دار طلاس، دمشق، 1988، ص 185.

[4]- نفسه، ج2، ص 255.

[5] - حنا، المرجع السابق، ص 23.

[6] - أحمد طربين، **تاريخ المشرق العربي المعاصر** ، ط1، المطبعة الجديدة، دمشق، 1985-1986م، ص 10.

[7] - غب هاملتون وباون هارولد ، **المجتمع الإسلامي والغرب (دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر للميلاد)**، تر: أحمد إيبش، ط 1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2012م، ص 361.

[8] - فليب حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**، ط1، المطبعة الحديثة، بيروت، 1983م، ص 320.

ومن أهم المحاصيل الزراعية التي كانت تزرع في المنطقة نجد التين والزيتون والزبيب، كما كان يزرع القطن والسمسم والتفاح والرمان. أما أنواع الفواكه والنباتات فنجد شجر المحمودة والأشتوان والزيزفون. كما أدخلت عدّة ضروب من الزروع والغراسة كـ:البطاطا والمشمش والبندورة [1]، إلى جانب زراعة التبغ[2].

اشتهرت الشام أيضا بأشجار غير مثمرة وأخرى مثمرة، بالإضافة إلى عدّة أنواع من ورود الشام كالجوري والنرجس والمضعف،كما عرفت الشام في أرجائها بتربية الحيوانات الداجنة مثل: الخيل والحمير، البعير[3] وبهذا شكلت ثروة اقتصادية اتخذها الأهالي مصدر رزق لهم.

ولقد عرف القطاع الفلاحي جملة من المشاكل واجهته جراء تطبيق النظام الإقطاعي، الذي أدى في نهاية المطاف إلى إهمال الريف وأراضيه، نتيجة انخفاض سكان القرى المأهولة التي كانت تمثل **3200** قرية و وصلت إلى **400** قرية في سنة **1200هـ/1785م**، ناهيك عن انعدام الأمن وتكرر هجمات قطاع الطرق[4]، كما ظل فلاحوا الأراضي يعانون وطأة الضرائب والديون مع كبار الملاك في الريف مما جعل القرى تعاني من تراكم القروض فنتج عنها الهجرة من الأراضي الزراعية، حيث دعمت هذه الخطوة فتاوى العلماء جراء الجور والظلم[5]، إلى جانب مساوئ الجفاف[6].

وعليه فالزراعة في بلاد الشام خلال القرن **12هـ/18م** اتبعت فيها الدولة العثمانية النظام الإقطاعي الذي أثر سلبا على الإنتاج الزراعي من جهة، وعلى الفلاح من جهة أخرى، لكن بالرغم من هذه العراقيل تنوعت المحاصيل وظلت زراعة الأرض المصدر الرئيس لسكان المنطقة.

ب/– الصناعة:

حوَت الشام على مواد أولية منها الحرير والصوف والوبر، والمرعزي والقطن والكتان والقنب يفيض عن حاجياتها إلى جانب توفر الحديد والنحاس والقصدير وغيرها من المعادن، وتجوكما جادت سهولها وجبالها بالأخشاب على أنواعها [7]، لذلك اهتم سكان دمشق منذ القدم بالحرفة الصناعية التي طغى عليها الطابع التقليدي البلدي[8]، وانضموا في طوائف حرفية يرأسها شيخ الحرفة،

---

[1] - كرد، المصدر السابق،ج4، ص 152 وما بعدها.
[2] - هاملتون وهارولد، المرجع السابق، ص 378.
[3] - نفسه، ص 183 وما بعدها.
[4] - حتي، المرجع السابق ،ص، 320.
[5] - مبيضين، مظاهر من الحياة الاقتصادية، المرجع السابق، ص 11.
[6] - طربين، المرجع السابق، ص 10.
[7] - كرد، المصدر السابق،ج4، ص 199.
[8] - نايف صياغه، **الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق منتصف القرن التاسع عشر**، دط، وزارة الثقافة، دمشق، دت، ص ص 102-103.

الحرفة، له مجموعة من المهمات، وهذه الطائفة تضم مختلف العاملين في الحرفة من معلمين وصناع مبتدئين وشيوخ حرفة. وكل حرفة لابد أن تلتزم بعاداتها وتقاليدها، فلا تخرج عن ضوابها ولا يستطيع أحد أن يمتهن الصنعة إلا إذا تعلمها من معلم يشهد له بإتقانها[1].

بهذا عرفت الشام عدّة أنواع من الصناعات، حيث قال **الإدريسي** في هذا الصدد:"ومدينة دمشق جامعة لصنوف من المحاسن وضروب من الصناعات وأنواع من الثياب الحرير كالخز والديباج النفيس الثمين العجيب الصنعة العديم المثال الذي يحمل منها إلى كل بلد ويتجهز منها به إلى كل الآفاق والأمصار المصاقبة لها والمتباعدة عنها (...) وصناعتها نافقة وتجاراتها رابحة" [2].وهناك صناعات أخرى ك:صناعة الجلود والدباغة[3] وتربية دود الحرير والقيانة والحدادة والنحاسة[4].

ج – التجارة

لقد شهدت حركة التجارة تطورا كبيرا في بلاد الشام خلال القرن **12هـ/18م** لاسيما في دمشق، بسبب نمو المبادلات التجارية مع المناطق الجنوبية [5] وتولي آل العظم الحكم. إضافة إلى توفير مراكز الإيواء والاستقبال والتمويل والتسويق خاصة الحجاج الذين قدموا من مختلف الأقاليم الإسلامية خلال موسم الحج، حيث يجتمعون في دمشق وبها ازدهرت التجارة خلال هذه الفترة، حيث تصبح الأسواق ممتلئة بالبضائع والمنتجات المختلفة[6].

أقيمت خلال العهد العثماني ببلاد الشام مجموعة من الأسواق والتي شيدها بعض الولاة، إلى جانب بعض الأسواق المؤقتة [7]، وبذلك أصبحت دمشق تجني أرباحا كبيرة من خلال العمليات التجارية المتنوعة التي كان يمارسها تجار دمشق، فقد نمت تجارتهم البحرية حتى وصلت إلى حلب والموصل وأصبحتا محطتين تجاريتين في الشرق من الطراز الأول [8]، بالإضافة إلى ذلك فقد ازدهرت التجارة الخارجية خلال القرن **12هـ/18م** كثيرا، حيث كونت أسرة آل العظم علاقات تجارية مع

---

[1]- طربين، المرجع السابق، ص 11.
[2]- الإدريسي أبو عبيدة الله محمد إدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، مج 1، ط1، منشورات عالم الكتب، دب، دت، ص 369.
[3]- حنا، المرجع السابق، ص 206 .
[4] - كرد، المصدر السابق، ج4، ص ص 207- 213.
[5]- مبيضين، مظاهر من الحياة الاقتصادية، المرجع السابق، ص 187.
[6]- شلبي، المرجع السابق، ص 80.
[7]- من بينها: سوق الأحد، سوق الجمعة قرب محلة اليهود، سوق الذراع الذي تباع فيه الثياب النفيسة والكتان، سوق الذهابين (الصاغة) . للمزيد انظر: مبيضين، مظاهر من الحياة الاقتصادية ،المرجع السابق، ص ص 191 –192.
[8]- سيار، المرجع السابق، ص 263 .

أوروبا وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس ومصر وغيرها من البلدان، فعملوا على تشجيع التجارة الخارجية من خلال بناء الخانات والأسواق لتسهيل عملية التبادل التجاري وحماية الطرق التجارية والاتصال لتوسيع شبكتهم التجارية [1]، وعلى الرغم من تحول طرق التجارة إلى رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندي، إلا أن التجارة الخارجية لم تتلاش نهائيا ولكنها بدأت تتركز بيد الأجانب بسبب الامتيازات التي منحت لهم[2].

ومع الانتشار الواسع الذي عرفته التجارة بشقيها الداخلي والخارجي جعلها عُرضة إلى مجموعة من العوائق منها فوضى الحكم والإدارة والثورات وحركات العصيان التي ظهرت ببلاد الشام وتخلف وسائل النقل والمواصلات وفقدان الأمن على طرقها[3]ونحو ذلك من المعيقات التي شهدتها هذه الفترة. الفترة.

4- الأوضاع الثقافية:

لطالما كانت بلاد الشام أهم مراكز الإشعاع الثقافي في المشرق العربي، فقد كانت مقدسة عند العثمانيين، حيث أطلقوا عليها صفات دينية مثل: شام شريف، باب الكعبة، بستان الجنة [4]، وكان لدمشق وضعية خاصة بسبب موسم الحج الذي كان مجالا للتبادل الثقافي، حيث أن معظم الحجاج كانوا من طلاب العلم الذين يأتون لدمشق لتلقي العلم أو التدريس خاصة وأنها كانت من أهم مراكز العلم في العالم العربي[5]، إذ نجد الجامع الأموي الذي كان منارة للعلم والعلماء في دمشق، حيث حيث أقيمت إلى جانبه عدد من الزوايا التي كانت تقام بها حلقات الذكر والعلم والدراسة [6]، إضافة إلى عدد معتبر من المدارس في دمشق وحلب بلغ عددها **300** مدرسة[7] كالمدرسة العدلية التي كانت تضم مجمع اللغة العربية[8].

---

[1]- شلبي، المرجع السابق، ص ص 79 – 80 .
[2]- حنا، المرجع السابق، ص ص 11 – 12 .
[3]- مبيضين، مظاهر من الحياة الاقتصادية ، المرجع السابق، ص ص 191 – 192 .
[4]- محمد أحمد، **الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني 1876 – 1918 م**، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول و الثاني، دمشق، 2011 م، ص 305 .
[5]- عودة، المرجع السابق، ص ص 36 – 37.
[6]- أحمد، المرجع السابق، ص 312.
[7]- جورج أنطونيوس، **يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية** ، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط 8، دار العلم للملايين، لبنان، 1987م، ص 100.
[8]- أحمد، المرجع السابق، ص 312 .

لقد كان الطابع العام لمعظم المؤلفات في بلاد الشام خلال القرن **12هـ/18م** دينيا، مركزا على العلوم النقلية وبعض العلوم العقلية كالفلك والحساب، إضافة إلى كتب الأخبار والرحلات والتراجم التي نشّطت الحركة التاريخية بصفة خاصة (مدرسة التراجم) التي تميزت بها بلاد الشام بالذات لإحاطتها بتراجم من العالم الإسلامي كله لا من الشام فحسب، وإنما من مختلف المناطق العربية والإسلامية وبذلك عبرت عن الوحدة الإسلامية [1]، كما كان للطباعة [2] دور مهم في الثقافة والتعليم التي دخلت إلى بلاد الشام سنة **1019هـ/1610م**، أما الدولة العثمانية فقد امتلكتها خلال القرن **11هـ/17م**، ويعود تأخرها في دمشق بسبب رجال الدين الذين كانوا قد حرَموا الطباعة، حيث زعموا عدم دقة المطبعة أمام دقة الناسخين، بالإضافة إلى خوف النساخ من البطالة. وبالرغم من دخول الطباعة لبلاد الشام إلا أن الكتب بقيت نادرة لأن المطابع كانت يدوية واقتصرت على الأديرة فقط، كما كانت نسبة ما تطبعه ضئيلة جدا مقتصرة على الكتب الدينية[3].

ومن أهم علماء القرن **12هـ/18م**في بلاد الشام نذكر: **أبو الصفا** الذي كان فقيها ومفتي ومفسر لغوي، و **مراد المرادي** العالم في المعقول والمنقول **1132هـ/1719م** و**عبد الرحيم المخللاتي** الذي كان عالم في الفرائض والحساب والفلك **1140هـ/1727م** و**محمد خليل المرادي** (**1173– 1206هـ/1759–1791م**)[4]، والذي يعد محور دراستنا هذه.

---

[1]- أكمل الدين إحسان أوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ج2، تر: صالح سعداوي، دط، استانبول، 1999م، ص ص 353-354.

[2]- دخلت الطباعة إلى بلاد الشام سنة **1019هـ/1610م** وكانت مطبعة سريانية متواجدة في طرابلس الشام عن طريق رهبان الطائفة المارونية والذين جلبوها معهم من روما، ثم جلب **البطريرك أثناسيوس دياس**عام **1118هـ/1706م** مطبعة أخرى إلى حلب من بوخارست، واقتصرت الطباعة على طباعة الكتب الدينية، ولم تظهر الطباعة العربية في دمشق إلا بعد صدور فتوى من شيخ الإسلام **عبد الله أفندي** بإجازة طباعة الكتب غير دينية وذلك سنة **1140هـ/1727م**، حيث صدر فرمان سلطاني يؤكد طبع الكتب العربية والتركية. للمزيد انظر: أحمد، المرجع السابق، ص 323.

[3]- أنطونيوس، المرجع السابق، ص 101.

[4]- كرد، المصدر السابق، ج4، ص ص 58-59.

1 -لمحة عن سيرة المرادي ومؤلفه

أ -التعريف بالمؤلف

- أصله ونشأته
- شيوخه
- وظائفه
- مؤلفاته

ب -التعريف بالكتاب

- دواعي التأليف

1 – لمحة عن سيرة المرادي و مؤلفه:

أ – التعريف بالمؤلف

هو **محمد خليل أبو المودة بن السيد العارف علي بن السيد محمد بن القطب السيد محمد بن مراد ابن علي الحسيني الحنفي الدمشقي** المعروف بالمرادي، الإمام السيد فريد عصره ووحيد شامه ومصره، مفتي دمشق والشام، المؤيد بأحكام شريعة جده، من بيت العلم والسيادة والجلالة والعز والرياسة[1]، ولد سنة **1050 هـ / 1173 م**[2].

أغرم **محمد خليل المرادي** باستعلام الأخبار وجمع الآثار وتراجم العصريين على طريق المؤرخين، كان يراسل فضلاء البلدان البعيدة، ويواصلهم بالهدايا ويلتمس من كل منهم تراجم أهل بلاده، وأخبار أعيان أهل القرن الثاني عشر بحسب وسع همته واجتهاده إلى أن بلغ مطلبه وحصل مرغوبه[3].

أصله ونشأته

كان **مراد أول** من أشتهر من أسرة المرادي وهو أبو جده وإليه تنسب الأسرة جميعا، أصله من مدينة بخارى التي لم يستقر بها فقد رحل منها واستقر هو وأسرته بدمشق، قام بعدة رحلات إلى بلدان مختلفة كبلاد الهند، الحجاز، بغداد، مصر والقسطنطينية. كما كان صاحب الترجمة عالما بالطريقة النقشبندية التي اكتسبها في طريقه إلى الهند، وعالما في الفقه والتفسير والحديث، حيث كان يحفظ أكثر من عشرة آلاف حديث مع أسانيدها وقد ألف كتاب في مجلدين باللغة العربية والفارسية والتركية تحت عنوان **المفردات القرآنية**، قام **المرادي** ببناء مدرستين بدمشق، المدرسة المرادية عام **1108 هـ** وجهزها بمكتبة عظيمة، والمدرسة النقشبندية البرانية مع مسجد ملحق بها.[4]

شيوخه

درس **المرادي** عددا من العلوم على عدد من علماء عصره، فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ سليمان الدبركي، وأخذ الطريقة الخلوتية على الشيخ محمد بن عيسى الكناني، وتعلم الوعظ

---

[1]- عبد الرزاق البيطار، **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر** ، تح: محمد بهجة البيطار، ط 2، دار صادر، بيروت، 1993 م، ص 1393 .

[2]-محمد خليل بن محمد المرادي الدمشقي، **عرف البشام فيمن وليَ فتوى دمشق والشام** ، تح: محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد، ط 2، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1988 م، ص 4 .

[3]- عبد الرزاق البيطار، المصدر السابق، ص 1394 .

[4]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 6.

من الشيخ **إبراهيم بن عبد الله الميداني** الدمشقي الشافعي، والفقه على يد الشيخ **إبراهيم بنعلي بن حسين** الحمصي الحنفي، إضافة إلى عدد آخر من المشايخ أمثال: **خليل الكاملي** و**كمال الدين الصديقي** و**مصطفى العلواني**[1] وغيرهم.

لقد برع **المرادي** في مختلف العلوم والأدبيات (الإنشاء والتوقيع) واللغات فكان يتقن كلا من التركية والفارسية إضافة إلى العربية[2]، توفي في حلب أواخر صفر **1206 م**[3].

وظائفه

يذكر لنا **المرادي** في كتابه **عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام** " ترجمة لنفسه حيث يقول: «**مقرئ رزق الصوت الندي في الترتيل، و التلاوة التي لم تخل من تدبر و تبتيل، فلو سمعه صلد صغى إليه، أو طائرا عكف وجدا عليه** ...»[4] هذا يعني أنه كان مقرئا، ، وقد تولى نظارة الجامع الأموي سنة **1191هـ/1777م**، وفي عام **1192هـ/1778م** عيَن مفتيا بدمشق، ومن ثم تولى نقابة الأشراف في دمشق أيضا وكان ذلك سنة **1200هـ/1785م**.[5]

تولى **المرادي** عددا من المناصب المختلفة، فبالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا، فقد عيَن قاضيا في القدس الشريف، والتدريس بالسليمانية[6].

مؤلفاته

ترك **المرادي** عددا من المؤلفات المهمة خاصة بالتراجم وهي سبعة مؤلفات و هي:

1- سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر أو **أخبار الأعصار في أخيار الأمصار** [7]، وسوف نعرف بهذا الكتاب لاحقا.

2- عرف البشام فيمن وليَ الفتوى بالشام : يتكون هذا الكتاب من خمسة فصول، تجمع كل ما يتعلق بالفتوى من تاريخها وآدابها ورجالها من القرن **10 هـ / 16 م** إلى غاية القرن **12 هـ / 18م**،

---

[1]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 4.
[2]- عبد الرزاق البيطار، المصدر السابق، ص 1394
[3]- عبد الرحمان الجبرتي الحنفي، **عجائب الآثار في التراجم و الأخبار** ، ط1، دار الطباعة محمد قاسم، دب، د ت، ص 201 .
[4]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 150 .
[5]- نفسه، ص 152 – 168 .
[6]- نفسه، ص ص 3 – 4 .
[7]- نفسه، ص 5 .

كما تضمن الكتاب فتوى شخصية لنفسه في الفصل الخامس والأخير[1]، قام بكتابة هذا الكتاب أيام السلطان سليم[2] ، جمع فيه **37** مفتيا آخرهم **المرادي** (المؤلف نفسه).

3- مطمح الواجد في ترجمة الوالد الماجد : وهو عبارة عن ترجمة لوالده **علي بن محمد المرادي** المتوفي سنة **1184 هـ / 1770 م**، توجد نسخة منها في المتحف البريطاني.

4- تحفة الدهر و نفحة الزهر في أعيان المدينة من أهل العصر: توجد نسخة منه في مدينة كامبرنج.

5- تحفة الأخلاق بأوصاف الأسلاف : هو عبارة عن تراجم لأسلافه من آل المرادي.

6- رسالة ترجم فيها بعض علماء حلب، نقل عنها البيطار في حليته.

7- معجم يضم مختلف العلماء الذين التقى بهم **المرادي**[3].

ب - التعريف بالكتاب

هذا الكتاب هو عبارة عن تراجم لرجال وأعيان القرن **12 هـ/18م** والمتكون من أربعة أجزاء، طبع في عام **1301هـ/1883م** بمدينة بولاق[4] مرتب على حروف المعجم، جمعه **المرادي** في رحلات رحلات المعاصرين له، ذكرها في مقدمته كرحلة **عبد الرحمن الذهبي**، ومؤرخ مكّة المكرمة **الشيخ مصطفى بن فتح الله الحموي** والنفحة لـ**أمين المحبي**، وثبت للعلامة **الشمس محمد بن عبد الرحمن الغزي** لطائف المنة سنة **1167هـ/1753م**، ورحلة الشيخ **عبد الغني النابلسي** الكبرى والصغرى الحجازية والقدسية، وغير ذلك من المشيخات والمعاجم والإثبات، وقد سماه بعد أن أنهى جمعه وترتيبه بعنوان **أخبار الإعصار في أخيار الأمصار** وسماه كذلك بـ**سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر هجري** أعيد طبع الكتاب في مكتبة المثنى ببغداد سنة **1381هـ/1962م**، وقد أشار إلى ذلك **عبد الجبار عبد الرحمن** [5].

وفي حكاية أوردها **الجبرتي** ملخصها أن **المرادي** طلب من السيد **مرتضى** صاحب **تاج العروس** أن يرسل له تراجم علماء بلده في عصره، وذلك من أجل ضمها إلى كتابه الذي ألفه عن علماء القرن **12 هـ/18م** والمسمى **سلك الدرر**، وقد استعان المرتضى في إنجاز ما طلبه منه **المرادي**

---

[1]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص ص 5 – 6.
[2]- عبد الرزاق البيطار، المصدر السابق، ص 1394 .
[3]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 6 .
[4]- نفسه، ص 4 .
[5]- أنور محمود زناتي، **دراسة تحليلية في مصادر التراث العربي**، دط، زهران للنشر، جامعة عين شمس، مصر، دس، ص ص 197 – 198.

بـ **الجبرتي** صاحب التاريخ المشهور، حيث ذهبا يجمعان الأسماء والأخبار حتى قاربا جمع نحو عشر كراريس مرتبة على حروف المعجم، إلا أن السيد **مرتضى** توفي سنة **1205هـ/1290هـ** قبل أن ينهي ما بدأ به، فأرسل **المرادي** إلى **الجبرتي** يطلب منه إرسال ما جمعه، وقبل أن يقوم **الجبرتي** بذلك وصله خبر وفاة **المرادي**، فأهمل هذه الكراريس إلى أن « **جدَ عنده –كما يقول – باعث نفسي عن جمعها مع ضم الوقائع والحوادث والمتجددات على هذا النسق** »، فمضى يؤلف كتابه في التاريخ المسمى **عجائب الآثار في التراجم والأخبار** ، وبهذا يعدُ كتاب **سلك الدرر** آخر كتاب **للمرادي**[1].

دواعي تأليف هذا الكتاب

* الانقياد بما كان يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أنه كان يذكر لأصحابه أخبار من مضى من الأمم ليسلكوا بذلك الطريقة المثلى، وطريق الأمم كذكر الرسل والأنبياء وما حدث لهم، كما يقول العلامة **أبو حيان** في وصيته لأولاده بقوله: «**عليكم بمطالعة التواريخ فإنها تلقح عقلا جديدا** ».

* الرغبة في مطالعة أخبار الأخيار، وجمع آثار الفضلاء من نظم ونثر من خلال الكتب التاريخية والدواوين الإخبارية.

* أهمية علم التاريخ والأخبار ونقل المناقب وحفظ الآثار مما جعل العديد من المحدثين والعلماء يؤلفون فيه العديد من المؤلفات.

* انعدام وجود تراجم لرجال وأعيان القرن **12 هـ/18 م**، مع العلم أن هذا القرن زاخر بالعلماء والأدباء[2].

---

[1]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 2 .
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص ص 2 – 4 .

المبحث الأول: العلماء

1- مكانة العلماء في المجتمع الدمشقي.

أ- منزلة العلماء.

ب- علاقة العلماء السلطة.

2- وظائف العلماء

أ- هيئة القضاء

ب- هيئة الإفتاء

– مكانة العلماء في المجتمع الدمشقي:

1– منزلة العلماء:

اكتسى العلم بفروعه النقلية والعقلية مرتبة أسمى خلال القرن **12هـ/ 18م** في المجتمع، حيث قال **عمر القاري الدمشقي** أحد علماء دمشق [1]:

لو لا ثلاث هنَ من أهلي ما اخترت أن أبقى بدار النفاد

تهديب نفسي بالعلوم التي به لقد تلت جميع المراد[2].

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، فقد عمل تلامذتهم على ترجمة نقائبهم، ومن بينهم **أبو المواهب الحنبلي** الذي قام بإفراد ثبت للجماعة التي أخذ عنها العلم من دمشق ومصر والحرمين الشريفين، حيث ذكر تراجمهم [3]، كما وصف **الشيخ إسماعيل العجلوني** بالقدم الراسخ في العلوم واليد الطولى في دقائق المنطوق والمفهوم، و قيل فيه:

حدّث عن البحر لا عتب و لا حرج وما تشاء من الإجلال قل وقل[4].

والاهتمام بالعلم ومنزلته لم يقتصر على فئة العلماء فحسب، بل تتعداه ليشمل موقف العامة الذين بجلوا النخبة وأنزلوهم منزلة عالية، وتتأتى هذه المرتبة لما كان لهؤلاء العلماء من مواقف جليلة ساندوا بها المحتاجين، ورفعوا عنهم المظالم في العديد من المرات وكتاب **المرادي** مليء بهذه النماذج التي نذكر منها على سبيل المثال العالم الجليل **أبو المواهب الحنلي** الذي كان لا يخاف في الله لومة لائم ولا يهاب الوزراء، فقد قصده تجار دمشق وطلبوا منه رفع الظلمة عنهم، وعن والي دمشق **محمد باشا ابن كرد بيرم** لأن هذا الأخير طرح عليهم الحرير الذي أصبح من عوائد الخزينة السلطانية، فأرسل أبي المواهب ورقة إلى الوالي مع خادمه **ابن القينسي**، فهدده، لكن الخادم أخبره أن أبا المواهب رجل علم وورع فأرسل الوالي إليه خبر التراجع عما صدر منه بشأن تجار الحرير قائلا:" لا أحد يتعدى على التجار"[5].

وفي مقام آخر قام العالم الجليل **السيد فتحي الدفتري** برفع المظالم على أهل دمشق حين كتب للدولة العلية يشكو فيها الأوجاق الذين عاثوا فسادا في البلاد، وأبادوا العرض وانتهكوا الحرمات

---

[1]- عمر بن محمد بن أحمد و قيل عبد القادر بن أحمد بن عيسى الملقب بزين الدين، إماما مفتيا، محدثا وفقيها، حسن الخط، أخذ الحساب والبيان إلخ، أجيز في الحديث، ألف النظم. للمزيد انظر: المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ، ج 3، ط1، دن، دب، دت، ص ص 223 – 224 .

[2]- نفسه، ص ص 232 – 233.

[3]- المرادي، سلك الدرر،ج1، ص 67.

[4]- نفسه، ص 202 .

[5]- نفسه، ج1، ص ص 68 – 69.

وأباحوا المحرمات وأتاحوا المفاسد. وما إن وصل الخبر للدولة العلية حتى ورد الأمر بقتلهم، ففرج عن أهالي دمشق[1]، كما قام **السيد عبد اللَطيف القدسي** بتقديم المساعدة للحجيج الذين نهبهم قطاع الطرق في عهد الوزير **حسين باشا بن مكي الغزي** ، حيث ورد الحجاج إليه، فتلقاهم وقدم لهم يد المساعدة[2]، كما كانت العامة تلجأ للعلماء في أوقات المحن والمصائب، وترجوا دعاءهم لرفع البلاء معتقدين بدورهم الفعال في درء الظلمات، ففي سنة **1173 هـ/1759م** وقع زلزال في دمشق، فصام الناس ثلاثة أيام ودعوا و ابتهلوا إلى الله تعالى في مسجد المصلى، فدعى **أحمد بن سوار** وابتهل والناس من خلفه لما عرف عنه من فضل وصلاح [3]، وفي سنة **1128هـ/1715م** ضرب القحط المنطقة، فصام الناس ثلاثة أيام أيضا وخرجوا في اليوم الرابع إلى المصلى وكان أبو المواهب صائما، فصلى بالناس إماما بعد طلوع الشمس ونصب كرسيًا له في وسط المصلى، وخطب خطبة الإستسقاء وشرع في الدعاء ثم قال: **إلهي لا تفضح هذه الشيبة بين عبادك،** ففرج الله الكربة على الناس[4].

ولم تتوقف الأمور عند هذا الحد، بل تعدتها إلى استدانة الناس المال من هؤلاء العلماء ومنهم العالم **السيد عبد القادر بن الكيلاني**[5]. فإذا كان العلماء قد عملوا على دعم الأهالي ورفعوا عنهم الظلمات، فإنهم بالمقابل استطاعوا أن يعرضوا مشاكلهم ومشاكل أقربائهم عند الحاكم للنظر فيها، حيث عرض **مصطفى السفرجلي** في حضرة السلطان **مصطفى خان،** وقرر أن يشكو حال أخيه **عبد الكريم السفرجلي** الذي كان محبوسا في دار السلطنة بتهمة قتل والي دمشق و أمير الحج الوزير **أسعد باشا المعظم** راجيا من السلطان الاعفاء عنه[6].

عموما كان علماء دمشق خلال القرن **12هـ/18م** مبجلين من طرف العامة، لما قدموه من مساعدات لأفراد المجتمع برفع المظالم عنهم وحلّ المعضلات. ولما كانت الوظائف الدينية والثقافية يتولاها علماء من العامة، فمن الطبيعي أن يكونوا ممثلين عنهم لدى السلطة الحاكمة.

أما إذا تحدثنا عن منزلة العلماء لدى السلطة العثمانية بدمشق خلال القرن **12هـ/18م**،فإننا نلمس ذلك الاحترام الذي ابدته لهم، سواء كانوا من مذهبها الحنفي الرسمي، أم على مذاهب أخرى

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص ص 286 – 287 .
[2]- نفسه، ص ص 124 – 125 .
[3]- نفسه، ج 1، ص ص 112 – 113 .
[4]- نفسه، ص ص 68 – 69.
[5]- نفسه، ج 3، ص 47 .
[6]- نفسه ، ج 4، ص 290 .

أو كانوا أتراكا أم أعرابيا [1]، هذا ما مكنهم من أن يلعبوا دور الوسيط بين أفراد المجتمع والسلطة الحاكمة، حيث تجسد ذلك في مجال العدالة والحكم من خلال تطبيق قوانين الشريعة وتفسيرها[2].

ومن مظاهر اهتمام السلطة بالعلماء استماعها لهم ومنحهم الامتيازات، وعدم مصادرة أملاكهم وتقبلتهم وسطاء بينها وبين الرعية [3]، ناهيك عن تمكينهم من المناصب الدينية والقضائية والتعليمية، كما أوكلت لهم إدارة الأوقاف مقابل تمليكهم جزءً من المزارع[4].

ولقد أورد **المرادي** نماذج عديدة تبين المنزلة التي حظيَ بها العلماء عند السلطة العثمانية، ك**يوسف الجابري** الذي أقام بالقسطنطينية وحباه صدورها العظام بما استوجبوه له من الاحترام وأحاطوا بفضله ومعارفه علما وحققوا فيه حسن الظن [5]، فضلا عن **مراد المرادي** الذي منحه السلطان **مصطفى خان** قرى بدمشق إقطاعا بمال يدفعه للخزينة الميرية في كل سنة[6]، كذلك قام العالم العالم الجليل **علي العجلاني** الذي علت حرمته ونفذت كلمته فاحترمه الوزراء والحكام والقضاة، وكان مقبول الشفاعة [7]، كما ظهر **السيد علي المرادي** أكثر تبجيلا، فبالرغم من أنه كان يردع الحكام والظلمة عن دمشق وغيرها ويتكلم كلاما قاطعا، إلا أنهم كانوا يحترمونه ولا يمشون إلا برأيه [8]، ولعلَ النموذج الذي يقدمه **المرادي** في مؤلفه أكثر وضوحا لموقف السلطة العثمانية من المكانة التي أنزلتها بالعلماء، حيث أن **أسعد الإيراني** كان يتولى المشيخة في عهد السلطان **محمد خان**، لكنه أصيب بالمرض واشتد به الحال حتى قرب أجله، حتى أن المقربين للحاكم والوزير الأعظم أطلعوه أن أمور الدولة تعطلت أمور الناس ولم يعزله حتى سأل السلطان رئيس الأطباء فأخبره بضعفه وأنه للآخرة أقرب، عندها فقط عزله[9]، كذلك العالم **علي الكردي** الذي استدعاه **السلطان مصطفى خان** إلى أبوابه للتبرك به فرحل من دمشق ودخل دار الخلافة وأنعم الملك المشار إليه في كل سنة **بألفي قرش وخمسمائة قرش**[10].

---

[1]- ليلى الصباغ، **من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول "محمد أمين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"**، ط 1، الشركة المتحدة ، سوريا، 1998 م، ص 64.

[2]- ريمون، المرجع السابق، ص 64.

[3]- الصباغ، المرجع السابق، ص 233 .

[4]- ألبيرت حواني، تاريخ الشعوب العربية، تعر : أسعد صقر، ط 1، دار طلاس، دمشق، 1997م، ص 272.

[5]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص ص 248 – 249 .

[6]- نفسه ، ص 130 .

[7]- نفسه، ص 207 .

[8]- نفسه، ص 220

[9]- نفسه، ج 3، ص ص 176 – 177 .

[10]- نفسه، ص 219 .

ونال **عبد الله يدي قله لي** نفس الحظوة والاحترام عند السلطان **أحمد خان الثالث** حين اتخذه معلما في دار السعادة السلطانية، وكان له وقار رؤساء الدولة وأربابها [1] وغيرهم ، واستطاع العالم **إسماعيل أفندي القونوي** من أن يفوز باحترام السلطان **عبد الحميد خان** ، حيث كان يجتمع به ويسمع تقريره ويأمره أن يدرس بحضرته[2].

وقد تمتع علماء دمشق أيضا بأهمية سياسية لما لهم من فضل التأثير المعنوي والديني والفكري على جموع المسلمين عند السلطة العثمانية، وهذه المنزلة كانت تنبع من تضلعهم في الفقه والشريعة، لتزداد فعاليتهم من خلال توليهم مناصب في الخطابة والتدريس ووظائف أخرى [3] – وهذا ما سيتم ذكره في المبحث الثالث –، إذ أورد **المرادي** ما يؤكد هذه النظرة، وهذه بعض أقواله في هذا الموضوع، حيث استطاع **عبد الرحمن بن عبدي** أن يشتهر أمره في دولة السلطان مصطفى ويترقى في مناصب عالية في أيامه [4]، وكان **عبد الرحمن الكيلاني** "مقبول الشفاعة محترما" [5]، والأمر نفسه عند **علي العجلاني** الذي كان مقبول الشفاعة عند الحكام" [6]، وهناك نماذج كثيرة يُظهر فيها المؤلف احترام وتقدير السلاطين العثمانيين وكبار الرؤساء والوزراء والولاة لفئة العلماء والأدباء.

نستنتج مما سبق أنّ دمشق كانت قوى سياسية تتحكم في المجتمع، وأهم هذه القوى السلطة الحاكمة والهيئة الدينية (رجال الدين والعلم) والمنظمات الحرفية والجهاز العسكري الذي ضمّ القابي قول (عبيد السلطان) والليرية (الإنكشارية المحلية)، ولمّا كان الصراع محتدما بين القوتين العسكريتين عمَد ولاة الشام إلى مسك العصا في الوسط بين هاتين القوتين المتصارعين، مع محاولة خلق قوة عسكرية خاصة تتألف من جند المرتزقة.

كلّ هذا الصراع القائم بين السلطة الحاكمة والجهاز العسكري الذي كان بدوره يعيش الخلافا بين أفراده طمعا في تحقيق مصالحه ونفوذه كانت العامة تدفع ثمنه، حيث أثر عليها بشكل مباشر، ومن جراء ذلك الظلم و الجور كان أهل دمشق يلجؤون إلى العلماء للدفاع عنهم، حيث استمد رجال العلم قوتهم من العامة أولا، ومن مركزهم الديني ثانيا، ومن صراع القوى والطوائف العسكرية ثالثا.[7]

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج3 ، ص 84 .
[2]- نفسه، ج 1، ص 201.
[3]- شليشر، المرجع السابق، ص 144.
[4]- المرادي، المصدر السابق، ج 2، ص303.
[5]- نفسه، ص 263.
[6]- نفسه، ج 3، ص 207.
[7]- حنا ، المرجع السابق، ص 135.

2- علاقة العلماء بالسلطة:

اتسمت العلاقة بين العلماء والسلطة العثمانية الحاكمة بالاحترام والوقار، فسعى الحكام إلى التقرب منهم وتبجيلهم لبسط نفوذهم على المنطقة أكثر، باعتبار العلماء همزة وصل بينهم وبين الرعية، ولما كان لهؤلاء تأثير معنوي وروحي على هذه العامة، فقد شكلوا صلة وصل بين الرعية والحاكم لأنَ معظمهم ينحدر من أصول محلية، فلجأ إليهم الناس في الملمات، وفي مقابل ذلك تقرب العلماء من السلطة الحاكمة، فأكسبهم هذا التقرب نفوذا واسعا لدى العامة نفوذا ماديا ومعنويا [1]، وقبل أن نعرج بالحديث عن طبيعة العلاقة القائمة بين العلماء والسلطة لا بأس أن ننوه إلى نوع الصلة التي كانت بين العلماء في حد ذاتهم، والتي سادها الكثير من الاحترام والوقار، وتبادل المعارف، وحتى تقديم المساعدات والدعم وقت الحاجة، حيث ذكر **المرادي** نماذج عن هذه العلاقات الطيبة التي جمعت بين والده والعالم الجليل **ابراهيم الحافظ** الذي كان يقيم بمدرسة سليمان باشا العظيم مسؤولا عن خزانة الكتب، ثم سرقت بعض أشيائها وشيع أن المترجم هو الذي أخذها، فأخرجوه من المدرسة ظلما ولم يكن له علم بذلك، فشاعت في دمشق هذه الحكاية، فقد والد **المرادي** يد المساعدة لهذا العالم بإعطائه حجرة داخل مدرسة المرادية الكبرى، وعيَن له كل شهر ما يقوم به [2]، كما أن العالم الجليل **حسين المرادي** أشتهر بحبه للعلماء والأفاضل وسعى برعايهم وإكرامهم وبذل العطايا لهم [3]، وساعدت العلاقة الطيبة بين العالم **عبد الله الجركسي** والوزير **بوزقلي مصطفى باشا** الذي كان أحد وزراء السلطان **محمد خان** من أن يدخله إلى السرايا السلطانية، وترقى بعدها في أعلى الوظائف[4].

كما نزل الشيخ **عبد الرحمن العيدروس** ذو الأصول اليمنية دمشق عام **1182هـ/1768م**، واستقبله **حسين أفندي المرادي** في داره، فأكرمه وأحسن نزله هو وأخوه [5]، وكذا الأمر بالنسبة للسيد **سليمان الحموي** أن نزل عند أسرة العجلاني الذين جعلوه من أخصائهم وأنزلوه منهم منزلة الرحبة والمكانة وقاموا بلوازمه ومعاشه حتى توفي بدمشق [6]، وقد أحب **يوسف باشا** العلماء والصالحين[7] ورغم هذه المودة التي العلماء فيما بينهم، إلا أن ذلك لم يمنع هذا من وجود بعض

---

[1]- يوسف جميل نعيسة، **مدينة دمشق (1186- 1256ه/1772- 1840م)**، ج 2، ط1، دار طلاس، دمشق، 1986م، ص 402 .

[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص ص 8 – 9 .

[3]- نفسه، ج 2، ص 71.

[4]- نفسه، ج 3، ص 90 .

[5]- نفسه، ج 2، ص 328 .

[6]- نفسه، ج2، ص ص 167 – 168 .

[7]- نفسه، ج 4، ص 265 .

العلاقات المتوترة فيما بيهم والتي تحكمت فيها المصالح الدنيوية، فقد يلجأ البعض لتدبير المكائد والخدع لنيل الوظيفة دون غيرهم، حيث وليَ **عثمان الملاحي** وظيفة جباية أوقاف المصريين بمصر، وكان يذهب غالبا بنفسه ويأتي بها، وفي بعض الاحيان يرسل من ينوب عنه فيها، ثم نازعه **السيد علي بن جار الله** في وظيفة الإمامة، فسافر بسبب ذلك إلى الروم وجاء بأمر سلطاني و رفع يده عن المنصب واستقام له الأمر بعد ذلك [1]، وقد تتسبب بعض الأعيان في عزل العالم الجليل **السيد عبد الرحمن بن عبدي** الذي كان نقيبا على دمشق، فقام عليه رعاع الأشراف وهجموا على داره الكائنة بالقرب من باب القلعة وأرادوا إيقاع الضرر وتحريك الفتنة، مما أدت هذه الحادثة إلى إقالته من منصبه[2]، والأمر نفسه حدث لأ **حمد البكري** حين أعطيَ قضاء دمشق الشام ولم يتفق ذلك لغيره، فقامت جماعة من الأعيان كان بينه وبينهم مخاصمة، فعمدوا في ثاني يوم يشكون عليه لقاضي الشام، لكن في نفس اليوم جاءه منصب القضاء وهو في داره، فتوجه إلى المحكمة وأبرز المنشور السلطاني بتوليته القضاء[3].

لم تكن علاقة رجال الدين بالسلطة العثمانية على درجة واحدة من الاتفاق، فمن العلماء من كان يتهافت على أعتابها سعيا وراء مناصبها ليحتل مواقع رئيسة في المؤسسات المدنية والقضائية والدينية والتعليمية[4]، فالعلماء الأكثر نفوذا كانوا يسايرون الحكام الذين لم يبخلوا عليهم بفتح أبواب الأرباح الوفيرة والوظائف الهامة [5]، وفعلا بمجرد تقرب هذه الشريحة من العلماء إلى السلطة الحاكمة تحصل على ما ترقى إليه من المقام والرتب لتعيش بقية حياتها في بحبوحة دائمة وأحوال ميسورة، ففي هذا الصدد أورد **المرادي** أمثلة كثيرة، من بينها تمكن **خليل الصديقي** من تولي قضاء دمشق، ثم قضاء مكة المكرمة، ثم قاضيا في دار الملك مع رتبة قضاء عسكر أناضولي[6]، فضاع صيته إلى أن وصل وصل خبره للسلطان **مصطفى خان** ، فألبسه خلعة سلطانية [7]، ولما أراد المدرس **عبد الرحمن**

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 166 .
[2]- نفسه،ج 2، ص 303 .
[3]- نفسه، ج 1، ص.150 .
[4]- شليشر، المرجع السابق، ص 144 .
[5]- ريمون، المرجع السابق، ص 64 .
[6]- هي رتبة في القضاء حيث إذا ارتقى قاضي اسطنبول أصبح قاضي عسكر أناضول . انظر: صابان، المرجع السابق، ص 175. وهذا الأخير كان مسؤولا عن منطقة الأناضول والبلاد العربية والأسيوية ومصر. انظر: بيضون، المرجع السابق، ص 59. وهو يمثل المرجع الأعلى لغير المسلمين. للمزيد انظر: بيضون، المرجع السابق، ص 75.
[7]- المرادي، المصدر السابق، ج 2، ص 85 .

الكفرسوسي التدريس في قبة النسر بالجامع الأموي لم يبلغ مراده قَصَد والي دمشق الشهير **عبد الله باشا** المعروف بـ**الشتجي** ليقضي له مبتغاه[1]، وتمكن **عبد الله الحلمي** من الاجتماع بالسلطان **أحمد** وبعده **بالسلطان محمود،** حيث أكرم من جانبهما إذ جعله **السلطان محمود** مدرسا في دار الكتب[2]. كذلك نال **عثمان الحافظ** حظوة عند السلطان **مصطفى خان** وأعطيَ قضاء ديار بكر[3]، بكر[3]، كما قام **عثمان باشا** الوزير عام **1194هـ/1780م** بعمل زينة في دمشق على إثر ولادة **السلطان سليم خان** ابن **السلطان مصطفى خان،** فصارت المدينة بزينة عظيمة في سبعة أيام، وبذل صاحب الترجمة في ذلك أموالا عظيمة، فهذا الأمر يعكس مدى تكامل العلاقة بين العلماء والسلطة الحاكمة في القرن **12هـ/ 18 م.**

لقد عمدت السلطة العثمانية إلى التودد للعلماء والتقرب منهم باستعمال عدَة وسائل لاستمالتهم كعرض المناصب عليهم، حيث اتخذ السلطان **مصطفى خان إسماعيل أفندي القونوي** رئيس المعلمين بدار السعادة، ثم أخذه السلطان **عبد الحميد خان** الذي احترمه وكان يجتمع به ويسمع تقريره ويأمره أن يدرَس بحضرته[4].

وقد أشتهر أمر **عبد الرحمن بن عبدي** عند **السلطان مصطفى** فقربه منه، وترقى في مناصب عالية في أيامه [5]، واتخذ السلطان **أحمد خان الثالث عبد الله بدي قله لي** معلما للخط في دار السعادة السلطانية، وكان محترما عنده وعند أرباب الدولة [6]، وكانت أعيان القسطنطينية تراجع **السيد علي المرادي** في شؤون دمشق وحتى السلطان **مصطفى خان** كان يراجعه ويطلب دعاه ويوصيه بأهل دمشق[7]، وقد كلَف العلماء بمناصب جباية الضرائب، حيث أمر **يوسف الجابري** بالذهاب إلى إلى مصر في معية **عباس أفندي** أحد قضاة القسطنطينية للحصول على ما تعذر من الأموال الأميرية، فبلغ مقصده [8]، كما عملت السلطة على استمالة فئة العلماء عن طريق منح العطايا، فقد قام

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج2 ، ص 363.
[2]- نفسه، ج 3، ص 88.
[3]- نفسه، ص163.
[4]- نفسه، ج 1، ص 258.
[5]- نفسه، ج 2، ص 303 .
[6]- نفسه، ج 3، ص 84 .
[7]- نفسه ، ص 220 .
[8]- نفسه ، ج4، ص ص 248 – 249 .

السلطان **مصطفى خان** باستدعاء العالم **علي الكردي** من دمشق إلى دار الخلافة، وأنعم عليه الملك في كل سنة **ألفي قرش وخمسمائة قرش**[1].

استطاعت السلطة الحاكمة جعل العلماء كمبعوثين ومفاوضين عنها أيام الحرب والسلم، ومن ذلك نجد **أحمد الرسمي** الذي تولى منصب كتابة الصدر الوزير ثم صار رئيس الجاويشية، شارك في المعسكر السلطاني أيام الجهاد على روسيا، حيث كان أعيان الدولة بما فيهم الوزراء والأمراء والحكام يصغون إلى كلامه ويستشيرونه في ترتيب العساكر وتقليد المناصب، وكان ذلك في عهد السلطان **مصطفى خان** في المعسكر السلطاني [2]، وهذا يعكس لنا عن مدى كفاءة علماء ذلك القرن **12هـ/18م** فقد كانوا لا يقتصرون فقط على طلب العلم، بل يزاوجون بين العلم والحرب.

وقد أُختير **عبد الله التوني حوق** قاضيا للمعسكر السلطاني حين وقع خصام بين الدولة العلية وروسيا، وأعطي في آخر عمره رتبة قضاء عسكر أناضولي رفعا لمقامه [3]. كما أرسل **حسين بن معن** في عهد السلطان **محمد خان** إلى سلطان الهند كسفير، ورجع موفقا في مهامه، ولم يزل له في القسطنطينية شهرة بين رؤسائها حتى وفاته[4]. وفي الحقيقة هذا يفسر لنا أن علماء القرن **12هـ/ 18م 18م** كانوا يتقنون لغات غير لغتهم العربية، ناهيك عن استخدامهم كسفراء خدمة للدولة العلية، ونوّد في هذا المقام أن نوضح مدى تقدير السلطة العثمانية لفئة العلماء من خلال شخصية **حسين بن معن** والده **فخر الدين** الذي كان أميرا مشهورا لكنه خرج عن طاعة السلطنة واستولى على صفد حتى أنطاكية، فقام السلطان **مراد خان** بقتله وولده **سعود**، في حين ترك ابنه الآخر **الأمير حسين** وتم نقله للسراي الكبيرة وترقى في المراتب السلطانية وهذا فيه دلالة على أن **السلطان مراد** لم يأخذ وزر الولد بوزر أبيه، بل مكّنه في أركان الدولة، وفي المقابل **حسين بن معن** حفظ الجميل، فلما عرض عليه حكم الدروز أجابهم: «كيف بعد خدمة الدولة والسلطان والرتب السامية السلطانية وأصير حاكما على بلاد الدروز بعد أن استظليت بظل الدولة وارتضعت أفاويق نعمته وشملتني ببرها وهيبتها فهذا أمر محال.»[5].

ولم يقتصر اعتماد السلاطين على العلماء ذوي الرصيد المعرفي فقط، بل من العلماء من كان يحترف الطب، فلقد اعتمد السلطان **عبد الحميد خان** على **محمد عارف** في الأدوية والعلاجات

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 3 ، ص 219 .
[2]- نفسه، ج 1، ص 73 .
[3]- نفسه، ج 3، ص 106.
[4]- نفسه، ص ص 59 – 60 .
[5]- نفسه، ج 2 ، ص ص 59 – 60 .

واستعملها، وقد أحبه ورقاه المراتب العالية في مدة وجيزة، وصار رئيس الأطباء في دولة السلطان **مصطفى خان**[1].

في الحقيقة النماذج التي قدمها **المرادي** في مؤلفه، توضح لنا طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين السلطة وبين فئة العلماء، حيث كان الاحترام المتبادل بينهم أساس هذه الصلة، ناهيك عن سعي كل طرف لقضاء حوائجه من الطرف الآخر، فهي إذن علاقة تكاملية، فالعلماء كانوا ناطقين باسم سكان المدينة عند السلطة الحاكمة، كما لم يمنع سعي هذه الفئة نحو مصالحها المادية في الدولة العلية، والأمر مماثل بالنسبة للسلاطين العثمانيين فهم بحاجة لهؤلاء المحليين لاستتباب الأمن وتحقيق السيطرة.

وعليه كانت السلطة العثمانية الحاكمة تبجل العلماء وتعفيهم من الضرائب، وتقبل شفاعتهم بينها وبين الرعية في رفع الجور والظلم، وقد أكدت **ليلى الصباغ** هذا الكلام حين قالت: «لم يعرف عن السلطة قتلها العلماء أو التنكيل بهم إلا نادرا، فلم تكن تبيح قتلهم بل تطرد الذين يسرقون منهم إلى البلاد البعيدة »[2]، كما تقوم السلطة العثمانية بتطبيق السجن لبعضهم وعزل البعض الآخر، والمتتبع لمؤلف **سلك الدرر** يجد نماذج كثيرة سنحاول تقديم بعضها.

استطاع **أبو المكارم بن حبيب** أن يتولى منصب قاضي في الغلطة خارج القسطنطينية، وقد ساعده في هذا الترقي شيخ الإسلام **فيض الله** المفتي بالدولة العثمانية، لكن بمجرد قتل المذكور بأمر سلطاني، تعرض المترجم للنفي إلى بلدة بروسيا ومكث فيها إلى أن توفي [3]، كما طبق على **أسعد البكري** النفيَ كذلك بفعل وشاية والي دمشق الوزير **سليمان باشا البلطجي** ثم بأمر سلطاني تم إطلاق سراحه في **1119 هـ/1707م**[4]، والأمر نفسه حدث لوالد **مصطفى الأسطواني** الذي كان إماما في جامع السلطان **أحمد خان**، ثم نفيَ إلى جزيرة قبرس بأمر سلطاني [5]. وعزل الكثير من العلماء في دمشق خلال القرن **12هـ/ 18م** لا يفصح **المرادي** عن سبب العزل في الغالب، ومن

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 4 ، ص 37 .

[2]- ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري، المرجع السابق، ص 119 .

[3]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص ص 66 – 67 .

[4]- نفسه ، ص 224 .

[5]- نفسه،ج 4، ص 200.

أمثال هؤلاء نجد: **أسعد الإيراني**[1] و**السيد عبد الرحمن الكيلاني**[2] و**عبد الله الجركسي**[3] و**محمد عارف**[4].

وعلى الرغم من احترام السلطة الحاكمة للعلماء وتبجيلهم ومنحهم مختلف الوظائف وتقبل شفاعتهم وغير ذلك، إلا أنَ ثمة مجموعة أخرى منهم عاشوا بعيدين عنها وعملوا وكسبوا رزقهم من كدهم دون مساعدة هؤلاء الحكام، لكن **المرادي** في **سلك الدرر** لا يُخبرنا عن الأسباب التي جعلت هذه الفئة تفضل عزلة عن السلطة وتعمل لوحدها وقد قدم لنا نماذج من الأعيان نذكر بعضهم **صادق ابن الناشف** الذي «كان لا يكثر التردد لحكام دمشق»[5]، وفي الحقيقة كان أبوه من أحد أهم رؤساء الأجناد وعُرف بالورع، وهذا الورع كان يكفيه ويُغنيه عن سلاطين الدولة العثمانية. وأيضا عندنا **عبد المعطي الخليلي** الذي كان يتقشف في الملبس وفي المأكل فلا غرابة تفضيله الإنزواء عن حكام السياسة وكان **عبد الله المدرس** يتحاشى معاشرة الحكام بالرغم من ولوجه الدار السلطنة العلية لكن فضل التدريس في الفقه والحديث والتفسير بدل مخالطهم[6]. كذلك **علي التدمري** الدمشقي العلامة الذي كان فقيرا ثم انتمى إلى بعض الأعيان وعينوه لتعليم الأولاد ورغم حاجته وإمكانية الترقي في المراتب العليا بفضل علمه، إلا أنه لازم الطاعة والعبادة[7].

هكذا كانت علاقة الحكام بالسلطة الحاكمة خلال القرن **12هـ/18م**، كان يسودها في أغلب الأحيان الاحترام والوقار من طرف الحكام لتحقيق مصالحهم، وفي المقابل يسعى العلماء لكسب ودَهم والتودد إليهم لأجل طموحاتهم المادية، وإن كانت ثلة قليلة منهم فضَلت عدم التقرب من السلطة لأسباب لم يوضحها **المرادي** في مؤلفه **سلك الدرر** .

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 229 .
[2]- نفسه، ج 2، ص 295 .
[3]- نفسه، ج 3، ص 90 .
[4]- نفسه، ج 4، ص 37 .
[5]- نفسه، ج 2، ص 199 .
[6]- نفسه، ج 3، ص 137 .
[7]- نفسه، ص 202.

– وظائف العلماء

أ– هيئة القضاء:

سعى العلماء جاهدين إلى تولي مناصب هامة في «المؤسسات المدنية القضائية والدينية »[1]، ومن خلال اطلاعنا على أجزاء **سلك الدرر** تمكنا من رصد وظائف أعيان القرن **12هـ/ 18م**، التي ارتكزت في عمومها على مناصب القضاء والإفتاء والإمامة والخطابة ونقابة الأشراف، التي خصهم **المرادي** بقسط كبير من تراجمه، إضافة إلى مناصب أخرى مسّت الجانب السياسي كوزراء وسفراء ونحو ذلك. هذه الوظائف المذكورة آنفا لم يكن لها تنظيم هرمي رسمي ولم تشكل جهازا حكوميا ملحقا بالإدارة المركزية[2]، وبالرغم من أن هذه المناصب كان بعضها أعلى مكانة من البعض الآخر إلا أن تأثيرها «المعنوي والديني والفكري »[3] كان بالغ الأهمية على المسلمين في بلاد الشام، وأولى هذه الوظائف نذكر:

1) القضاء[4]:

عمل العثمانيون لبسط نفوذهم في بلاد الشام إلى ربط المؤسسة القضائية بالإدارة المركزية باسطنبول، لذلك استحدث السلطان **سليم الأول** (**875–918هـ/1470–1520م**)[5] منصب قاضي العسكر للعرب والعجم [6] واتخذ مقره بديار بكر، وليس معنى هذا أن الدولة العثمانية ألغت الجهاز القضائي الذي كان موجودا بالمنطقة بل قامت بإحداث تغييرات سياسية بحتة اتبعها السلطانيين **سليم الأول** و**سليمان القانوني**[7]، وقد تكوّن جهاز القضاء في دمشق خلال القرن **12هـ / 18م** من:

---

[1]- شليشر، المرجع السابق، ص 144

[2]- وجيه الكوثراني، **السلطة والمجتمع والعمل السياسي في تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام** ،ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 44.

[3]- شليشر، المرجع السابق، ص 144.

[4]- القضاء **لغة**: يعني الحكم وأصله قضاي لأنه من قضين، وجمعه الأقضية أو القضايا. ابن المنظور بن محمد مكرم، **لسان العرب المحيط**، إع: يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، 1970م ص ص 111- 112. أما **اصطلاحا:** فهو فصل الخصومات وقطع النزاعات بالحكم الشرعي على وجه محضوض، وسميَ القضاء حكما لما فيه من الحكمة في التوجب وضع الشيء في محله، لكونه يكف الظالم عن ظلمه. عبد العزيز محمد عرام، **النظام القضائي في الإسلام**، ج 1، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، د ت، ص 71.

[5]- علي بن محمد اللحمي الإشبيلي، **الدر المصان في سيرة المظفر سليم خان**، تح: هانس ارنست، دط، إحياء الكتب العربية، 1962م، ص ص ز-ح.

[6]- سهيل صابان، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية** ، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص 175.

[7]- سيد محمد سيد، **مصر في العصر العثماني" دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والمالية والعسكرية"**، ط 1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1997 م، ص 390.

أ– القاضي العام /قاضي القضاة:

كان القاضي العام يترأس التشكيل القضائي في الولاية أو المدينة، يعيّنه الباب العالي لمدة سنة واحدة[1]، ونادرا ما جدّد القاضي هذا المنصب إلاّ لعدد قليل [2]، ويحضر معه عدد من كبار الموظفين، يقيم في المحكمة الكبرى[3]. وعُرف قضاة دمشق بفئة "**الملا الكبير**"[4]الذين تميزوا بقدراتهم العلمية، أما أما القضاة العاديون يعينون من طرف قاضي عسكر الأناضول [5]، ومعظم من كان يعين في هذا المنصب من أصل رومي على المذهب الحنفي [6]، الذين كانوا يستمدون مكانتهم الاجتماعية من سلطتهم، لكن بمجرد عزلهم يفقدون نفوذهم [7] ويتسلمون مهامهم بواسطة فرمان يصدره شيخ الإسلام[8].ولما كان القضاة يمثلون الركيزة الأساس في البنية الإدارية العثمانية، سخر الباب العالي للقاضي العام كلّ الإمكانات المادية والمعنوية ليؤدي مهامه بكلّ حرية واستقلالية بعيدا عن كل الضغوطات[9].

من المهمات التي كان يقوم بها قاضي القضاة باعتباره رأس المحاكم الشرعية هي «تولي عمليا شؤون المسلمين عامة، وإلى حد بعيد الأمور الخاصة بالأقليات » واهتم بـ«التشريع الدّيني، المعاملات التجارية والمالية، والقضايا المتعلقة ببيع العقارات وتأجيرها، وحماية المؤسسات الدينية وأوقافها، الأمور المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق»[10]، كما شمل جميع ما يخص إدارة المدن[11].

ومقابل المهمات التي يقوم بها القاضي العام كان يتلقى أجرا غير منتظم وغير محدد، فتسمح له السلطة العثمانية بأخذ **2,5**٪من قيمة المعاملات القضائية التي تسمى بتكاليف المحكمة، هناك من

---

[1]- شليشر، المرجع السابق، 145.
[2]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 436.
[3]- ألكسندر وباتريك راسل، **تاريخ حلب في القرن الثامن عشر** ، مج 1، ط 1، د ب ، 1997 م، ص ص 190 – 197.
[4]- **الملا الكبير** : لفظ استخدم بمعنى السيد في العهد العثماني، و أطلق كذلك كلقب تشريف على قضاة العسكر. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996 م، ص 407.
[5]- أكرم كيدو ، **مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية** ، تر : هاشم الأيوبي، ط 1، جروس بروس، لبنان، 1992م، ص 12.
[6]- حوراني، المرجع السابق، ص 274.
[7]- نعيسة، المرجع السابق، ص 436.
[8]- كيدو، المرجع السابق، ص 12.
[9]- غربي، المرجع السابق، ص 89.
[10]- شليشر، المرجع السابق، ص 145.
[11]- ريمون، المرجع السابق، ص 96.

القضاة من حدّدت لهم رواتب تقاعدية بطريقة التأييد، كما حدّث لـ **أبي الصفا أيوب العدوي** الذي خصص له راتب تقاعد قضاء «قارا إلى أن مات عن طريق التأييد»[1].

ومن النماذج الذين شغلوا منصب قاضي القضاة ذوي أصول رومية أحناف عينتهم الأستانة في دمشق نذكر: محمد مكي (**1186–1187هـ/1772–1773م**) و إبراهيم أغا أفندي (**1189–1190/1774–1775م**)، عبد الرحمن أفندي حسين أغا زاده (**1196–1197هـ/1781 – 1782م**)، إمام زاده محمد أمين (**1199–1200هـ/1784–1785م**)، مفتي زاده إبراهيم سليم أفندي (**1210–1211هـ/1795– 1796م**)[2]وغيرهم.

يتضح لنا أنّه في القرن **12هـ/18م** تولى مهام قاضي قضاة حوالي **"ثلاث عشر شخصية"** ، جلهم أروام أحناف، وفترة التولي لم تتجاوز السنة الواحدة، وهذا دليل على تطبيق قانون السلطة المركزية باسطنبول، والحرص على تحقيق العدالة بين العامة، لكن السؤال الذي يبقى يطرح نفسه هو: لماذا حرصت الدولة العثمانية على سيادة مذهبها الحنفي في دمشق؟ ثم إلى أي مدى حقق أولئك القضاة العامون الإنصاف لرد حقوق الناس؟

كما ذكر **المرادي** في مؤلفه **سلك الدرر** قضاة عامون كانوا على مذاهب أخرى، أما القضاة الحنابلة هم: **أحمد الدومي**[3] القاضي **أسعد الوفائي**[4] **وعبد الرحيم البراذعي**[5] والقاضيان الشافعيان الشافعيان

ابن عبد الحق الحجازي[6]، **محمود الغزي**[7]، وفي هذا دلالة على مدى تعايش المذاهب الأربعة في في بلاد الشام وإن كانت الدولة العثمانية اتخذت المذهب الحنفي الرسمي لتطبيق الأحكام في القضاء، إلا أنها سمحت للمذاهب الأخرى بالتواجد بتعيين قضاة يتولون الحكم وفق مذاهبهم المختلفة.

ب– نائب القاضي:

كان القاضي العام يعيّن في كلّ ولاية قضاة من المذاهب السنية الأربعة بمثابة نواب عنه [8] في حالة مرضه أو عزله، أما في حالة وفاته يسيّر أعمال القضاء حتى تنتهي عهدته[9] وفي هذه الحالة

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 63.
[2]- للمزيد انظر: نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص ص 437- 438.
[3]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 219.
[4]- نفسه، ص 254.
[5]- نفسه، ج 3، ص 8.
[6]- نفسه، ج 4، ص 7.
[7]- نفسه، ص 126.
[8]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 435.
[9]- غربي، المرجع السابق، ص 95.

يسمى (نائب ما بين)[1].لقد تواجد الوكيل في المحكمة الخارجية لسماع القضايا الصغيرة[2]، وناب عن عن
القاضي العام في كل ولاية بحسب انتمائه المذهبي كي يساعده هذا الأخير في مهماته [3]، كما ينوبون عنه في القسمة العسكرية والقسمة البلدية وقضاء قافلة الحج الشامي ولهم سجلات خاصة بذلك[4].ومن الأسر العلمية التي شغلت هذا المنصب هي: أسرة آل البكري وأسرة حمزة، أسرة العمري العمري ولم تكتف هذه الأسر بممارسة وظيفة النائب بل احتكرت وظائف المحاكم المختلفة.

ج- الكاتب:

وظفت المحاكم كتابا من أجل «تدوين وقائع الجلسات في السجلات وإعداد الوثائق للتوقيع والختم»[5]، ومعظم الكتاب كانوا ينتمون إلى أسر راسخة في العلم.

د- ترجمان المحكمة:

هي الإرث القديم عن الأجداد والآباء عن بيت الترجمان وهو فيها صوري وينتفع من أرباب الدعاوي بما يتعيش وقد قيل أيضا في هذا الصدد «إنّ مهنة الترجمة يعيش منها أربابها»[6]، وشغل هذا هذا المنصب عدد من الشخصيات في محاكم دمشق.

هـ- وكيل الدعاوي (الأبوكات):

تعني المحامي المستعد لمعرفة وحفظ القوانين النظامية السياسية وبعض القوانين الشرعية المتفوق فيها، مع الجسارة في مجلس الحكومة وعدم الهيبة والدهشة من الرؤساء، وهذا الاستعداد لإفحام الخصم أو وكيله، مقابل شيء معلوم من الدنانير والدّراهم، فيأخذ الأبوكات شطرا من المشروط له في البداية، وعند انتهاء الدعوى يتم دفع الأجر الباقي[7].

وقد تواجد أولئك كالوكلاء عن الناس في محكمة القسمة العسكرية أو البلدية الكبرى ولم يكونوا موظفين رسميين بل كانوا ينوبون عن الناس في الدعاوي في المحاكم، ويناقشون القضاة في المسائل الفقهية، لكن سرعان ما أصدر قاضي القضاة أوامر لمنع الوكلاء من مناقشة المواد في محاكمهم، وتعاطي الوكالات لأنهم يعاملون الناس بالحيل وهناك أيضا من العلماء من اشتغل في

---

[1]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 436.
[2]- ألكسندر وباتريك، المرجع السابق، ص 191.
[3]- غربي، المرجع السابق، ص 88.
[4]- نعيسة، المرجع السابق، ص 437.
[5]- شليشر، المرجع السابق، ص 146.
[6]- القاسمي، قاموس الصناعات، ج 1، المرجع السابق، ص 70.
[7]- نفسه، ص 34.

الوكالة عن المتخاصمين لدى المحاكم. إلى جانب هذه الوظائف التي شكلت الجهاز القضائي، هناك وظيفة المحضر، المقيّد، المسوّد، البواب[1] وغير ذلك.

وقد توزع في دمشق عدد من المحاكم لحل النزاعات، أهمها المحكمة الكبرى [2] مقرها المدرسة الجوزية في سوق البزورية [3]، كما تدعى بمحكمة البزورية نسبة إلى مكان تواجدها [4]. أما المحكمة الفرعية، فتموقعت داخل دمشق وخارجها، وتوزعت في أماكن التجمعات السكانية بالمدينة مثل: محكمة الميدان[5] في حي الميدان أمام باب مصلى[6]، محكمة السنانية[7]في محلة السنانية قرب جامع سنان سنان باشا[8]، محكمة قناة العونية [9] بالقرب من جامع الجوزة في محلة العمارة البرانية القزازين [10]، ثم محكمة الصالحية وتقع في صالحية دمشق[11].

أما فيما يخص طريقة المحاكمة، فكان القاضي يجلس في قاعة مخصصة لذلك على بساط أو سجادة وإلى جانبه الكتاب وبعض الحجاب وأمامه الطرفان المتخاصمان في حالة الجلوس ويمثلان أمام شهود المحكمة ويكون باب المحكمة مفتوحا للجميع وبعد استماع القاضي للمتخاصمين يسجل أقوالهما، ويأخذ رسميا عن ذلك قرشا أو أكثر، وإذا حميّ النقاش بين الطرفين يدخل موظفو القاضي لإعادة الهدوء، وقد يستخدم القاضي العام عصاه أما إذا كانت الدعوى بسيطة وأقر المدعي عليه بحق المدعي يصدر قاضي القضاة الحكم ويخرج المتخاصمان من المحكمة باحترام، أما إذا كانت القضية معقدة تعرض من جديد على نائب القاضي العام، وإذا أشكلت الدّعوى على القاضي فقهيا طلب المعونة من المفتي ليصدر له فيها فتوى يمنحها للقاضي ليصدرها ويدفع المدعي رسميا له[12].

من الموضوعات التي عالجتها محاكم دمشق التي شملت: **قضايا الأحوال الشخصية (النكاح، الطلاق...)**، **الملكية، الأوقاف** وقد ذكر **المرادي** في مؤلفه **سلك الدرر** بعض الدّعاوي، كقضية **فتح الله الداديخي** والذي في أيامه أغلقت محكمة البيانية ووقعت «بعض منكرات وأمور مخلات

---

[1]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص ص 440 – 441..
[2]-المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 6.
[3]- شليشر، المرجع السابق، ص 146.
[4]- نعيسة، المرجع السابق، ص 436.
[5]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 197.
[6]- شليشر، المرجع السابق، ص 146.
[7]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص 173.
[8]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 436.
[9]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 56.
[10]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 437.
[11]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 10.
[12]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص ص 441 – 442.

فسُكرت»[1]، وألصقت التهمة بـ**فتح الله** لأنه كان يتولاها، لكن **المرادي** هنا اكتفى بعرض المشكلة ولم يذكر لنا كيف انتهت. كذلك العالم **عمر الأرمنازي** أتهم زورا أما القاضي من قبل شهود المحاكم بتدوين وثيقة إبراء بين الذميين وشكوا أنه عطل أبواب المحاكم، فلما اطلع القاضي **حسين بن أحمد** على الوثيقة أحضره ووبخه بعنف وهدده بقطع أصابعه إن كتب مرة أخرى أي وثيقة لأحد فحلف له، لكن **الأرمنازي** استطاع الإفلات من عقوبة بحنكته وسمح له القاضي في الأخير أن يكتب ما يشاء لكنه امتنع عن كتابة الوثائق[2]. وهناك أيضا قصة العلم **أحمد البقاعي** الذي قدّم فيه المفتي **محمد بن بن إبراهيم العمادي** دعوة قبيحة لقاضي دمشق، فلما مثلّ في المحكمة أثبت عليه شهود عدّة الذين كانوا من طرف **العمادي** حينما أمر القاضي بتعزيره وضربه وأهين إهانة بليغة واشتهرت بدمشق في ذلك الوقت[3].وعليه ومن خلال النماذج التي عُرضت، يمكن أن نستشف نوع العقوبات التي كانت مسلطة على المذنبين كقطع الأصابع أو العزل من المناصب، التعزير والضرب، التعرض للإهانة وغير ذلك.

أمّا إذا أردنا أن نطلّع على أحوال القضاء في القرن **12هـ/ 18م** في بلاد الشام، لا بد أن نطرح الإشكالية التالية: إذا كان القاضي العام تعينه اسطنبول وإذا كان نواب القضاة من أسر محلية احتكرت المنصب، فإلى أي مدى استطاع القاضي ونوابه إنصاف العامة؟ كيف أثّر احتكار الأسر الدمشقية على الوظيفة في انتشار الفساد في هيئة القضاء؟

وهنا يأتي جواب **أبو القاسم الزياني المغربي** :«هذه عادة قضاة المشرق كلهم، نسأل الله السلامة العامة في هذه الورطة، فقد عمّت البلوى في هذه الدولة العثمانية... وبلاد الشام، وباعوا آخرتهم بدنياهم متفقين على ذلك من غير توقف ولا تأمل، ولا خوف ولا استحياء ولا تستر... فإنها عندهم جباية في أصول يسمونها بالمحصول، فتجد القاضي يناضل على قبضه من غير ارتياء ولا استحياء ولا حشمة ولا اعتبار لشفقة أو رحمة كأنه حق واجب ويزاد للجليس والحاجب... فيا حسرة على الأحكام الشرعية المرضية المرعية، فقد ضاعت حقوقها وشاع عقوقها»[4].

من خلال القول نستشف حقيقة مفاسد القضاء في القرن **12هـ/ 18م**، حيث انتشرت الرشوة بسبب جشع وطمع أولئك القضاة، الذين سعوا لشراء المناصب في سوق المساومة، ويكون المنصب

---

[1]- نفسه، ص 275 ومابعدها.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 183.
[3]- نفسه، ج 1، ص 206.
[4]- أبو القاسم الزياني، **الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برّا و بحرا** ، تح: عبد الكريم الفيلالي، ط 1، دار المعرفة، الرباط، 1991 م، ص ص 278 – 279.

للذي يدفع أغلى ثمن، لذلك احتكرت الأسر هذه الوظيفة، فهاهو **السيد عبد الرزاق البهنسي** نصب الحيلة في نيابة بعض محاكم الأطراف، وانتصب لإجراء الأحكام، ‹‹فجرى في سوح الجو والإسراف فتحققت إساءة الظنون فيه والظلم [1]››. كذلك العالم **عبد القادر التغلبي** لم يرض بتناول فنجان القهوة في حضرة القاضي، وحين سأله هذا الأخير «من أين تكتسب؟»، أجابه «عمل يدي في تجليد الكتب وقد حججت بحمد الله تعالى أربع مرات »، فقال له القاضي : « كيف هذا؟»، ردّ عليه الجواب الشافي:«إنّ الله تعالى خلق آدم واحدا وبارك في ذريته حتى ملئوا الدنيا كذلك يبارك الله في الرزق القليل حتى يكون كثيرا »، فأذعن القاضي لذلك [2]. من خلال رده يؤكد العالم أنّ المال الحلال يبارك فيه المولى تعالى ويضاعفه، في حين مال القاضي حرام وصار محل شبهة عند **التغلبي** مما يبرهن على فساد القاضي وأتباعه.

سعى القضاة أيضا لكسب أكبر باتخاذ أساليب ملتوية كبيع المناصب التابعة لهم مقابل مبالغ مالية[3]، أو كتنصيب القاضي العام نفسه وصيا على تركات الرعايا الذين يموتون في المدينة خلال وجوده، لكي يمهر بخاتمه على بيوتهم وممتلكاتهم فور وفاة الشخص، ويضطر الورثة للتفاوض والاتفاق معه على نسبة معينة من القيمة المقدّرة للعقار، ناهيك عن مطالبته في جميع القضايا التي تعرض عليه بـ«نسبة عشرة في المائة على المبلغ المتنازع عليه، ليدفعه الشخص الذي يكسب القضية ». كذلك يستطيع القاضي كسب المال بالرّشوة سرا بهدف تأخير البث في القضية، أو في حالة رفض القرائن وبالتالي يكون الحكم مناقضا للحقيقة، أو يتم الإسراع في النطق به عندما يكون القرار لصالح الراشي، وتفشي الفساد في جهاز القضاء كان بسبب اعتماد الوقائع في محل النزاعات على الأدلة الشفوية، ممّا يسهل إصدار الأحكام ظلما وجورا انطلاقا من شهود الزور، يمكن العثور عليهم واستئجارهم من أجل حلف اليمين في المحكمة [4]. فإذا كان القاضي يمثل العدالة الإلهية في الأرض ويضمن الحقوق وينصر المظلوم ويستعمل الطرق الملتوية لجمع الثروة، فكيف يستطيع أن يحفظ حقوق العامة ويحميهم من الظالمين وينصر الحق؟

ولا ننسى في هذا المقام، احتكار الأسس المحلية للمناصب القضائية لا لشيء سوى لأنهم يملكون نفوذا سياسيا يمكنهم من اعتلاء الوظيفة لمدّة طويلة وبهذا هم يحرمون علماء آخرين أكثر منهم كفاءة ومقدرة على ردّ المظالم عن النّاس، وإلى غاية القرن **13هـ/19م**«حافظت أسرة أل

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 3، ص 21.
[2]- نفسه ، ص 59.
[3]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 442.
[4]- ألكسندر وباتريك، المرجع السابق، ص 191.

العمري على مكانتهم»[1]، لكأن القضاء الذي يمثل تطبيق الشرع الإسلامي بين العباد أضحى تشريعا أكثر منه تكليفا.

ويورد لنا **المرادي** نموذجا آخر يفضح لنا المفاسد التي كان القضاء يعانيها جراء موظفيه، وهذه المرة مع كتاب القسمة العسكرية بدمشق واسمه **السيد يحي الجالقي** حيث قال فيه العلامة **السيد فضل الله البهنسي**:

حسبك امرىء عمره تسعون ماضية أتت عليه بأسقام و أمراض
ويشتري الموت في دنياه من أحد لكان بالغين يشريه بإقراض
كمثل يحي الذي أضحى له مائه من السنين مر منها لم يكن راض
تراه يمشي حبوا و هو ذو ولع في أخذه قسمة الأيتام للقاضي.[2]

ب– هيئة الإفتاء:

استطاع السلطان **سليم خان**[3] تنظيم أمور الإفتاء منذ دخوله دمشق في القرن **10هـ/16م**، حيث خصص فتوى لكلّ مذهب برجل واحد من علماء المذهب [4]، لكن تقدم المفتي الحنفي على باقي مفتي المذاهب الأخرى، لأنّه لقي الدعم والحماية باعتباره يمثل السلطة المركزية باسطنبول، في حين المذهب المالكي لم يلق الرّواج إلا في حدود **1264هـ/1847م** أين خصص له الباب العالي مفتي مالكي، لأنّ أتباعه قلّة وجلّهم من المغرب العربي الذين وفدوا دمشق[5].وقد تشكل جهاز الإفتاء من موظفين أهمهم:

1– المفتي:

حظيّ المفتي بمكانة عالية، لأنّ الفقهاء أولياء الله ولأنّ آذاهم هو في حدّ ذاته أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم[6]، وقد وضّح **المرادي** في مؤلفه **عرف البشام** جملة من الشروط يتقيّد بها المفتي، المفتي، منها أن لا يذّل العلم ولا يذهب به إلى مكان ينسب إلى من يتعلمه منه، بل يصون العلم عن

---

[1]- شليشر، المرجع السابق، ص 146.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج4، ص 5.
[3]- **سليم خان**: هو السلطان سليم بن أبي يزيد بن محمد، تاسع ملوك آل عثمان، ولد سنة **872هـ /1467م** وتولى الحكم سنة 918هـ/1506م، توفي عام 926هـ/1514م. للمزيد انظر: المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 2.
[4]- نفسه، ص 3.
[5]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 444.
[6]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص ص 4 – 5.

ذلك كما صانه السلف وأن يكون عالما بعلمه عاملا به فلا ينهي خلقا ويأتي مثله [1] لقول الله تعالى: " **أتامرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** "[2]، ولما كان المفتي وارث الأنبياء وقائم بفرض الكفاية فعليه أن يحذر الخطأ، لأنّه معرض للزّلل وفي هذه الحالة عليه أن يتوقف [3]، مصداقا لقوله تعالى: "**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** "[4].

ولما كان منصب المفتي المنصب الأعلى سلطة في مذهبه، فإنّ الذي يعيّن في هذا المقام يكون من بين العلماء الأكثر نفوذا في دمشق [5]، يُنصبه شيخ الإسلام سنويا ويبقى فيه سنوات عديدة [6] وحين يتوفى هذا الأخير فإنّه يخلق أزمة بين أطراف تؤيّد هذا المرشح وأخرى تناصر سواه من المفتين، لأنّه وإن كان تعيين المفتي من صلاحيات شيخ الإسلام في الباب العالي ينفذه القاضي العام، إلاّ أنّه يراعي في المقام الأوّل تأييد علماء دمشق، وما يصلح للعامة[7].

كان للمفتي مهمات يقوم بها منها مراقبة القرارات التي تتخذها المحاكم العثمانية في دمشق ويصدر الأحكام الشرعية حول جميع الأمور التي تعرض عليه [8]، كما يسهم في حلّ النزاعات التي تعجز المحكمة الفصل فيها ويقدم المشورة لسكان القرى والأماكن البعيدة وغير ذلك [9]، وقد عدّ المفتي المفتي المرجع الرئيس في المسائل الفقهية، والمفسر لأي إشكال قانوني[10].

مقابل العمل الذي يقوم به المفتي يتلقى أجرا لفتاويه التي بلغت في القرن **13هـ/19م** حوالي بضعة **بارات**[11] **أو قروش**[12]، وكان هذا الأخير – المفتي – يتصدى للفتوى من خلال عرض المستفتي سؤاله على قصاصه من الورق تدوّن عليها المسألة في بضع كلمات ويتعدى الرّسم الذي يتقاضاه عليها أكثر من **شلن**[13]، ثم يتلقى السائل الجواب بالسلب أو الإيجاب[1].

---

[1]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 7.
[2]- سورة البقرة، الآية 44.
[3]- المرادي، عرف البشام، المصدر السابق، ص 8.
[4]- سورة النساء، الآية 176. للمزيد انظر: المرادي، عرف البشام، ص 12 وما بعدها.
[5]- شليشر، المرجع السابق، ص 148.
[6]- ألكسندر وباتريك، المرجع السابق، ص 192.
[7]- شليشر، المرجع السابق، ص 148
[8]- ألكسندر وباتريك، المرجع السابق، ص 192.
[9]- شليشر، المرجع السابق، ص 147.
[10]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 444.
[11]- **البارة**: الاسم العام للنقد أو الفلوس والدراهم، و هي نقد معدني، والبارة تساوي أكثر بقليل من خمسة قراريط، أما القرش الواحد يساوي أربعين بارة ووزنه اثنا عشر قيراطا من الفضة. سهيل صابان، المرجع السابق، ص 51.
[12]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 444.
[13]- ألكسندر وباتريك، المرجع السابق، ص 192.

من الفتاوى التي أثيرت في القرن **12هـ/18م** قضية سماع الآلات، فقد كان الشيخ الصوفي **عليم الله الهندي** يسمع الآلات مع الإنشاد وعندما سئل عن حكم سماع الآلات فأجاب:" إنها لا تحدث شيئا جديدا في القلب وإنما تحرك ما كان كامنا فيه.". لكن هذا الرد لم يقنع **المرادي** واعتبره جوابا صوفيا وفعلا هو كذلك لأنه ما هو بالمفتي الذي تستوجب فيه الشروط الآنفة الذكر التي حددها **المرادي** في مؤلفه **عرف البشام**، ناهيك عن الرد الفاصل في هذه المسألة بالجواز بالسماع. والذي أعجبه هو جواب المفتي **عبد الرحمن العمادي** الدمشقي حين رفع إليه السؤال فأجاب بقوله: " أقول قد حرمه من لا يعترض عليه لصدق مقاله وأباحه من لا ينكر عليه لقوة حاله فمن وجد في قلبه شيئا من نور المعرفة فليتقدم وإلا الوقوف عندما حده الشرع الشريف أسلم والله تعالى أعلى وأعلم و أحكم."[2]، وهنا الجواب هنا أقنع **المرادي**.

هناك مسألة أخرى أثيرت في كتاب **سلك الدرر** تناولت حكم الدخان وشاربه، فما جاء في سيرة العالم الخطيب **الشيخ حسن الحنبلي** أنه "كان شديد الإنكار والتعصب على الدخان وشاربه حتى كاد أن يقول بحرمته."وإذا حضر أحدهم مجلسه وشرب الدخان أمسك أنفه بأصابعه وتأنف وقال: "يا أخي اكفف أذاك عنا." [3]، لكن اعتراه مرض فعالجه ولم يشف، فوصف له الدخان كدواء وتوقف عنه الألم لبرهة، وزاد عليه بعد تركه ثم ترك الاعتراض وشربه . نلاحظ هنا، الضرورات تبيح المحذورات فإذا كان التدخين حرم فلما له من ضرر على جسم المسلم، ثم أضحى مباحا عند الضرورة لما فيه من قدرة على العلاج.

وهناك فتوى أخرى طرحت عن تعدد الزوجات، لكن هذه المرة جرت في شكل مراسلة شعرية. حيث سأل الأديب **مصطفى الترزي** مفتي الحنفي بدمشق **حامد بن علي العمادي** فقال:

ما قول سيدنا مفتيا الأنام ومن سمت فضائله فوق السماكين.[4]

إلى أن يعرض قضيته فيقول:

فيمن له زوجتا سوء يبرهما ويبغضاه بلا ذنب ولا مين
وطال مكثهما دهر الدية وقد غدا من الهم في أسر وفي هون
والآن يبغي فتاة السن ناضرة تجلو صدى قلبه باللطف واللين
يروم تزويجها بالشرع متبعا نهج الهدى غير مأثوم ومأفون

---

[1]- عبد الله حنا، المرجع السابق، ص 30.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج3، ص 261.
[3]- نفسه، ج 2، ص 31.
[4]- نفسه، ج1، ص 264.

والزوجتان مع الأولاد أجمعهم قاموا علي كأغوال الشياطين
قالوا بأني ارتكبت الآن معصية لم يرتكبها طريد في الملاعين.[1]

فأجابه **ابن العمادي**:

الله حمدي وشكري دائما ديني ثم الصلاة على من جاء بالدين.

إلى أن يقول:

مثنى وثلاث ورباع ليس معصية إن يأخذ المرء عرف وفي دين
فما نهى الشرع عما أنت طالبه وليس مثلبة فيه لمفتون
لكن ذا بشروط أنت تعرفها إياك إياك من خلق الملاعين
وخير مأوى لشخص يطمئن به حسناء كاملة في العقل والدين

ثم يقول في الأخير:

وابن العمادي أجاب السؤال حامدكم مفتي دمشق وربي اله يهديني.[2]

ومن بعد هذا الشعر أردفه بالنثر في هذه المسألة.

من أهم الأسر التي شغلت هذا المنصب على المذهب الحنفي، **أسرة المرادي** و**المنيني** و**المحاسني** وغير ذلك ، أما على المذهب الشافعي تصدر للإفتاء **آل الغزي** وغيرها، وعلى المذهب الحنبلي نجد: **آل البعلي** و**السيوطي**[3].

2- أمين الفتوى:

ساعد المفتي في مهامه أمين الفتوى [4] وكان له تقريبا نفس مهام القاضي، حيث يقوم بعد الاستفتاء من طرف المستفتي عرض الفتوى على المفتي ليجيب عليها وكثيرا ما يجيب هو عنها ذلك لتضلعه في الفقه وعلوم الدين[5]، كما يقدّم الأمين رأيه في دعوى متنازع عليها في المحاكم إذا لم يفصل فيها القاضي العام ونوابه، ويستعان به في المشورة من طرف سكان القرى أو المناطق البعيدة، حيث لا تتوفر المراجع اللازمة في التشريع[6].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج1، ص 264.
[2]- نفسه، ص ص 265-266.
[3]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 446.
[4]- **أمين الفتوى**: هو الموظف المسؤول في المشيخة الإسلامية عن إعداد أجوبة الأسئلة الموجهة لشيخ الإسلام، والتدقيق في القرارات المتخذة في المحاكم الشرعية، وقد استحدث هذا المنصب في عهد السلطان سليمان . انظر: سهيل صابان، المرجع السابق، ص 38.
[5]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 447.
[6]- شليشر، المرجع السابق، ص 147.

ويتشكل جهاز الإفتاء من موظفين آخرين منهم: الكتاب، المسودون.

كان علماء دمشق خلال الفترة المدروسة يفتون كلّ حسب المذهب الذي ينتمي إليه،ولما كانت السلطة المركزية للدولة حنفية فجاء الترتيب كالتالي: المذهب الحنفي والمذهب الشافعي ثم المذهب الحنبلي وأخيرا المذهب المالكي. ولما برز الوهابيون في شبه الجزيرة العربية الذين واجهوا القوات العثمانية[1]، تحول أتباع المذهب الحنبلي والشافعي إلى المذهب الحنفي لإظهار الولاء للباب العالي من العلماء الدمشقيين[2]، ناهيك عن تحقيق أطماع دنيوية.

ج- التدريس:

لقد حظيت وظيفة التدريس والمدرّس بمكانة عالية لدى المجتمع الدمشقي والسلطة المحلية خلال القرن **12هـ/18م**، هذا المنصب الذي لم يكن حكرا على أبناء دمشق لوحدهم بل اختلفت أصول أولئك العلماء المدرسين من عرب وأعاجم وأكراد.

تشكلت هيئة التدريس من علماء موظفين سيروا المؤسسة التعليمية وعلى رأس أولئك نجد:

1- المدرّس:

أطلق عليه عدّة ألقاب منها: المعلم والشيخ والمطوّع، أما على المرأة المدرّسة أطلق عليها لقب (الخوجة)[3]، وتنوّعت شروط الالتحاق بوظيفة التدريس حسب وقفية المدرسة، فإذا كان العالم (مؤدّب الكتاب) يكفيه أن يكون «حافظا لكتاب الله»[4] وعارفا بالكتابة والحساب الأولى والخط [5]، أما إذا كان العالم في المدارس العليا (الجوامع)، فعليه:

1- أن يكون ذا ثقافة موسوعية، وله العديد من الإجازات[6].

2- أن يمتاز بالذكاء والفضيلة[7] وأن يكون ذو أخلاق وطيب العشرة وحسن المطارحة[8].

3- أن يعبر بفصاحة وبيان[9].

---

[1]- أوغلي، المرجع السابق، ج2، ص 372.
[2]- شليشر، المرجع السابق، ص 150.
[3]- أوغلي، المرجع السابق،ج2، ص 309.
[4]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 52.
[5]- القاسمي، قاموس الصناعات، ج 2، المرجع السابق، ص 408.
[6]- أوغلي، المرجع السابق، ص 334.
[7]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 38.
[8]- نفسه، ص 51.
[9]- نفسه، ج 2، ص 235.

4- التضلع في عدّة علوم ومعارف[1].

5- سريع الاستحضار[2].

ناهيك عن الشروط المتقدّمة في المدرّس، فإنّ الذي يعينه في منصبه هو القاضي الرومي الحنفي في ولاية الشام من خلال اقتراحه جملة من أسماء العلماء المدرّسين متوخيا في ذلك الشروط السابقة ووفق شروط الواقف ولن يكون التعيين الفعلي له إلا بعد وصول "البراءة" [3]، ويمكن أن تعين السلطة العثمانية من تراه مناسبا غير الذي رشحه القاضي[4].

أما فيما يخص طريقة التدريس كان المدرّس يلقي الدروس على طلابه في علوم شتى ولم يتخصص في مادة واحدة، فقد عكف نجباء الطلبة على **عثمان الشمعة** الذي درس«في أكثر من عشرة علوم في أصول الدّين والفقه والفرائض والحساب... »، كذلك العالم المدرّس **السيد علي العطار** الذي درّس:«الهيئة والصرف والمنطق والمعاني والبيان والفرائض والفقه والفلك وغير ذلك.»[5].

أما أجرة المدرّس تقاضى مشايخ الكتاب في دمشق «خمس وعشرين بارة إلى قرش » كل يوم خميس على كل ولد، ويسمى الأجر ب **الخميسية**، وممكن يأخذ من الأولاد أجرة تصل إلى **ستة قروش** فصاعدا، ناهيك عن مرتبات إذا أتمّ الصبي السور. وكان يصل عدد الأولاد في بعض الكتاتيب ما يقرب **مائتي** صبي مما يوفر موردا غزيرا، أما في المكاتب الرسمية المعينة من قبل إدارة المعارف (المدارس العليا) فلها معلميها ولهم ترتيب خاص من معلم أوّل وثان [6]. في العموم أجرة المدرّسين كانت تحدد من طرف إدارة الأوقاف الموجودة في كلّ مركز ولاية، كما كان العلماء المدرّسون يتلقون الهدايا والعطايا خلال مناسبات معينة [7]، ناهيك عن ضريبة الجوالي التي هي جزية على غير المسلمين التي كانت توزع أموالها على العلماء[8].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص 39.

[2]- نفسه، ج 2، ص 30.

[3]-**البراءة**: هي شهادة أو أمر صادر عن الدولة، يقضي بالإذن لحامله في مباشرة العمل المكلف به ضمن دائرة اختصاصه. مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**، ط1، مؤسسة الرسالة، ص 71.

[4]- أوغلي، المرجع السابق ،ج2 ، ص 333.

[5]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص ص 166 -202.

[6]- القاسمي، المرجع السابق، ج2، ص 408.

[7]- أوغلي، المرجع السابق،ج2، ص ص 333 – 334.

[8]- ليلى الصباغ، أعلام الفكر، المرجع السابق، ص 246.

وقد ذكر **المرادي** في مؤلفه أن العالم المدرس **أبو الفتح العجلوني** كان يتقاضى «عشرة دراهم عثمانية كل يوم» في مدرسة الوزير **إسماعيل باشا العظم**[1]، لكن رغم هذه المهيّة فقد اشتغل بعض العلماء المدرّسين بحرف أخرى مثل: **عبد الرحيم المنير** الذي عمل بـ «نسخ الكتب لأجل المعيشة ولما ضاقت به الأحوال في سنة إحدى وخمسين ذهب إلى إسلامبول لأجل المعيشة »،كما اشتغل العالم **السيد عبد اللّطيف الكيلاني** بـ«بيع الكتب وصنعة الصحافة »[2]، كذلك نجد العالم المدّرس **الشيخ أسعد** عمل بتجليد الكتب [3]. وقد توارثت أسر دمشقية التدريس واحتكروا هذه الوظيفة ومنهم: أسرة **آل الغزي** و**المحبي** و**المحاسني**.

2- المعيد:

هو ذلك الطالب الذي يساعد مدّرسه في إعادة الدّرس للطلاب بعد أن يكونوا سمعوه من مدّرسهم وفي الغالب يقوم المعيد بهذه المهمة وهو لا يزال طالبا يتابع دروسه[4]، كما يكون أحد الطلبة الملازمين للشيخ المدّرس كالعالم **يحيى الأسطواني** الذي لازم الفقيه **علم الدين ابن صالح الجنيني** وأعاد درسه مدّة سنين[5].

وكان للمعيد جملة من المواصفات تشابه المدّرس كالبراعة والتفوق، الذكاء التام وحذق زائد، قوّة حافظة وسرعة حفظ ومتانة مع حسن الأخلاق، نظافة الملبوس وحسن المطارحة والصحبة، جودة الخط وسرعته وكثرة العقل وحسن التدبير والإدراك التام [6]. ومن المعيدين من زاوج بين مهنة التدريس والإعادة، ونذكر منهم: **إبراهيم بن محمد الرومي** و**عثمان القطان** إلى غير ذلك.

3- الوكيل:

كان لكلّ مدرس وكيل من الطلاب ينوب عنه أثناء انشغاله بالسفر لطلب العلم أو الحج، فقد كان العالم **محمد الأسبيري** يدّرس في المدرسة الكلتاوية والمدرسة الشعبانية ، ونظرا لانشغالاته جعل وكيلا له هو **السيد عمر** في المدرسة الخنسرونية والشيخ **يوسف النابلسي** وكيله في المدرسة الشعبانية[7].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر،ج 1، ص 66.
[2]- نفسه، ج 3، ص 6.
[3]- نفسه، ص 133.
[4]- ليلى الصباغ، المجتمع السوري، المرجع السابق، ص ص 171 – 172.
[5]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 229.
[6]- نفسه، ج 1، ص 146.
[7]- نفسه، ج 4، ص 121.

4- الطلبة:

في المدارس التقليدية كان عدد الطلبة يختلف من مدرسة إلى أخرى بحسب الوقفية التي تحدّد عدد الطلاب المجاورين للمدرسة أو الجامع، كما تحدّد عدد المدّرسين [1]، ولم نجد في مؤلف **المرادي سلك الدرر** عدد الطلبة الذين تواجدوا بالمدارس بل يكتفي بالقول: « لزمه الطلبة للانتفاع والاستفادة...وانتفع به خلق وأخذ عنه جم غفير »[2]، وأيضا: «درس بالمدرسة اليونسية مدّة مديدة ولزمه جماعة أخذوا عنه»[3]، و«إنه كثير الدروس وانتفعت به الطلبة»[4].

وفي ملمح لطيف، يبرز لنا **المرادي** في ثنايا مؤلفه علاقة المدّرس بطلابه وعلاقة طالب العلم بأستاذه التي في مجملها كان يسودها الاحترام والوقار المتبادل، وإن كانت العلاقة في بعض الأحيان يشوبها الاستهزاء والسخرية، فعلى سبيل المثال لدينا قصة العالم المدّرس **قاسم الخاني** التي حكى فيها عن استهزاء الطلاب به فقال: «أقرأت بعض الطلبة وكان أكثر الطلبة يضحكون ويستهزؤون عليّ ويقولون نحن لنا عشر سنين نخدم العلم ولم نتجرأ فيأتي بعضهم إلى مجلس درسي مستهزئا فوالله ما يقوم من ذلك المجلس إلاّ وقد تبدل إنكاره بالاعتقاد وفي ثاني يوم يأتي ويقرأ عليّ ويقول هذا الأمر من خوارق العادة وبقيت على ذلك سنة.»[5].

وطلبا للعلم ولأغراض أخرى كالبحث عن الوظائف رحل العديد من الطلبة الدمشقيين إلى أصقاع البلاد العربية الإسلامية كاسطنبول التي قصدها العالم **السيد عبد المنعم بن الأشرف** [6] و**السيد علي الخباز**[7] و**أبو الإسعاد بن أيوب**[8]. في المقابل هنا جملة من طلاب العلم الأتراك قصدوا قصدوا الشام للتزود بالمعارف على رأسهم نجد **إسماعيل الرومي**[9] والعالم **إسحاق أفندي منلا جق زاده** و**أبو الصفا برهان الذين الحلب**[10].

---

[1]- فتيحة علواش، **الحياة الفكرية في مصر والشام خلال الفترة العثمانية من الربع الأول من القرن10هـ/16م إلى منتصف القرن 13هـ/19م**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر (مرقونة)،جامعة الجزائر، 2014م، ص 200.

[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 209.

[3]- نفسه، ص 76.

[4]- نفسه، ج 4، ص 27.

[5]- نفسه ، ص 10.

[6]- نفسه،ج3، ص 140.

[7]- نفسه، ج 1، ص 217.

[8]- نفسه، ص 51.

[9]- نفسه، ص 255.

[10]- نفسه ، ص 221.

تعليم المرأة:

إذا سألنا عن موقع المرأة في الحياة الفكرية خلال القرن **12هـ / 18م**، فلم يغفل **المرادي** عن ذكر تراجم للنّساء – في زمنه – اللّواتي تفوقن سواء كمعلمات أو شاعرات ومتصوفات، فالمؤلف لم يعدم الإشارة العابرة في ثنايا تراجمه إلى امرأة بارزة واحدة وهي **زبيدة القسطنطينية** حيث يصفها بقوله: «كانت تخترع كل معنى مبتكر تحار فيه الألباب والفكر »[1]، وقال عنها أيضا: «شعرها بليغ حسن مقبول قل أن يماثله شعر أحد من شعراء العصر، يعجز عن فهمه الدراكة من ذوي النهى»[2].

هذه الشاعرة من أصل تركي نشأت بكنف والدها الذي كان شيخ الإسلام **أسعد** مفتي الدولة العثمانية قرأت القرآن الكريم أخذت الفنون واطلّعت على الفقه واللغة والأدب، ناهيك عن نظمها الشعر الفارسي والتركي. وتعليم هذه المرأة يدل على أنه ثمة بنات تلتحقن بالكتاتيب ويتعلمن مثل الذكور، «لأن بعض الكتاتيب كانت مخصصة للإناث فقط، لكن يتوقفن عن طلب العلم في سن 9 سنوات»[3]، والتي كانت تدرسهن تسمى بالخاجا[4].

يبدو أن **زبيدة القسطنطينية** كانت من العائلات الميسورة حصّلت القراءة والكتابة وحفظت القرآن الكريم وزادت عن ذلك بنظم الشعر، والأكيد أنها أخذت عن أبيها وأخيها أو جلب إليها معلما طاعنا في السن؛ لأنّ بعض العائلات المستنيرة فكريا كانت تحضر «معلما طاعنا في السن أو أعمى، وقد تتابع بعضهن دراستها وحدها، أو بإرشاد من بعض ذويها كالأب والأخ، أو الزوج »[5]، مثل **باي ختون** الحلبية الشافعية (توفيت **942هـ / 1535م**) التي قرأت على عمها **ابن الشماع** و**زينب الغزية** الشافعية ابنة **محمد الغزي** (**910 – 980هـ / 1505 – 1572م**) أخذت العلم عن والدها وأخيها[6]، في حين **فاطمة بنت قريمزان** الحلبية أخذت العلم عن زوجها **كمال الأردبيلي**[7].

فقد كان **أنيس الحمصي الدمشقي** في الشام يعظ النسوة في الجامع الأموي وكنّ يحضرن إليه للتعلم كلّ يوم في مشهد الحسين، كذلك في مصر كن يحضرن الدروس في الأزهر من بينهن امرأة

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 2، ص 117.
[2]- نفسه، ص 118.
[3]- الصباغ، المجتمع السوري، المرجع السابق، ص 153.
[4]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 388. **خاجا أو خوجه** : معلم ومدرس تلفظ بالهاء . انظر: محمود عامر، **المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية** ، مجلة دراسات تاريخية، عدد 117 – 118، كانون الثاني حزيران عام 2012م، ص 373.
[5]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 359.
[6]- نجم الدين محمد بن محمد الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة** ، ج2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م، ص 128، ص 129، ص 238.
[7]- نفسه، ص ص 154 – 155.

عمياء تحضر دروس الشيخ **عبد الله الشرقاوي**[1]. والأمر نفسه بالحجاز، حيث كانت النساء تحضرن يومي الثلاثاء والجمعة المسجد الحرام لحضور دروس الشيخ **سعيد بابصيل**[2]، هذا فيه دلالة على حرص المرأة لتعلم أمور دينها ودنياها. ومن النساء الشاميات اللواتي برزن خلال هذه الفترة نجد **عائشة الكنانية** و**زينب الشويكة**[3] و**عائشة بنت الهادي** وغيرهن، هن نسوة درسن العلوم الشرعية والتصوف ومَهرن بنظم الشعر[4].

ما نستطيع قوله، أنّ تعليم المرأة خلال القرن **12هـ/18م** كان في حدود ضيّقة ولم تبرز نساء كثيرات في هذا المجال، فـ**المرادي** في تراجمه التي بلغت حوالي **753** سيرة لم يذكر سوى امرأة واحدة ذات الأصول الرومية وبالرغم من قراءته لديوانها الشعري البليغ الحسن المعنى حس رأيه طبعا، وبالرغم كذلك من ذيوع صيتها بين السلاطين والوزراء، إلا أنه لم يذكر لنا منتخبات من نظمها مثلما فعل مع باقي النماذج المقدمة.

كما أنّ المرأة في هذه الفترة لم تحظ الاهتمام من قبل المؤرخين العرب ولم تُعد عنصرا فعّالا في الحياة الفكرية بقدر ما اعتبرت سلوكاتها سببا في وقوع البلايا على دمشق، فإذا ما انتشر الطاعون أو الجراد، أو ارتفعت الأسعار أو ضربت الزلازل أو شحت السّماء أو ساد القحط، فهذا سببه كله تبرج المرأة وخروجها إلى المنتزهات حسب زعمهم [5]، لكن كيف للمرأة أن تدحض عنها هذه المزاعم والاتهامات إذا لم تتنور بنور العلم؟! كيف لها أن تحافظ على دينها و عقيدتها إذا لم تتعلم؟!

د- نقابة الأشراف:

شكلت فئة الأشراف مكانة اجتماعية واقتصادية في المجتمع الدمشقي لما لهم من نسب يعود إلى آل البيت، فقد أطلق على المنحدرين من أبناء الحسين رضي الله عنه اسم (السيد) وعلى أبناء الحسن رضي الله عنه اسم (شريف) أو اسم (أمير) عليهما معا، وبمرور الوقت أصبح لقب (السيد) الأكثر شيوعا[6].

---

[1]- علواش، المرجع السابق، ص 202.
[2]- رمضان، المرجع السابق، ص 233.
[3]- الغزي، المصدر السابق، ج1،ص 108، ص 255.
[4]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 360.
[5]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 526.
[6]- أوغلي، المرجع السابق، ص 167.

بلغ الأشراف المسلمين المعترف بانتسابهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم خلال القرن **12هـ/18م** تعدادهم **500** فردا وزاد عددهم إلى **2000** فرد مع نهاية القرن **13هـ/19م**[1]، هذه الزيادة جاءت نتيجة طموح العديد من الدمشقيين للاستفادة من الامتيازات الممنوحة لهم، فادعوا النسب الشريف ولبسوا العمامة الخضراء، وعملت الدولة العثمانية على توجيه الأوامر لنقباء الأشراف في الشام للتحقق من أنساب الأدعياء ووضع حدّ لهم، كذلك ادّعت أسر استقرت بالمدينة ونسبت لنفسها الشرف المكتسب عن طريق الأم الشريفة مثل: أسرة **الطيلوني** و**الحمصي** و**العلبي**[2].

كان أولئك الأشراف ينتظمون في المدن داخل هيئة يرأسها (نقيب الأشراف) أو (رئيس العمائم الخضراء) في الأستانة، وقد يثبت أو يغير في كلّ سنة[3]. ومثّل هذا الأخير – النقيب – المرجع الأساس في القضايا التي تتصل برجاله وعمل على حفظ حقوقهم، كما مثّل السلطات العثمانية وقام بدور الحكم في المنازعات التي يكون فيها أحد الأشراف طرفا فيها [4]، ومن وظائفه أيضا الاحتفاظ بسجل الأشراف وتجنب إساءة استخدام لقب (شريف) الذي يوفر الوقار ومزايا مادية[5].

تمتع الأشراف بمكانة اجتماعية دينية عالية، من خلال الامتيازات القانونية والاقتصادية التي خصّتهم بها السلطة العثمانية فاستثنتهم من الخدمة العسكرية [6] وامتلكوا ممتلكات خاصة أوقفت لهم ومنحوا هدايا من السلطان العثماني وقت الحج، كما زاولوا مناصب رفيعة في الدولة كالقضاء والإفتاء والتدريس ومشيخة الطرق الصوفية، لكن رغم هذه المكانة الاجتماعية والاقتصادية، إلاّ أنّهم لم يضاهوا القوى السياسية نفوذا[7].

قد صنّف الأشراف في الشام إلى صنفين على أساس الفروق المادية من حيث الملكية الشخصية والدخل الفردي وطبيعة العمل لذلك برز:

*** خاصة الأشراف:**

ينتمون إلى أسر بارزة، تسلم أفرادها المناصب الدينية الرفيعة ودعمت مراكزها بملكياتها الواسعة، ناهيك عن توليتهم الأوقاف والمدارس والجوامع مما جعلهم يتمتعون برخاء في العيش [8]مثل

---

[1]- شليشر، المرجع السابق، ص 154.
[2]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص ص 449 – 450.
[3]- ألكسندر وباتريك، المرجع السابق، ص 192.
[4]- شليشر، المرجع السابق، ص 154.
[5]- ريمون، المرجع السابق، ص 67.
[6]- شليشر، المرجع السابق، ص 154.
[7]- نعيسة، المرجع السابق، ص ص 448-451.
[8]- نعيسة، المرجع السابق ، ص 450.

عبد المعطي الفلاقنسي الذي ترقى في المناصب الدفترية حتى صار محاسبتيا وتولى نظارات كثيرة في أوقاف الحرمين وكان له أوقاف وتجارات وأملاك وإقطاعات[1].

*** عامة الأشراف:**

عاشوا على دخل محدد اكتسبوه من صنعات وحرف وبعضهم عاقر الخمرة أمثال **يوسف الطباخ** الذي كان «من سادات الأشراف بدمشق وكان مولعا بشرب الخمر والفجور »[2]، استخدموا كأدوات طيّعة في أيدي خاصتهم فجعلوهم الدّرع الواقي لمصالحهم وللحفاظ على مناصبهم، مثل**السيد عبد الرحمن الكيلاني** «لما كان نقيبا قامت عليه رعاع الأشراف وهجموا على دارهم الكائنة بالقرب من باب القليعة وأرادوا إلحاق به الضرر وتحريك الفتنة وكان ذلك بإغراء بعض الأعيان ثم عزل في أثناء ذلك»[3].

وننوّه هنا إلى ملاحظة، أنّ عامة الأشراف اكتسبوا كنياتهم من خلال الحرف التي مارسوها في دمشق، كـ**آل الفلاقنسي** الذين كانوا نساجين وأبناء **أسرة سلطان** كانوا مؤذنين وقد أقام الأشراف في أحياء دمشق المختلفة داخل أسوار المدينة أو خارجها وعليه لم يعرفوا منطقة معينة بل أقاموا «في الأحياء الشمالية والجنوبية على حد سواء »،أما الوافدون الجدد من الأشراف فسكنوا القرى المجاورة لدمشق[4]. بالرغم من وجود الأزقة التي حملت أسماءهم أمثال: زقاق الأشراف في باب الجابية بالقرب من سيدي الشيخ عمود وزقاق الأشراف باطن دمشق بمحلة الخراب وهناك من سكن قرى الشام وكان جلّ أشراف الشام من السنة بمذاهبها المختلفة، حيث بلغ عدد الأسر الشريفة على المذهب الحنفي **تسع** عائلات وعلى المذهب المالكي **ثمانية** عائلات، أما الشافعي **ثلاث** عائلات[5].والحنابلة لم لم يبرز منهم أحدا [6]، وهناك قلة منهم من الشيعة كـ **آل المرتضى**[7]، وقد ظهروا في الفقه والتدريس والقضاء وانتموا إلى الطرق الصوفية التي لم تخل أسرة من أسر الأشراف إلاّ وتولى أبنائها زوايا خاصة بهم[8]. وأهم الأسر الي تولت نقابة الأشراف في دمشق هي أسرتي **العجلاني** و**حمزة** شاركتهما أسرة **المرادي** و**الكيلاني** و**الحسيني** وغير ذلك.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 135.
[2]- نفسه ، ج 4، ص ص 245 – 246.
[3]- نفسه، ج 2، ص ص 294 – 295.
[4]- شليشر، المرجع السابق، ص ص 156-157.
[5]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 451.
[6]- شليشر، المرجع السابق، ص 156.
[7]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 451.
[8]- شليشر، المرجع السابق، ص 156.

قد تعرضت فئة الأشراف للعديد من التحديات، جاءت نتيجة ظروف سياسية وأخرى اقتصادية أحاطت بالشام من بينها حكم **أحمد الجزار** الذي وجّه ضريبة موجعة للأشراف من خلال الإجراءات كالعزل والابتزاز والقتل التي اتخذها في حقهم [1]. كذلك إصلاحات **محمود الثاني (1223–1255هـ/1808–1839م)** التي طالت الجانب الإداري والعسكري والسياسي [2] الأمر الذي تسبب في ضرر فئة الأشراف. وأيضا حكم **إبراهيم باشا** في بلاد الشام **1833هـ/1249م** الذي سعى لإقامة جهاز جديد للحكم مسّ الجوانب الرئيسة لتنظيم الدولة مثل: نظام الضرائب والقضاء والتعليم والمساواة في الحقوق الدينية والمدنية [3]، كلّ هذا انعكس سلبا على وضع الاقتصادي للأشراف من خلال حرمانهم من الامتيازات وتفاقم الأمر ليصل في آخر المطاف إلى أزمة **1277هـ/1860 م**[4].

في الأخير نقول، استطاع العلماء تفعيل الحياة الثقافية في دمشق خلال القرن **12هـ/18م** من خلال الوظائف التي شغلوها في مختلف الميادين خاصة في سلك القضاء والإفتاء، التدريس، نقابة الأشراف.

---

[1]- قام بعزل نقيب الأشراف **حمزة أفندي العجلاني** ونصّب مكانه **خليل أفندي الصديقي** عام **1218ه-/1797م**، كما أصدر أوامره بقتل **عبد الرحمن المرادي** و**أسعد أفندي المحاسني** أما التجار فقام بابتزازهم وتعذيبهم وأخذ ما مالهم وهذا ما وقع لـ**لسيد محمد الصواف**. انظر: نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 453.

[2]- روبير مانتران، **تاريخ الدولة العثمانية**، ج 2، تر: بشير السباعي، ط 1، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1992 م، ص 28.

[3]- أنطونيوس، المرجع السابق، ص 91.

[4]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 453.

-الطرق الصوفية في دمشق:

اهتم **المرادي** في ترجمته بذكر الطرق الصوفية [1] التي كان يسلكها علماء القرن **12هـ/18م** لما كان لهذه الفرق من دور سياسي واجتماعي داخل المجتمع الدمشقي، وحاول شرح بعض أصول هذه الطرق وكيفية ولوجها إلى دمشق وأهم زواياها وطقوسها ومدى تأثيرها على العامة والخاصة ورجال السلطة، ولعلّ أهم الفرق الصوفية التي برزت وانتشرت في بلاد الشام خلال هذه الفترة هي:

1- الطريقة النقشبندية:

يطلق على هذه الطريقة اسم **"النقشية"**، ظهرت في البداية بتركستان وتعدّ من أكبر الطرق الصوفية التي انتشرت في تركيا أواخر القرن **15م**[2] وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها **محمد بهاء الدّين نقشبند البخاري**[3].

ظهرت أهمية النقشبندية في دمشق أواخر القرن **12هـ/18م**، لأنّها جاءت لتدعيم مذهب السنة في مناطق ما وراء النهر وإيران [4] هذا من جهة، ومن جهة أخرى انظم إليها علماء وأعيان كانت لهم صلات وطيدة برجالات السلطة العليا في اسطنبول [5]، كما اعتبرها المريد أسهل الطرق إلى درجات التوحيد[6].

ويعدّ جد آل المرادي **محمد مراد الأول** من أبرز أقطاب هذه الطريقة في دمشق والتي اكتسبها في إحدى رحلاته إلى الهند وقام بنشر تعاليمها في المدينة، وقد كان المفتي **محمد خليل المرادي** من الشخصيات البارزة في النقشبندية ، كما ربطته علاقات وطيدة مع السلاطين العثمانيين، حيث قام السلطان **محمود خان** [7] بطلبه إلى الباب العالي في عام **1160هـ/1747م** فقابله بالتوقير وأعطاه الأوامر السلطانية المتوجة بخط الشريف وصار له اعتبار في رجال الدولة وأركانها، كذلك أولاه

---

[1]- **الطرق الصوفية:** هي منهاج اختص به المتصوفة بغية تطهير القلوب من كلّ المؤثرات التي تشغلها عن محبة الله، و هذا المنهاج أساسه الرياضة والمجاهدة، تنسب إلى شيخ مرّب يدعي لنفسه بلوغ مرتبة من مراتب الصوفية، فتحصل له الكرامات والمكاشفات لما أوتيّ من علم الأسرار، فيعتقد النّاس فيه و يأخذون عنه . بن يوسف التلمساني، الطريقة **التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر – الإدارة الإستعمارية) 1782-1900 م**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 1998 م، ص 33.

[2]- يلماز أوزتونا، **تاريخ الدولة العثمانية** ، تر : عدنان محمود سليمان، مج 1، ط 1، شركة الهلال، إسطنبول، 1990م، ص 501.

[3]- **الشيخ بهاء الدّين محمد نقشبند البخاري** : (**1317 – 1389 م**)، و لد في بخاري . للمزيد انظر: المحبي، المصدر السابق، ج1، ص 464.

[4]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 185.

[5]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 410.

[6]- عبد الله حنا، المرجع السابق، ص 83.

[7]- **محمود خان : (1108-1168هـ/1696– 1754 م)** قاد عدّة حروب جمعته بجنود الشاه طهماسب في عام **1732م**، وروسيا في عام **1722م** التي انتهت بعقد معاهدة بلغراد . انظر:محمد فريد بك المحامي،**تاريخ الدولة العلية العثمانية**، تح: إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981 م، ص 320- 325.

السلطان **عثمان**[1] التبجيل، وبهذا ذاع صيته في الدّيار الرومية والمواطن الشامية وتتلمذ له خلق كثير وأخذوا عنه طريق السادة النقشبندية [2]. كما تمكن الصوفي **محمد المرادي** باعتباره مفتي دمشق من صد مظالم والي دمشق **أحمد باشا الجزار** ، حيث كاتب الدولة العلية فعزلته قهرا عنه [3] وهذا فيه دلالة على مدى نفوذ أصحاب النقشبندية في دمشق وفي اسطنبول على حدّ سواء.

كانت لهذه الفرقة أتباع كثر من الأعيان والهيئة الحاكمة في دمشق وخارجها كما قلنا آنفا، ومن هؤلاء نجد **عبد الغني النابلسي** الذي احتل منزلة عالية بين المتصوفين وأمر أتباعه بعدم إهمال أي من الأحكام التي أوصت بها الشريعة، كما ألّف شرح رسالة النقشبندية [4] ومثله فعل الشيخ **عبد الرحمن العيدروس** الذي دوّن رسالتين في الطريقة[5].

قد أقيمت عدّة زوايا للنقشبندية داخل دمشق وخارجها ولعلّ أبرزها الزاوية النقشبندية التي كانت بالقرب من منزل **آل المرادي** في سوق صاروجا [6]، كما أقامت الذكر في التكية الكائنة في محلة القماجين[7].

2- الطريقة الخلوتية[8]:

كان لهذه الفرقة أتباع من الفئات الحاكمة في الباب العالي ودمشق، ومعلومات دخولها إلى المدينة قليلة، لأنّ من عادة هذه الطريقة أن لا تعيّن خليفة شيخها إلاّ أجنبيا عنه، ذلك لإدخال السكينة في قلوب المريدين، على اعتبار أنّ الخبر لا ينقطع في ذرية الشيخ[9].

برزت الخلوتية كطريقة أكثر فعالية في القرنيين **17م/18م**[10] مدعومة بالعديد من الشيوخ والعلماء البارزين أمثال **مصطفى البكري** الذي بفضل رحلاته وجهوده في دمشق ومصر نشر تعاليم

---

[1]- **عثمان خان:(1108-1171هـ/1696-1757 م)** تقلد السيف في جامع أبى أيوب الأنصاري على حسب العادة القديمة، وأبقى كبار الموظفين في وظائفهم في أيم حكمه القلائل. للمزيد انظر: المحامي، المصدر السابق، ص ص 327 – 328.

[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص ص 114 – 115.

[3]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2،ص 410.

[4]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص 33.

[5]- الملحق رقم (01)، ص 156.

[6]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 130.

[7]- نفسه، ج 3، ص 261.

[8]- **الطريقة الخلوتية :** سميت بهذا الإسم نسبة إلى الخلوة التي هي من لوازم الطريقة، ومؤسسها الحقيقي هو **إبراهيم زاهدالكيلاني**، وقام الشيخ **سراج الدين عمر لاميجي** بتوسيعها وتطويرها، وانتشرت هذه الفرقة في خوارزم وخرسان، وكانت شروان بإيران مركز الطريقة. المحبي، المصدر السابق، ج 1، ص 250. انظر:أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 184.

[9]- المحبي، المصدر السابق، ص 289.

[10]-هاملتون وهارولد، المرجع السابق،ج 2، ص 282.

الطريقة، وألّف جملة من المؤلفات فيها وهي:**الوصية الجنية للسالكين في طريق الخلوتية** و**النصيحة الجنية في معرفة آداب كسوة الخلوتية**،**بلوغ المرام في خلوتية الشام** ، "**نظم القلادة في معرفة كيفية إجلاس المريد على السجادة**[1].

كذلك استطاع الشيخ **محمد الحفني** المصري نشر الطريقة في مشرق الأرض ومغربها في حياته[2]، وأولى العالم **عبد الرحيم ابن شقيشقة** الخلوتية بالإهتمام حين ألّف **شرح ورد الخلوتية للسنية**[3]، وقد قام الشاعر **مصطفى الترزي** بمدح شيخ الطريقة **محمد بن عيسى الخلوتي الصالحي الصالحي** فقال:

أهل السماح في الدنا قد زهدوا وقدسوا بالواحد القلوب
وبالرضا قد مزجت طباعهم فلا ترى في وجههم قطوبا
وأخلصوا لله قلبا قد صفا من كدر واستأنفوا الغيوبا
فادعوا للغيث يوما وبكوا إلاّ أجاب قبل أن يجيبا.[4]

كان للطريقة زاوية خاصة تقع بالقرب من باب جيرون أقام فيها العالم **أبو بكر الدسوقي** الذكر والتوحيد على عادتهم[5]، كما كان لها أيضا زاوية وتكية بالقرب من باب الله خارج المدينة التي شيّدها **أحمد باشا** الذي حكم دمشق (**1039هـ/1630م**)[6].

لم يكن للخلوتية تأثير سياسي كبير ولا تأثير ديني مباشر في الباب العالي ودمشق [7] لأنّ جلّ المشايخ المنتمين إليها كانوا من أصول محلية وعربية، الذين حافظوا على مظهرها السني [8]. وقد سارت الطريقة وفق آداب وتقاليد تقيّدت بها، فقد كانوا يرددون أذكارهم في الخلوة كلمة (**لا إله إلاّ الله**) آلاف المرات فلا تخرج تلك العبارة بعد ذلك إلاّ على شكل (**هو هو هو**) وينشدون كلام السادة الصوفية، إمّا في شكل جماعة في مجالسهم أو من قبل إنشاد أحد المنشدين، كما يكثرون التسبيح والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم [9].من تقاليدهم أيضا خلوة الجماعة لا تتجاوز ثلاثة

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص 195.
[2]- نفسه، ج 4، ص 50.
[3]-نفسه، ج 3، ص 11.
[4]- نفسه، ج 4، ص 168.
[5]- نفسه، ج 1، ص 52.
[6]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 416.
[7]- محمد فؤاد كوبريلي، **قيام الدولة العثمانية**، تر: أحمد السعيد سليمان، تق: أحمد عزة عبد الكريم، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ت، ص 182.
[8]- الملحق رقم (01)، ص 157.
[9]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 417.

أيام، أما خلوة الفرد بنفسه حسبما يشاء ثلاث أيام فما فوق، أو العمر كله. و تسمى في هذه الحالة الخلوة الكلية بالسر المطلق، وتقوم الخلوتية كذلك على مجاهدة النفس والتتابع في الخلوة لمدّة حول كامل، حتى يسيطر المريد على نفسه كلية[1].

قد كانت أحد فروع الخلوتية في مدينة حلب، كل ستة أيام من الشتاء المريدون تكون لهم خلوة عامة، فيصومون ثلاثة أيام ويأكلون في المساء مقدار أقتين من الحريرة ورغيفا من الخبز أكثر من أوقية، ولا يشربون الماء بل يشربون القهوة ويستمرون في الذكر والعبادة آناء الليل وأطراف النهار، أمّا باقي الأيام فيقومون سحرا ويتهجدون على قدر طاقتهم ثم يأخذون في الذكر إلى وقت الأسحار ثم يصلون الصبح لكون الشيخ حنفيا ويقرؤون الأوراد ويصلون الإشراق،وهكذا يفعلون العبادات في أوقات الصلوات المفروضات[2].

3- الطريقة القادرية:

أسس هذه الطريقة **عبد القادر الجيلاني**[3] في العراق خلال القرن **6هـ/12م** وهي أقدم فرقة باقية على مرّ الزمان [4]، وحافظت على بقائها في شتى أنحاء العالم الإسلامي كاليمن وسوريا ومصر وغيرهم وأتباع هذه الفرقة كانوا يرتدون الزّي الأخضر، أما عمائم كانت بيضاء[5].

رسخت هذه الطريقة جذورها في دمشق بفعل **آل الكيلاني** الحمويين الذين استقروا المنطقة ونشروا تعاليمها وطقوسها بين العامة، وكان أبرزهم **السيد إسحاق الكيلاني** الذي اشتهر أمره واحترمه الناس والحكام والقضاة[6]. من شيوخها نجد أيضا **يس الكيلاني** الذي أضحى شيخ الطريقة القادرية وشيخ السجادة الكيلانية في الأقطار الشامية[7] وغيرهم كثير[8].

لقد كان الشيخ **حسين البيتماني** من مريدي الطريقة التي أخذها عن **السيد يس الكيلاني** ودرس في زاويتهم المتواجدة في ميدان الحصا، كما ألّف شرح سماه **الهداية والتوفيق في سلوك آداب**

---

[1]-نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 471.
[2]- المحبي، المصدر السابق، ج 2، ص 390.
[3]- **عبد القادر الجيلاني:** ولد في جيلان (**470هـ- 561هـ/1077-1165م**)، انتقل إلى بغداد ودرس وأفتى بها، له عدّة مؤلفات منها : **الفتح الرباني** وانتشرت طريقته في التصوف بجميع أنحاء العالم الإسلامي . المحبي، المصدر السابق، ج 1، ص 193.
[4]- هاملتون وهارولد ، المرجع السابق، ج 2، ص 279.
[5]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص ص 222 – 223.
[6]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 220.
[7]-نفسه، ج 4، ص 238.
[8]- الملحق رقم (01)، ص 159.

الطريقة، وهناك من الشعراء أمثال **مصطفى الترزي** نظم أبياتا في مدح السيد الشيخ **علي الحموي الكيلاني** شيخ الطريقة القادرية فقال:

وقد حلّ في وادي ركابه يسعد سعود للنحوس يزيح
فوافي ربوعا طالما طال شوقها إليه و كادت بالغرام تبوح
وخفق في الوادي السعيد نسيمها وهبت به معقل و هو صحيح
وعمّ الورى فيها سرور و نشأة وأني في القول صاح صريح.[1]

تفرع عن الطريقة القادرية فروع منها الفرع الكيلاني ومن أبرز شيوخها كان **السيد علي الكيلاني** و **السيد عبد الرحمن الكيلاني** ، كما تفرع عنها أيضا الفرع الصمادي الذي ينسب إلى الشيخ **إبراهيم الصمادي** الذي بنى زاويتهم داخل باب الصغير الجواني وجلس على سجادة المشيخة [2]، كذلك **السيد عبد القادر الصمادي** الذي كان شيخ الصامدية ولزم زاويتهم بعد وفاة والده الكائنة بمحلة الشاغور الجواني وأقام الذكر ولم يغادرها إلاّ في مواسم العيدين أو شهر الجنائز، أو لتهنئة حكام الشرع والسياسة عند قدوم أوامر تتعلق بأهل البلد [3]. ومن الفروع نجد الفرع الوهابي [4] الذي أخذ الشيخ **عبد القادر بن شاهين** الطريق التصوف عن الشيخ **حسين الزيات** وأقام في مسجد محلة سويقة الحجارين الذي صار زاوية للسادة القادرية المواهبية، أين ردّد الأذكار والأوراد.[5]

نستطيع أن نقول القادرية لم تلعب دورا سياسيا أو اجتماعيا في دمشق وحافظت على تواجدها حتى الآن، لأنّها أكثر أصولية من باقي الطرق، كما نلاحظ أنّها لم تبق حكرا على **آل الجيلاني** مشيختها بل تفرعت إلى فروع أخرى حكمتها أسر دمشقية أخرى.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص 172.
[2]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 424.
[3]- المرادي،المصدر السابق، ج 3، ص 60.
[4]-نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 425.
[5]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص 57.

4- الطريقة المولوية:

أسسها **جلال الدّين الرومي** [1] وأطلق عليه أتباعه اسم **مولانا** ومنها اشتق اسم الطريقة [2]، وقد استخدم أصحابها –الطريقة- الموسيقى والأغاني على مجالس الذكر، وعرّف مريدوها في أوروبا آنذاك بالدراويش الراقصين[3].

اكتمل نضج الطريقة في القرن **11هـ-17م** وبدأ يظهر فيها شخصيات بارزة في دمشق وأسست لها تكايا وأهمها كانت تكية عرفت بـ(**تكبة الدراويش**)[4] التي تقع بالقرب من جامع تنكز، وكان شيخها آنذاك **عبد الرحمن المولوي**[5]. هذه التكية كان لها محراب حسن ومنبر خشبي لطيف وإلى اليمين الداخل درجات ينزل بها إلى صحن مستطيل يؤدي إلى قبة الحضرة أين كان دراويش المولوية يقومون بالرقص وفي قلب الحضرة يوجد قبر لأحد شيوخها، وتحيط بتلك الحضرة عدّة غرف لسكن الدراويش[6]. وأتباعها كانوا يتزينون بالزّي الأبيض، ودائما يرأس المولوية واحد من سلالة جلال جلال الدين الذي يطلق عليه اسم **جلبي**[7].

جدير بالذكر، أنّ هذه الطريقة لم تلعب دورا سياسيا بارزا في دمشق خاصة وأنّ جميع مشايخها المذكورة في تراجم **المرادي** كانوا من أصول رومية [8]، أما في اسطنبول فقد استطاع أتباع ها من الحصول على تقدير رجالات السلطة التي منحتهم امتيازات مكنتهم من احتلال موقع اقتصادي متين[9] في المقابل حرصت المولوية للبقاء على وفاق مع الدولة العثمانية[10].

كان للطريقة عادات خاصة بها منها وضع كسوة المولوية على قبر شيخها التي كان يرتديها في حياته، كما عقدت مجالسها يومي الاثنين والجمعة من كلّ أسبوع وأضافت لها جلسات أخرى

---

[1]- **جلال الدين الرومي**: هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد جلال الدين الرومي **(604 –672هـ-/1207-1273م)**، ولد ببلخ في فارس، و لقب بالرومي نسبة إلى أرض الروم حيث قضى معظم حياته، هو شاعر وفقيه، واعظ، تلقى تعليمه على والده، وتنقل مع أسرته إلى بغداد ومكة، ملطية ...، قصد دمشق وحضر حلقات العلماء، ثم توجه إلى قونية ودرّس مكان أستاذه إلى أن وافته المنية، ويعدّ صاحب الطريقة الصوفية المولوية، ومن آثاره ديوان "المثنوى" كتبت عليه شروح فارسية وتركية، عربية، وترجمت أجزاء منه إلى لغات أوروبية . أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، ط 3، دار الثقافة، القاهرة، د ت، ص 245.

[2]- هاملتون وهارولد، المرجع السابق، ج2، ص 277.

[3]- الغنيمي، المرجع السابق، ص 245.

[4]- يوسف بن عبد الهادي، **ثمار المقاصد في ذكر المساجد**، ج 3،دط،بيروت، 1943م،ص 202.

[5]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 329.

[6]- عبد الهادي، المرجع نفسه، ص 202.

[7]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 419.

[8]- الملحق رقم (01)، ص 160.

[9]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص ص 180 – 181.

[10]- هاملتون وهارولد، المرجع السابق،ج2، ص 276.

كجلسة نصف شعبان وجلسة المعراج وعمدت المشاركة في جنائز الأعيان وبعض الصالحين، إلى جانب هذا شاركت الطرق الصوفية الأخرى في توديع شهر رمضان في ليلته الأخيرة في الجامع الأموي مع تلاوة الأوراد والأذكار والتكبير[1].

3- الطريقة الشاذلية:

ظهرت هذه الطريقة في النصف الأول من القرن **7هـ/13م** ونشطت في العالم الإسلامي خاصة في المغرب ثم انتقلت إلى مصر ومنها إلى جميع الأقطار الإسلامية ووصلت حتّى إلى الأندلس[2]،ويعدّ **عبد السلام مشيش** مؤسس الفرقة[3]، وسميت بالشاذلية نسبة إلى **علي بن عبد الله أبي الحسن الشاذلي**[4]. ولقد نافست الشاذلية في الشمال الإفريقي الطرق الصوفية بمصر بفضل ما كسبته من فروعها التي قارب عددها **الإثني عشر** فرعا[5]، وكان لكلّ فرع شيخه الذي يعيّن بدوره مقدّما على الزاوية ويشترط أن يكون عالما وفصيح اللّسان، كما يتواجد معه أيضا كلّ من النقيب والإمام والواعظ والمدرس والمنشد في حلقة الذكر والمقرئ[6].

تلخصت تعاليم الطريقة الشاذلية في خمسة أصول: تقوى الله في السر والعلانية وإتباع السنة في الأقوال والأفعال والإعراض عن الخلق في السر والعلانية والإقبال والإدبار والرضا عن الله في القليل والكثير، ثم الرجوع إلى الله تعالى في السرّاء والضرّاء [7].وانتشرت هذه الطريقة في دمشق بفعل الإمام **محمد المزطاري** التي أخذها عن الشيخ **قاسم بن أحمد القرشي السفياني**، ولما قصد دمشق أخذ عنه تعاليم الطريقة كل من الشيخ **محمد بن خليل العجلوني** والشيخ **عبد الرزاق بن عبد الرحمن السفرجلاني**، ومن ذلك الوقت اشتهرت الفرقة الشاذلية بالمدينة وكثر أتباعها الآخذون عنها[8].

---

[1]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 276.
[2]- التفنازاني، المرجع السابق، ص 239 . 241.
[3]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 432.
[4]- **علي بن عبد الله أبي الحسن الشاذلي :** هو صوفي سني الاتجاه، أصله من شاذلة بتونس . المحبي، المصدر السابق، ج 3، ص 412 -416. وقد وفد إلى مصر مع تلاميذه ومريديه، استوطنوا الإسكندرية حوالي 642ه-/1244م، ثم كوّنوا مدرسة صوفية مشهورة . التفنازاني، المرجع السابق، ص ص 239 – 240.
[5]-هاملتون و هارولدبوون، المرجع السابق،ج2، ص 280.
[6]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص431.
[7]- التفنازاني، المرجع السابق، ص ص 240 – 241.
[8]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص 33.

من أبرز أشياخ الشاذلية نجد: العلامة **أبو الفتح العجلوني** و **عبد الله الشرابي** و **أحمد الجبالي**[1]، كلهم أخذوا تعاليم الطريقة من عند المغربي المكناسي المالكي **محمد المزطاري** وهذا فيه دلالة على أن أصل الطريقة مغاربي، وقد ألّف الإمام الأديب **محمد الدكدكجي** تراجم رجال سلسلة الطريقة الشاذلية، وشرح على حزب البحر الشاذلي[2]. ولقد تفرعت الشاذلية في دمشق إلى فروع هي: هي: **الوفائية، السفرجلانية، الأويسية، الهاشمية، التلمسانية، الصاوية، الدرديرية، اليشرطية** ، وهذه الفروع تباينت تراتيبها بحسب أهميتها[3].

6- الطريقة الرّفاعية:

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ **أحمد الرّفاعي** وسميت طريقته أيضا بالبطاحية، لأنّها انطلقت من أم عبيدة بالبطاح في العراق [4]. أما في دمشق فقد أسسها **محمد بن يوسف بن جمال الدين الصواحي**، حيث لجأ إليها فارا من المغول واستقر بالمكان في **618 هـ/1221م** إلى أن توفي عام**661هـ/1262م**، وبدأ في نشر تعاليم الرّفاعية التي كانت من عادتهم المصافحة، لزعمهم أنّ شيخهم **أحمد الرّفاعي** صافح خاتم الأنبياء وهذا لتأكيد الصلة الحسية والمعنوية مع النبي صلى الله عليه وسلم[5] وقد أورد **المرادي** في مؤلفه نماذج ممن انضموا في هذه الطريقة.[6]

تفرعت عن الرّفاعية فروع في دمشق أبرزها الفرع الجباوي أو السعدي والفرع الدسوقي والفرع الشيباني، الفرع التغلبي، الفرع الرشيدي [7]. أما الفرع السعدي يعود إلى الشيخ الشامي **سعد الدين الجباوي** في القرن **8هـ/14م**[8] الذي أخذ الطريقة عن والده **مزيد الشيباني** الذي كان له طريقان في

---

[1]- الملحق رقم (01)، ص 161.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج3، ص 26-33.
[3]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 433 وما بعدها.
[4]- التفنازاوي، المرجع السابق، ص 238.أمّا في الغرب عرّفت بـ« **الدرواشة الصائحون**» أو«**الدراوشة الصارخين**» إذ كان أتباعها يطعنون ويجرحون ويحرقون أنفسهم دون أن يصابوا بجروح، وكانوا يمارسون أذكارا مبنية على الصراخ والصّياح. وكان يرتدي أصحاب الرّفاعية الزّي الأسمر والأبيض، وما ميّز هذه الطريقة عن باقي الطرق الصوفية الأخرى هو استخدامها أساليب التعذيب التي أخضع أتباعها أنفسهم لها، كما كان أتباعها من الأشاير بمعنى يسيرون مع العديد من الطرق الصوفية ليلا حاملين الشموع ورافعي أصواتهم بالذّكر والتهليل إلى أن يصلوا إلى مكان الاحتفال. للمزيد انظر: برنارد لويس، **اسطنبول و حضارة الخلافة الإسلامية**، تع :سيد رضوان علي، ط 2، الدار السعودية، الرياض، 1982م، ص 192. وهاملتون وهارولد، المرجع السابق،ج2، ص 279.
[5]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2،ص 426.
[6]- الملحق رقم (01)، ص 161.
[7]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص ص 428 - 431.
[8]- هاملتون وهارولد، المرجع السابق،ج2، ص 280.

الخرقة، فالأول أخذها عن أبيه الشيخ **يونس الشيباني** والثانية أخذها عن الشيخ **أحمد الرّفاعي** في الخرقة الشهيرة في محله[1]، وقد كانت لها زوايا في دمشق لإقامة الأذكار والأوراد كزاوية في القبيبات من الميدان وزاوية في الشاغور البراني التي كان لها أوقاف محبوسة عليها، واستقر بها الشيخ **إبراهيم بن سعد الدّين** وأسلافه الذي كان يغلب عليه الجذب في حركاته والصلاح، كما كان متغفلا يجلس على حوانيت القهوة ودابته فوقها رقعة فيصير العامة يهزأون به ، وعمل شيوخ السعدية في معالجة المجانين والمشاركة في الاحتفالات الدينية وقد شاركت العامة في زاويتهم التي مقرها في الميدان في محلة القبيبات بدمشق، حيث يقيمون التوحيد والأذكار أو يفعلون هذه الطقوس في الجامع الأموي، لأنّهم تولوا وقفه[2].

استطاعت هذه الطريقة من أن تخلق لنفسها مكانة اجتماعية مرموقة بدمشق ، حيث حظوا بالاعتقاد عند الخواص والعوام فـ**بنو سعد الدّين** عُرفوا بالصلاح وسيطروا على الأوقاف إلى أن توفي شيخهم **إبراهيم بن سعد الدّين** ، وقد نظم الشيخ **عبد الغني النابلسي** في هذه الطريقة أبياتا عام **1109هـ/1696م** فقال في شيخهم:

وفي كلّ عصر واحد بعد واحد بهم تنظم الذكرى و يتسق العقد
وقام بإبراهيم بيت مقامهم كما قام شكرا لله بالبيت والحمد
فطافت به الراجلون من بركاته مزايا كمال أودع الأب والجد
فتى بهدي أسلافه الغر يهتدي ولا زلت القصاد تنحوه والوفد

إلى أن يقول:

سلام على السادات من سكنوا جبا بني القطب سعد الدين من لهم المجد
ونسل بني شيبان سادة معشر بنور هداهم تبرأ الأعين الرمد[3].

يمكن أن نخلص في الأخير إلى ما يلي:

1– من أهم الطرق الصوفية التي كانت لها فعالية أكثر في المجتمع الدمشقي هي الطريقة النقشبندية، لأنّها كانت ذات صلة قوية بالسلطة الحاكمة بالباب العالي وشيوخها كانوا من أعيان المدينة، كذلك تعدّ الأسهل بالنسبة للمريد لكي يصل إلى درجات التوحيد.

---

[1]- البيطار، المصدر السابق، ص 14.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص ص 41 – 42.
[3]- نفسه، ص 40-42.

2– جلّ الطرق الصوفية التي ذكرت في **سلك الدرر** استطاعت الحفاظ على معتقداتها من أهل السنة والجماعة.

3– نلاحظ أنّ الطرق الصوفية لا تعرف حدودا تتوقف عندهابل تنتشر كالرّماد في النّار والأمر متوقف على رحلات شيوخ الطريقة الذين يعملون على تعليم طرقهم وطقوسهم والأذكار والأوراد.

4– إنّ تنقل أشياخ الطرق الصوفية من بلد إلى آخر هو نقل لثقافة ولعادات وتقاليد جديدة تحل على بلد آخر وهذا ما يفعّل الحياة الثقافية أكثر.

5– تنوع الطرق الصوفية في دمشق [1]، وكثرة الأتباع والمريدين من جميع التركيبة الاجتماعية، يدلّعلى مدى الحرية التي يتمتع بها العامة في تبني الطريقة التي تناسبهم دون فرض أو قيد من السلطة الحاكمة، التي كانت بدورها تتبنى التفكير الصوفي وتؤيّد هذه الفرق لما لها من تأثير على الناس.

6– معظم الطرق الصوفية تفرعت عنها فروع أخرى، وحكمها أشياخ من أسر محلية أو عربية، على أنّ هذه الأسر سعت لزعامة الطريقة، لما يوفره هذا المنصب من جاه اجتماعي وربح مادي، فراحوا يؤسسون فروعا خاصة بهم من الطرق الصوفية وسميت بأسمائهم[2].

7–هناك من رجال الدّين من أخذ بأكثر من طريقة صوفية، مثل **الشيخ عبد الغني النابلسي** الذي كان نقشبنديا وقادريا[3]، أما **محمد المواهبي** الذي كان قادريا خلوتيا[4].

إلى جانب المتصوفة وتنظيماتهم الطرقية، ذكر **المرادي** في تراجمه متصوفة آخرين، سلكوا حياة الزهد والتصوف، واشتهروا بالخوارق، وكانت العامة والخاصة توقرهم وتتبارك منهم، ومن أمثال الذين عرّف عنهم الخوارق والكرامات نجد **حسين الحموي** صاحب المكاشفات والكرامات، كان يلبس الخشن من الثياب ويدور في الأزقة، ويجلس في القمامات ويأكل مع الكلاب التي كانت لا تفارقه، لأنّه يطعمها[5].

هذا الولي له مكاشفات صريحة، وكان للناس اعتقاد به رغم ما فيه، ولو تساءلنا من أين لهأتي لهذا الرجل أن يتأتى التعظيم والتبجيل وهو يأكل مع الكلاب؟ فيجيبنا **جميل نعيسة** نقلا عن **توفيق الطويل** فيقول: «لوصدرت مثل هذه الأعمال من أي إنسان عادي لتعرض صاحبها لأشد العقوبات

---

[1]- لقد أورد **عبد الله حنا** تصنيف آخر للطرق الصوفية أهمها: الطريقة النقشبندية والبكتاشية والمولوية وغير ذلك. للمزيد انظر: ص ص 73-74.

[2]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 408.

[3]- المرادي، المصدر سلك الدرر، ج 3، ص 30.

[4]-نفسه، ج 4، ص 50.

[5]- نفسه ، ج 2، ص 67.

وربما الموت...فالمجذوب في رأيهم كائن عقله في السماء وجز ءه الكثيف في الأرض و إنه حبيب الله...ومهما ارتكب من الفظائع فإن ذلك لا يؤثر في سمعته...فعقله مستغرق بعبادة الله، وما كان هذا السلوك إلاّ دجلا أو خبلا أو جنونا.»[1].

من كرامات **الحموي** أنّه رأى رجلا يحمل علبة لبن فناداه وأخذها منه وصبّها للكلاب، فنظر الرجل فإذا فيها فرخ حية، ويحكى أن وزير ا من وزراء آل عثمان وليّ حكومة دمشق فلما استقر بها سمع بالشيخ، فأرسل إليه أحد أعوانه ومعه ستة ع لب لكنه أبى قبول هديته لولا إلحاح المرسول إليه لأنّه خشي نقمة الوزير، فقبلها في الأخير وقال له:« **أعطيناه منصب دمشق ست سنوات** » وكان الأمر كذلك. وفي الحقيقة رغم قلّة حاجته وعيشه حياة ضنكة إلاّ أنّه رفض الاختلاط بالحكام ورفض حتى الهدايا، في حين كان بإمكانه أن يعيش في بحبوحة مدى حياته، لأنّ رجال الحكم كان همهم إرضاء أولئك المتصوفين، والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح، هو كيف لوزير صاحب جاه ومال يطلب دعاء وبركة رجل يعيش في القمامة ومع الكلاب؟ هذا يدل على مدى سطحية التفكير والإيمان بالخزعبلات وقصور عقلي في تقدير الأمور. والشيء الغريب في **الحموي** أنّه كان بين جماعة فأذن المؤذن فقالوا له: "**قم تصلي**" فأنشد لهم بيتين هما:

يصلي من له فرس و عبد وجارية ومملوك ودار

أمّا المفلسون فما عليهم إذا تركوا صلاه الخمس عار.

ورغم ذلك كان الناس تعتقد فيه، وجنازته كانت حافلة ازدحمت بالعامة[2].

كذلك نجد **عمر بغدادي** الذي كانت تجلّه أهالي دمشق وغيرها ويتبركون به حيث أقبل عليه الحكام و الوزراء والقضاة والعامة. وكما هو واضح سعى الحكام والأثرياء لإرضاء أولئك الأولياء ويطلبون بركاتهم، لأنّهم يعرفون حق المعرفة مدى تأثير رجال الدّين على عقول العامة، لكن الشيخ **بغدادي** رفض تولي الوظائف، ولعلّ مثل هذا السلوك يسهم أكثر في ذيوع صيته في البلاد وأدّى إلى إقبال الناس وحصل له التوقير في دمشق[3].

تتوضح علاقة المتصوفة بالسلطة أكثر في العابد الزاهد **إلياس الكردي** الذي آثر حياة العلم وترك الملذات وكان مقبول الشفاعة عند الحكام، لكنه لم يتودد إليهم أبدا ورفض جوائزهم وزار مرّة الوزير **رجب باشا** الشيخ وكان يحبه فطلب منه الدّعاء فقال له:«والله أنّ دعاي لا يصل إلى السقف

---

[1]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 408.

[2]-المرادي، سلك الدرر، ص ص 67 – 68.

[3]-نفسه، ج 3، ص 180.

وما ينفعك دعائي والمظلومون في حسبك يدعون عليك»، وعرضت عليه مائة دينار فأبى أن يقبلها وقال له:«ردها للمظلومين الذين تأخذمنهم الجرائم» [1]. إذن استطاع هذا الزاهد أن يجيب هذا الوزير بكلّ صراحة ولم يخشاه، لكن الأخير أكرمه بالمال الذي رفضه وطلب منحه للمظلومين وسلوك مثل هذا يعرض صاحبه للموت المؤكّد، لكن الوزير ذهب ولم يفعل شيئا، وهذا ما يدل على الاعتقاد في مثل هؤلاء الأولياء ومدى قدرتهم الخارقة في إلحاق الضرر بمن يؤذيهم حسب اعتقادهم.

يذكر لنا **المرادي** في هذا الصدد قصة **عبد الرحمن الجقمقي** الذي دخل على قاضي البلدة وكان بعين واحدة فوضع يده على عينه الواحدة يشير إلى أن القاضي أعور، فحمق منه وأمر ضربه على قدميه فضرب تسعة أسواط ثم تشفع له بعض أهل ذلك المجلس، فعزل القاضي في اليوم التاسع ورجم وأُهين حتى أشرف على الهلاك[2].

كما أورد **المرادي** في مؤلفه جملة من الأعيان عرّفوا بالجذب ويدعون بالمجذوبين، هم الخلفاء الأولياء، أصحاب الكرامات، كانت العامة والخاصة تقصدهم للعلاج والاستشفاء ومن أمثال ذلك نذكر **عبد الرحمن الكردي** من مشاهير المشايخ الصوفية بدمشق، معتقد عند الكل وكانت الناس تحبه وتكرمه والنسوة تترددن عليه زمرا يأخذن منه التمائم والرجال كذلك [3]. وقد كان **السيد إسحاق الكيلاني** يكتب بخطه بعض التمائم والتعاويذ للاستشفاء [4]، كذلك فعل الصوفي **الشيخ عبد القادر التغلبي** الذي كانت تعتقده الخاصة والعامة ويتبركون به ويكتب التمائم للمرضى والمصابين فينفعهم الله بذلك وكان لا يخالط الحكام ولا يدخل إليهم [5]، وأخذ النّاس التمائم فيجدون في بركتها التعافي من عند **أبو يزيد الحلبي**[6].

وكان **محمد العمري الدمشقي** الشيخ الزاهد الصوفي تهابه الأكابر والأصاغر، اعتقده الناس في زمانه، كان إذا وضع يده على مريض يشفى بإذن الله، ومن مناقبه أيضا أنّ امرأة من النصارى لما رأت جنازته أقرّت بالشهادة [7]. وقد أشتهر **أبو بكر الدراقي** الشيخ الورع الزاهد باستجابة الدّعاء ونطق بولايته الخاص والعام وله كرامات أخرى[8]، وعندنا **عبد الرحمن الجقمقي** أيضا المجذوب الولي

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 273.
[2]- نفسه ، ج 2، ص ص 325 – 326.
[3]- نفسه، ج 2، ص 292.
[4]- نفسه ، ج 1، ص 219.
[5]- نفسه، ج 3، ص 59.
[6]- نفسه، ج 1، ص 73.
[7]- نفسه، ج 4، ص 69.
[8]- نفسه، ج 1، ص 54.

له كرامات شهيرة من بينها أنّ المريض الذي يدخل عليه يشفى والذي يتمنع الدخول عليه يتحقق فيه الموت أقرب[1].

وخير ما نختم به هذا الموضوع، أبيات نظمها **حسين القصيفي** في هجوه لأهل التكية فقال:

يا نزولا بالتكية أنتم أهل البلية كل من رام حماكم حل في أقوى رزية
ما لكم قط صفاء لا ولا حال وفيه بل أمور أن تراءت فرّ منها ذي التقية
ما لوردكم ورد و بل حظوظكم جلبة واشتهاركم وبال للتعصب و الحمية
والتراءس والتراءى والتكبر بالمزية لا دقيقة خير تبدى منكم سرا خفية
بل دعاء في مها و أنزلتكم بالسوية شيخكم للجهل شيخ كم حوى لفساد نية
مظهر السوء كذوب دارس السنة السنية آكل السحت دواما خلقه السوء سجية
كم لكم قشر وقشر كم لكم مكر الطوية كم بداهن كم يعاني ما له عيش هنية
كم يفاخر كم يباهي للتعاظم والأنية كم له جرار سوء كي ينال به العطية
لا جزاه الله خيرا فهو دجال البرية.[2]

وما يمكن أن نستشفه من **سلك الدرر** في الأخير، هو إمكانية تصنيف المتصوفين في دمشق خلال هذه الفترة إلى أصناف مختلفة، أما الصنف الأول من المتصوفين فكانوا ذا نشاط اجتماعي ديني[3]، فقد انظموا إلى فرق صوفية متعددة وأقاموا الأذكار والأوراد في الزوايا وغيرها، وكان أشياخ للطرق وسموا طرقهم بأسمائهم واكتسبوا بذلك مكانة اجتماعية بين النّاس.

أمّا الصنف الثاني، فهم الذين عكفوا على العبادة واختاروا حياة الزّهد والتصوف، واشتهروا بالخوارق والكرامات وكانت العامة والخاصة تجلّهم لما ظهر منهم من مكاشفات . وصنف ثالث آخر، عرّف عنهم الجذب وهم خلفاء الأولياء وأصحاب كرامات ومكاشفات قصدتهم الناس للاستشفاء.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 2، ص ص 325 – 326.
[2]- نفسه ، ج 2، ص 49.
[3]- جميل نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 406.

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية

1 المدارس التقليدية

أ- المدارس الحنفية

ب- المدارس الشافية

ج- المدارس الحنبلية

د- المدارس المالكية

هـ- المساجد والجوامع

و- المدارس الصوفية

2 المدارس الحديثة

أ- المدرسة النقشبندية البرانية

ب- المدرسة العبدلية

ج- المدرسة القارية

د- المدرسة المزلقية

3-الحواضر العلمية وإجازات العلماء

أ- المراكز العلمية

ب- الإجازات العلمية

المؤسسات التعليمية:

طلب العلم فريضة على كل مسلم، من هذا كان تعليم الفرد في جلّ البلاد العربية الإسلامية واجبا، يبدأ في سن مبكرة على يد شيخ يحضره ربّ الأسرة لابنه أو بنيه أو على يدّ رب الأسرة إذا كان عالما أو متعلما [1]، على أنّ تعليمه –الصبي– يكون في إحدى المرافق التالية: المكاتب الملحقة بالمدارس والمساجد، المكاتب الخاصة التي أقامها بعض الشيوخ في بيوتهم أو في بعض حارات المدينة[2]. كما ذكر **المحبي** أنّ بعض الشيوخ كانوا يعلمون ويؤدبون أبناء السلاطين والخلفاء والوزراء وقادة الجند تأديبهم في منازلهم[3]، وهناك نشاط المرأة كذلك التي نهضت به في دار الخجة وكان يطلق على من تدرس اسم الخجا[4].

كان التعليم في المجتمع الدمشقي مقسوما إلى مرحلتين:

1– مرحلة الدراسة بالكتاتيب: حيث يتلقى فيها الصّبي حروف الهجاء ومفردها ومركبها وأشكالها ثم يعلّمه الشيخ القرآن الكريم والكتابة وحسن الخط وطرفا من الحساب[5].

2– مرحلة الدراسة بالمدارس: الطالب هنا يلقن العلم من مشايخ ذوي معارف ويدّرسه ما يمكنه من فهم المصحف الشريف والحديث المناقشة المنطقية ومن بين المواد التي كانت تعلم هي:

* **في الفقه:** شرح التحرير وشرح النهج، الدر المختار[6] وغيرها.
* **في الحديث:** موطأ مالك، صحيحا البخاري ومسلم، الشمائل للترمذي[7] وغيرها.
* **في التفسير:** تفسير الزمخشري والبيضاوي[8] وغيرها.
* **في القراءات:** الشاطبية والرائية، العشرة[9].
* **في النحو والصرف وعلوم اللّغة:** الألفية وشروحها، شرح معنى اللّبيب، شرح الكافية[10].
* **في العلوم العقلية:** جوهرة التوحيد، إيساغوجي[11].

---

[1]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 309.

[2]- مهند أحمد مبيضين، **ملاحظات حول تعليم الصبيان في مدينة دمشق خلال العهد العثماني 922ه – 1337ه/1516 – 1918م**، المجلة الأدبية التاريخ و الآثار، مج 6، عدد2، دب، 2012م، ص 113.

[3]- المحبي، المصدر السابق، ج 2، ص 242.

[4]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 388.

[5]- القاسمي، المرجع السابق، ج 2، ص ص 407 – 408.

[6]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 209.

[7]- نفسه، ج 1، ص 261.

[8]- نفسه، ج 3، ص 88.

[9]- نفسه، ج 4، ص 40.

[10]- نفسه، ج 1، ص 256.

[11]- نفسه، ج 3، ص 46.

* **في التصوف:** الفتوحات المكية[1].

لقد عدّد المؤرخ **النعيمي** المدارس التي تواجدت في دمشق أواخر القرن **9هـ/15م** التي بلغت:«**63** مدرسة لتدريس المذهب الشافعي، **52** لتدريس المذهب الحنفي، **3** للمذهب المالكي، **11** للمذهب الحنبلي.» [2]. من خلال هذا القول نستشف أنّ المدارس في المدينة كانت مقسمة مذهبيا، فمنها مدارس الشافعية التي كان يقرأ فيها فقه الإمام **أحمد بن إدريس الشافعي** [3] وأخرى مدارس حنفية يلقى فيها فقه الإمام **أبي حنيفة**[4] والحنابلة لفقه الإمام **أحمد بن حنبل**[5]. وبعضها للمالكية التي تدرس فيها فقه الإمام **مالك بن أنس**[6]، إضافة إلى نشاط دور للقرآن يتلقون فيها القراءات على الأصول وما يتعلق بذلك ومنها دور للحديث يأخذون فيها فنون الحديث وروايته[7].

إذا أردنا دراسة المدارس التي كانت موجودة في دمشق خلال القرن **12هـ/18م** فعلينا أولا أن نميّز بين مدارس دمشقية أنشأت قبل التواجد العثماني بالمنطقة التي تمثل المدارس التقليدية ، وبين مدارس شيّدت خلال هذا العهد من طرف ولاتها والتي تمثل المدارس الحديثة.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 105.

[2]- عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، **الدارس في تاريخ المدارس**، ج 1، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، د ت، ص 129 وما بعدها.

[3]- **الإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي :** ولد بغزّة عام 150ه-/767م، وتوفي بمصر سنة 204ه-/819م، ينسب إلى المذهب الشافعي الذي هو ثالث المذاهب الأربعة قدما، يقال لأصحابه أهل الحديث، بل أهل خرسان إذا أطلقوا (أصحاب الحديث) لا يعنون إلاّ الشافعية وهو ممن أخذ عن الإمام مالك ثم استقل بمذهب خاص، ظهر المذهب أولا في مصر وكثر أصحابه، ثم شاع في العراق، بلاد خراسان، الشام وغيرهم. انظر: أحمد تيمور باشا، **المذاهب الفقهية الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين**، ط1، د د ن، د ب، د ت، ص ص 75 – 76.

[4]- **أبو حنيفة النعمان** : هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التميمي الأصل، ولد بالكوفة عام 80ه-/699م وهناك من يقول 150ه-/767م، ينسب إليه المذهب الحنفي أقدم المذاهب الأربعة الذي نشأ بالكوفة موطن الإمام، ثم انتشر في سائر العراق ومصر، فارس وغيرها، ويقال لأصحابه أهل الرأي، لأن الحديث كان قليلا بالعراق، فاستكثروا من القياس ومهروا فيه ولإمامهم مقام في الفقه لا يلحق، شهد له بذلك أهل جلدته وفي مقدمتهم مالك والشافعي، دوّن أصحاب أبي حنيفة مذهبه من طرف أربعون رجلا منهم: أبو يوسف، زفر وغيرهما. نفسه، ص ص 50 – 51.

[5]- **الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**: ولد سنة 164ه-/780م وتوفي 241ه-/855م بمرو، وحمل رضيعا إلى بغداد، ينسب إليه المذهب الحنبلي الذي انتشر بكثرة في بلاد الشام، وضعف في القرن 8ه- نفسه، ص ص 88 – 89.

[6]- **مالك بن أنس الشيباني**: ولد عام 93ه-/711م وتوفي 179ه-/795م، ينسب إليه المذهب المالكي الذي هو ثاني المذاهب الأربعة في القدم، يقال لأصحابه أهل الحديث، واختص إمامه بمدرك آخر الأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره وهو عمل أهل المدينة. نشأ هذا المذهب بالمدينة موطن الإمام مالك، ثن انتشر في الحجاز وغلب عليه وعلى مصر وما والاها من بلاد إفريقية والأندلس، صقلية إلى السودان، بغداد بعد القرن 4ه- بشكل ضئيل، نفسه، ص ص 64 – 65.

[7]- كرد، المصدر السابق، ج 6، ص 68.

1 – المدارس التقليدية:

ظلّت العديد من المدارس على اختلاف مذاهبها الأربعة ودور الحديث تقوم بنشاط تعليمي أسهم في تشكيل الثقافة العربية الإسلامية للدمشقيين في تلك الحقبة.

أ المدارس الحنفية:

كان بدمشق **51** مدرسة للحنفية في بداية القرن **11هـ/17م**[1]، وذكر **المرادي** حوالي **18** مدرسة وسوف نقف عند أهم المؤسسات التعليمية التي لم يوردها في مؤلفه **سلك الدرر●**.

من المدارس الحنفية نجد **المدرسة التاجية** بزاوية الجامع الأموي الشرقية تقع غربي دار الحديث العروبة والمعروفة أيضا بابن سنان قديما والآن بالسلاوية في عام **624هـ/1227م**، درّس بها الشيخ **شعبان بن أبي بكر بن عمر الأربلي** شيخ الحلبية بجامع بني أمية، كما دفن بها العلامة **تاج الدين الكندي** الذي قال فيه الشيخ**علم الدين السخاوي** شعرا:

لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصره

فهما زيد وعمرو إنما بني النحو على زيد وعمرو[2].

أما **المدرسة الريحانية** تتواجد جوار النورية، من إنشاء **ريحان الطواشي** أكبر خدام **نور الدين** عام **565هـ/1170م**[3]، وقد تولاها **كمال الدين محمد** ثم بعده القاضي **شمس الدين عبد الله الحنفي**[4] وغيرهم ، عندنا أيضا **مدرسة الزنجارية**[5] و**المدرسة الطومانية** تتواجد تجاه دار الحديث الحديث الأشرفية غربي الشريفية والفقاعية بسوق العصرونية ووقفها **طومان النوري**[6]، قد تحولت إلى حانة تباع فيها الخمور ثم صارت حوانيت ودورا [7]. لدينا كذلك **المدرسة العزيزية**[8] التي أنشأت عام **621هـ/1224م**، بناها **عثمان بن الملك العادل** وشقيقه الملك المعظم تتواجد جوار المدرسة

● - الملحق رقم (02)، ص 162.

[1]- كرد ، المصدر السابق، ج 6، ص 88.

[2]- النعيمي، المصدر السابق، ج 1، ص 370- 372.

[3]- كرد ، المصدر السابق، ص 90.

[4]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 401.

[5]- **المدرسة الزنجارية** : توجد خارج باب توماء وباب السلامة، ويقال لها الزنجيلية كانت تجاه دار الأطعمة، أنشأها نائب عدن **فخر الدين الزنجيلي** صاحب اليمن أيام الملك العالم عام 626هـ. كرد ، المصدر السابق، ص ص 90 – 91. أول من درّس بها **حميد الدين السمرقندي وكمال الدين عبد اللطيف السنجاري** وغيرهما. للمزيد انظر: النعيمي، نفسه،ص404.

[6]- نفسه، ص417.

[7]- كرد ، المصدر السابق، ج 6، ص 62.

[8]- **المدرسة العزيزية البرانية** : أنشأها الأمير **عز الدين استاد دار** (الذي يتكلم في إقطاع الأمير مع الدواوين والفلاحين وغيرهم)، درّس بها **محمد الكريمي**. نفسه، ص ص 92 – 93.

المعظمية بالصالحية[1]، ثم **المدرسة العزيزية البرانية**. أما **المدرسة الخاتونية البرانية** تقع قرب مسجد خاتون على الشرف القبلي في مكان يسمى صنعاء دمشق مطل على وادي الشقراء وقفتها **زمرد خاتون** التي كانت حافظة للقرآن الكريم وسمعت الحديث عن **أبي الحسن بن قيس** ودرسها كل من **علي البلخي** و**شرف الدين عبد الوهاب الحوراني**[2]وغيرهما، و**مدرسة الخاتونية الجوانية**[3]. وهناك وهناك مؤسسات تعليمية حنفية أخرى ك.**المدرسة الإقبالية** و**المدرسة الناشية**، **المدرسة الجلالية** وغيرهم.

ب– المدارس الشافعية:

بلغت عدد المدارس الشافعية في دمشق من خلال مؤلف **الدّارس57** مدرسة، واستطاع **المرادي**ذكر منها حوالي **14** مدرسة في فترة القرن **12هـ/18م**[4]، ونحن هنا سنحاول الوقوف عند أهم المؤسسات التعليمية التي لم تذكر في **سلك الدرر**.

ومن بين المدارس الشافعية نجد **المدرسة الإسعردية** بالجسر الأبيض بالصالحية أنشأها **إبراهيم بن مبارك شاه الإسعردي** من الأثرياء[5]، رتب بها فقراء ومقرئين يقرؤون القرآن الكريم وتعدّ من أحسن عمائر دمشق، أما **المدرسة الأسدية** المتواجدة بالشرق القبلي ظاهر دمشق وهي مطلة على الميدان الأخضر وقامت على طائفتين أي الشافعية والحنفية [6]، أسسها **أسد الدين شيركوه** من قواد **نور الدين**[7] من م دّرسيها **العز القرشي** و**ركن الدين أبو يحيى** الذي عمل في الفرائض وغيرها إضافة إلى القاضي **الرمشاوي**[8]. و**المدرسة الأصفهانية** التي كانت بمحلة الغرباء بالقرب من درب الشعارين لتاجر من أصفهان[9] بناها **جمال الدين عبد الكافي** الذي كان خطيب دمشق وناب مدّة القضاء[10]، نجد أيضا **المدرسة البهنسية** بسفح قاسيون شيدها **مجد الدين** المعروف ب**أبي الأشبال**

---

[1]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 417.
[2]- كرد ، المصدر السابق، ج6، ص 90.
[3]- **المدرسة الخاتونية الجوانية**: أنشأتها **خاتون بنت معين الدين** زوجة **نور الدين محمود بن زنكي** وقفها **سعد الدين** أخوها عليها، ثم من بعدها عقبها ونسلها، ماتت ولم تعقب، وهي تقع بمحلة حجر الذهب، دّرس بها **الصدر بن عقبة**
وقاضي القضاة **مجد الدين أبو حمد** وغيرهما. النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 388 وما بعدها.
[4]- انظر ملحق رقم (02)، 164.
[5]- كرد ، المصدر السابق،ج6، ص 75.
[6]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص ص 113 – 114.
[7]- كرد ، المصدر السابق، ج6، ص 75.
[8]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص ص 115 – 116.
[9]- كرد ، المصدر السابق،ج6، ص 75.
[10]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 118.

وزير الملك **الأشرف مظفر الدين موسى** وهي على طريق المهاجرين بطرف السكة جوار حاكورة العدس[1]، درّس بها القاضي **نجم الدين بن سني** بعده **شمس الدين بن خلكان** ثم ولده **محمد**[2].

كما نجد **المدرسة الحمصية** التي تقع تجاه الشامية البرانية وشيّدت عام **726هـ/1325م**، ومن بين م درّسيها الشيخ **محي الدين الطرابلسي** [3] ولم يبق منها إلا قطعة خربة [4]، عندنا أيضا **المدرسة الدّماغية**[5]و**المدرسة الخليلية** بدمشق والتي بناها **سيف الدين يكتمر الخليلي** الذي توفي عام **746هـ/1248م**[6] ولا ننسى **المدرسة الرواحية**[7]، أما **المدرسة الخضرية** فقد تواجدت بمقصورة بمقصورة الخضراء غربي الجامع الأموي وهي مكان داخل الجامع أشبه بالحلقات [8] درّس بها الشيخ **عماد الدين** ثم **جمال الدين بن الحموي** [9]. وفي الحقيقة توجد مدارس كثيرة لا يمكن ذكرها كلها **كالمدرسة الإقبالية** و**المدرسة الإكزية، المدرسة الجاروخية**[10]وغيرهم.

ج– مدارس الحنابلة:

كان بدمشق **10** مدارس للحنابلة، أحصى **المرادي** منها حوالي مدرستين [11] في مؤلفه، وسنذكر أهم المؤسسات التعليمية التي لم ترد في **سلك الدرر** وهي:

المدرسة الشريفية عند القباقبية العتيقة قديما ودار بني الغزي في العمارة أمام الفرن جانب شرقي، أنشأها **شرف الإسلام عبد الوهاب أبي الفرج الحنبلي** بدمشق عام **536هـ/1141م**[12]، أما ا**لمدرسة الصاحبية** تواجدت بسفح قاسيمون من الشرق بنتها **خاتون بنت نجم الدين أيوب** بجبل الصالحية ووقفتها على الحنابلة وأول من دَّرس بها **ناصح الدين الحنبلي** ثم ولده **سيف الدين**

---

[1]- كرد، المصدر السابق،ج6، ص 77.
[2]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 162.
[3]- نفسه، ص 174.
[4]- كرد ، المصدر السابق،ج6، ص 77.
[5]- **المدرسة الدّماغية** : داخل باب الفرج غربي الباب الثاني الذي قبلي باب الطاحون، منتصفة بين الشافعية والحنفية، أول من درّس بها القاضي **شمس الدين الخويتي وكمال الدين التغليسي** . النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص ص 177 – 178.
[6]- كرد ، المصدر السابق،ج6، ص 77.
[7]- **المدرسة الرواحية**: شرقي مسجد ابن عروة بالجامع ولصيقه، شمالي جيرون وغربي الدولعية وقبلي الشريفية الحنبلية، بناها **زكي الدين أبو القاسم** التاجر، وأول من درّس بها القاضي **شرف الدين أبو طالب** والشيخ **شمس الدين عبد الرحمن المقدسي**. النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص ص 200 – 201.
[8]- كرد ، المصدر السابق، ج 6، ص 79.
[9]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 207.
[10]- للمزيد انظر، كرد والنعيمي.
[11]- انظر ملحق رقم (02)، ص 168.
[12]- كرد ، المصدر السابق،ج6 ، ص 97.

يحيى. و**المدرسة الصدرية** التي شيّدها **صدر الدين أبي الفتح أسعد المنجا التنوحي العدل** عام **630هـ/1233م** تقع بجوار جامع زقاق الريحان والعامة [1]وقد أوقفها صاحبها على الحنابلة ومن شيوخها **وجيه الدّين** ثم أخوه **ابن المنجا** و**المدرسة الضيائية المحمدية** المتواجدة بسفح قاسيون شرقي الجامع المظفري، بناها الفقيه **ضياء الدين محمد** بجبل الصالحية [2] في عام **620هـ/1223م** ودّرس بها مؤسسها أولا الذي كان علاّمة عصره[3]، وعندنا أيضا **المدرسة الضيائية المحاسنية**[4].

أما **المدرسة الحنبلية الشريفية** تواجدت عند القباقبية العتيقة وقفها الدمشقي شيخ الحنابلة بالشام **عبد الوهاب ابن الشيخ أبي الفرج الحنبلي** ودّرس بها **الناصح الحنبلي** ثم ولده **ناصح الدين** ثم من بعده ولده **سيف الدين**[5]، وأيضا **المدرسة المسمارية** [6]و**المدرسة الجاموسية** و**المدرسة الصاحية**[7].

د- مدارس المالكية:

وجد بدمشق أربع مؤسسات تعليمية ذكر **المرادي مدرسة الزاوية المالكية**[8] وسنذكر المدارس المدارس الثلاثالباقية وهي:

المدرسة الشرابيشية بدرب الشعارين لصيق حمام صالح، شمالي الطبوريين داخل باب الجابية[9]، الجابية[9]، أنشأها **شهاب الدين بن نور الدولة بن محاسن الشرابيشي** التاجر ثم تحولت إلى مدرسة للأيتام محكمة شرعية واختلس الجيران بعضها [10]. كذلك **المدرسة الصمصامية** التي تواجدت بمحلة حجر الذهب شرقي دار القرآن الوجيهية وقبلي المسرورية الشافعية وشام الخاتونية العصمية الحنفية ووقف عليها الصاحب **شمس نور الدين علي بن عبد النصير المالكي**[11]، أما **المدرسة الصلاحية**

---

[1]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص ص 60-97.
[2]- نفسه، ص ص 68- 71.
[3]- كرد، المصدرالسابق، ج 6، ص 97.
[4]- **المدرسة الضيائية المحاسنية** : موجودة بسفح قاسيون شرقي جامع المظفرية وأمام جامع الحنابلة، أنشأها **ضياء الدين محاسن** ووقفها على من يكون أمير الحنابلة. نفسه، ص 97.
[5]- النعيمي، المصدر السابق، ص 50- 53.
[6]- **المدرسة المسمارية:** تتواجد عند قبلي القيمرية الكبرى داخل دمشق، واقفها **الحسن بن مسمار الهلالي الحوراني** المقرئ التاجر، دّرس بها **وجيه الدين بن منجا** ثم ولده **صدر الدين بن منجا**، ثم بعده ولده **زين الدين** إلى حين انتقل إلى مدرسة سيف الإسلام. نفسه، ص ص 89 – 90.
[7]- للمزيد انظر، الدارس ج 1و ج 2، خطط الشام ج 6.
[8]- انظر ملحق رقم (02)، ص 168.
[9]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 6.
[10]- كرد ، المصدر السابق، ص 96.
[11]- النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص ص 6 – 7.

من إنشاء **صلاح الدين** بالقرب من البيمارستان[1] النوري[2] ودّرس بها كل من الشيخ **جمال الدين الدين** و**جمال الدين عثمان بن الحاجب** والشيخ **زين الدين عبد السلام الزواوي**[3] وغيرهم.

كما حرّص المسلمون على رواية الحديث لفهم كتاب الله العزيز وسنته وللتفقه والتبرك أيضا فراحوا يشيدون دورا للحديث وقد ذكر المرادي في مؤلفه بعضها[4]، وأول من بنى دار حديث في الشام الشام هو **نور الدين محمود بن زنكي** وبعده كثرت[5]، حيث ذكر **النعيمي 18** دارا للحديث ومن بينها:

* **دار الحديث الأحمدية:** بالمشهد الشرقي للجامع الأموي، دّرس بها **إبراهيم الفتال**[6].

* **دار الحديث الأشرفية:** جوار باب القلعة أمر **الملك الأشرف** عام **628**هـ / **1230**م أن تحول دار أحد الأمراء إلى دار حديث وفتحت عام **630**هـ / **1232**م وهناك أيضا **دارالحديث السكرية** و**الشقيشقية، العروية**[7] وغيرهم.

هـ– المساجد والجوامع:

لعبت المساجد والجوامع[8] دورا هاما في تفعيل الحركة التعليمية بدمشق وأضحت منارا لتلقي العلم النافع ومن الجوامع التي كان لها إسهام في إرساء الثقافة الإسلامية نجد **مسجد بني أ مية الكبير**[9]، حيث كانت كل زاوية من زواياه تشكل حلقات علم يديرها كبار العلماء والأئمة المتضلعين، لكن الدروس التي كانت تلقى تحت **"قبّة النسر"**[10]هي التي نالت الشهرة وذاع صيتها في العالم الإسلامي.

---

[1]- **البيرامستان**: كلمة فارسية مركبة معناها محل المرضى. انظر: كرد، المصدر السابق، ج 6، ص 157.

[2]- نفسه، ص 96.

[3]-النعيمي، المصدر السابق،ج1، ص 8.

[4]- الملحق رقم 03، ص 173.

[5]- كرد ، المصدرالسابق،ج6 ، ص 71.

[6]- المحبي، المصدر السابق، ج 1، ص 12.

[7]- النعيمي،المصدر السابق،ج1، ص 15 والمحبي، المصدر السابق،ج1، ص 310.

[8]- **المسجد والجامع**:هو البيت الذي يسجد فيه وكل موضع يتعبد فيه، يكون صغير المساحة والحجم، أما الجامع فهو مسجد عظيم يجمع المصلين أيام الجمع والأعياد. انظر: كرد، المصدر السابق، ج 6، ص 45.

[9]- **مسجد بني أمية الكبير**: أو الجامع الأموي يقع في قلب المدينة القديمة، أنجزه الخليفة الأموي **الوليد بن الملك** في دمشق عام 86هـ/ 705م و تمّ في 96هـ/ 714م، بناه فوق كنيسة النصارى . النعيمي، المصدر السابق، ج 2، ص ص 285 – 286.

[10]- **قبّة النسر**: يغطى الجناح المتوسط سقف سمني في وسطه قبة عرفت بقبة النسر المؤلفة من قبة نصف كروية من الخشب المصفح، أبعادها3 ×3 ارتفاعها 35م، ويعود بناؤها للفترة السلجوقية، ترتفع عن أرض الجامع 45م وهي بقطر 16م. خالد مطلق بكر عيسى، **القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة (دراسة نقدية تحليلية)**، مذكرة لنيل درجة الماستير في الهندسة المعمارية، (مرقونة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011م. أما عن تسميتها فيقول **ابن جبير** في مؤلفه **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** : « يشبهها الناس بنسر طائر، كأن القبة رأسه والغارب جؤجؤه، ونصف جدار البلاط عن يمين والنصف الثاني عن شمال جناحاه...»، ص 40.

كانت الحلقات التدريسية تعقد تحت قبة النسر والتي كان من شروط الانضمام إليها أن يقوم على درس الحديث فيها أعلم علماء دمشق، وفي القرن **10هـ/16م** ذكر **النعيمي** نقلا عن **البيطار** أنّ الجامع الأموي شمل على **تسعة** أئمة و**ثلاث وسبعين** متصدرا لإقراء القرآن، **سبع** و**عشرين**، و**إحدى عشر** حلقة للاشتغال بالعلم والصرف عليها من مال المصالح[1].

وقد تزاحم وتنافس علماء دمشق على التدريس تحت قبّة النسر، لأنّها تعدّ بمثابة المرحلة العليا في الدّراسة، وفي هذا الصدد قال **جميل نعيسة** نقلا عن **إبراهيم خياري** خلال القرن **12هـ/ 18م**: «إنّ الدمشقيين يتزاحمون على التدريس بذلك الموطن ويفتخرون به يسمون المدرس تحتها مدرس القبة»، ومن بين المواد التي كانت تدرس تحتها هي : العلوم الدينية كالأصول والفقه ، علوم اللّغة كالنحو والصرف وغير ذلك، العلوم العقلية كالحساب والمنطق[2].

ومن مدرسي قبّة النسر ذكر لنا **المرادي** الشيخ **إسماعيل العجلوني** الذي درس الحديث (صحيح البخاري) [3] وبعد وفاته خلفه **صالح الجنيني** [4]، ثم توجهت إلى العالم **عبد الرحمن الكفرسوسي** الذي أراد أخذ مكان **صالح الجنيني**، لكن لم يسهل له الأمر إلاّ بعد تدخل والي دمشق الوزير **عبد الله باشا**[5]، كما نجد أيضا الشيخ **يونس المصري**[6] و**علي الطاغستاني**[7] وغيرهما.

أما طريقة التدريس تحت القبة فكانت تتم على شكل حلقات يتحلق فيها الطلاب حول المحدثين الذين يقرؤون الحديث الشريف وهم جلوس على كراسي مرتفعة، أما الوعاظ ومدرسو القرآن الكريم فيستندون إلى سواري المسجد عند الوعظ والإرشاد كما أدّى جامع بني أمية الكبير دور الجامعة التي كان يلتقي فيه علماء دمشق بالعلماء الغرباء، الذي ن أقاموا في رحاب ه مناظرات ومساجلات بالعلوم المختلفة التي سادت في تلك الفترة، وجرت العادة إذا حلّ عالم غريب بالمدينة فلا يُقبل عليه رجال العلم إلا بعد استماعهم لدراس ته وطرح الأسئلة عليه لمعرفة مدى تضلعه، فإذا أقنع نجح في نيل الاحترام والإقبال والإكرام وإلاّ فشل أعرضوا عنه[8]. وعليه أضحى الجامع الأموي

---

[1]- البيطار، المصدر السابق، ج 1، ص ص 149 - 151.
[2]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 393.
[3]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 260.
[4]- نفسه، ج 2، ص 209.
[5]- نفسه،ج1، ص 324.
[6]-نفسه، ص 112.
[7]- نفسه، ج 3، ص 215.
[8]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص ص 394- 395.

إضافة إلى كونه بيتمن بيوت الله لأداء العبادة وتسخيره لمهمات أخرى أد ى دور التدريس للتحصيل المعرفي عند المسلمين.

وهناك مساجد وجوامع أخرى بدمشق وضواحيها لا تقل أهمية عن الجامع الأموي التي أدّت نفس الدور التربوي والتعليمي مثل **مسجد زكريا** في غربي القلعة بحلب الذي ضاهى جامع دمشق، بناه **سليمان بن عبد الملك** [1]، عندنا أيضا **جامع ابن منجك** الكائن في ميدان الحصى بدمشق [2] الذي شيّده **سيف الدين منجك اليوسفي الناصعي**[3]، وكذلك **جامع العداس** في محلة القنوات الذي الذي درس وأفاد الناس فيه الفقيه **إلياس الكردي**[4] كما نزل به **الشيخ الكردي** نزيل دمشق في خلوته[5].

و–مدارس الطرق الصوفية:

وجدت في دمشق مدارس تلقن أصول الطرق الصوفية ووقفت عليها أوقافا كثيرة أطلق على بعضها اسم **الخانقاه**[6] وعلى بعضها الآخر اسم **الرّبط**[7] **والزوايا**[8]، وكان شيخ الطريقة يقيم بها الذكر الذكر مع مريديه[9]، وزخرت الشام بعدد كبير من هذه الأخيرة قبل التواجد العثماني بها والتي شيّدت في القرن **6هـ/12م** حتى **9هـ/15م**. بيد أنّ العثمانيين بحلولهم في دمشق أولو ا العناية بهذا النوع من المؤسسات التعليمية من منطلق أنّ هذه الزوايا والتكايا أماكن للتربية والتعليم ومكان للتزوّد بالمعارف الدّينية والصوفية، ناهيك عن ولعهم بالتصوف. لذلك جلّ ما قدّم بهذه المدارس خصّ للدّين وما يتصل بآداب الطرق، مع اختلاف منهج التعليم من تكية إلى أخرى حسب تباين الطريقة الصوفية في حدّ ذاتها[10]. وقد أطلعنا **المرادي** في **سلك الدرر** على أهم هذه المدارس الصوفية[11].

---

[1]- كرد، المصدر السابق، ج 6، ص 48.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 32.
[3]- النعيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 342.
[4]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 272.
[5]- نفسه، ج 2، ص 52.
[6]- **الخانقاه:** كلمة فارسية قيل : أصلها خونكاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك وأول من بناها السلطان **صلاح الدين يوسف** أحد سلاطين مصر. انظر: كرد، المصدر السابق، ج 6، ص 130.
[7]- **الرّبط**: جمع رباط، هو المكان المسبل للأفعال الصالحة والعبادة، وأول من اتخذه دارا للضيافة الواردين **الوليد بن عبد الملك** الأموي. نفسه، ص 133.
[8]- **الزوايا**: جمع زاوية تشبه الخانقاهات والرباطات إلاّ أنها تقام فيها الأذكار. نفسه، ص 135.
[9]- الصباغ، المجتمع السوري، المرجع السابق، ص 76 وما بعدها.
[10]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص ص 475 – 476.
[11]- الملحق رقم (02)، ص 169.

في القرن **9هـ/ 15م**أحصى **النعيمي** في بلاد الشام **21** رباطا و **27** زاوية تابعة لمختلف الطرق الصوفية التي استمر العديد منها في النشاط التعليمـي خلال العهـــد العثـمانـي كـــ**زاويةالوطية** أو **المغاربة**[1] التي بقيت حتى القرن **13هـ/19م**[2]وعندنا أيضا **التكية السليمية** التي بناها السلطان **سليم سليم الأول** جوار الجامع الذي شيّده حول ضريح الشيخ **محي الدين بن عربي** وأنشأ السلطان **سليمان القانوني** التكية السليمانية عام **962هـ /1555م** بدمشق[3].

ومن الزوايا التي شيّدت أواخر القرن **10هـ/16م** نجد **تكية مولويخانة** أو **تكية الدراويش** التي تواجدت بالقرب من جامع تنكر وعمّرت حتى عام **993هـ/1585م** وخصصت فقط للطريقة المولوية، كذلك **الزاوية الشاذلية** التي بنيت عام **1290هـ/1873م** في القنوات لأهل الطريقة الشاذلية، ثم **زاوية الغواصية**[4] وغيرهم[5].

2- المدارس الحديثة (العثمانية):

كثرت المدارس في دمشق خلال الفترة الممتدة ما بين (**1133-1193هـ/1720-1779م**) التي شيّدت معظمها من طرف الولاة (**آل العظم**) وكبار رجال الدين وغيرهم وهذا يكشف لنا عن مدى ازدهار الوضع الاقتصادي آنذاك والاستقرار السياسي الذي كان سائدا بالمنطقة [6]، لكن إذا ما قورنت هذه الفترة بالعهود السابقة فهي قليلة[7] وأكثر من بنى هذه المؤسسات التعليمية هم الغرباء عن عن دمشق[8].

كان لهذه المدارس سجلات خاصة بها تحفظ لدى قاضي القضاة أو لدى نظار أوقافها وقد يتحول بعضها إلى نزول لنواب القاضي العام وغيرهم من الأروام، ك .**المدرسة الجوانية** أو يحول بعضها إلى مدافن. ولهذه المؤسسات التعليمية التي شيّدت خلال العهد العثماني في دمشق أهداف

---

[1]- **زاوية الوطية أو المغاربة**: شمالي جامع جراح، وقفها الرئيس **علاء الدين علي** المشهور **بابن وطية لموقت** بالجامع الأموي عام 802هـ-، ووقف عليها حوانيت وطباقا حولها، شرط على شيخها أن لا يكون بأبواب القضاة والحكام. انظر: النعيمي، المصدر السابق، ج 2، ص 159.

[2]- نفسه، ص ص 151-159.

[3]- محمد كرد علي، المصدر السابق،ج6، ص 138.

[4]- **زاوية الغواصية**: شيّدت لأصحاب الطريقة الرفاعية في الميدان، عمرت حتى أواخر عهد السلطان **عبد الحميد الثاني**. انظر: كرد، المصدر السابق، ج 6، ص 140.

[5]- للمزيد انظر، النعيمي وكرد علي.

[6]- نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 384.

[7]- إذا كثرت المدارس في حقبة الدولتين النورية والصلاحية التي شيدها بعض العنقاء والخصيان، الإماء، البنات، القواد، أهل اليسار من التجار وغيرهم. محمد كرد علي، المصدر السابق،ج6، ص 68.

[8]- نفسه، ص68.

سياسية تمكن في ترسيخ النفوذ في المنطقة من طرف ولاة آل العظم ولأجل أهداف دينية بحتة، على أنّ جلّ الذي بنيّ من هذه المؤسسات كان للأحناف دون سواهم من المذاهب السنية الأخرى[1].

ومن خلال مؤلف **سلك الدرر** وقفنا عند أهم هذه المؤسسات التعليمية العثمانية [2]وإن كان بعضها الآخر أغفل من قبل **المرادي** وأولى هذه المدارس نجد **المدرسة النقشبندية البرانية** التي بناها الشيخ **مراد المرادي** في سوق ساروجا وشيّد قربها مسجدا كذلك وأضح ى فيما بعد تكية ومنزلا لأحفاده، ثم **المدرسة العبدلية** التي بناها **عبد الله باشا العظم** في سوق السلاح عام **1193هـ/1779م**[3]. أما **المدرسة القارية** فقد شيّدها الخواجا **محمد بن يوسف القاري** عام **887هـ/1482م** والتي تواجدت في الصف الشمالي لكن تحولت إلى دورا صغيرة وحواصل للخشب، كذلك **المدرسة المزلقية** بطريق مقابر باب الصغير الآخذ إلى الصابونية وشيّدها تاجر الخاص الشريف **شمس الدين أبو أيوب محمد بن علي** المعروف بـ**ابن المزلق**[4]. وهناك مدارس أخرى ك**المدرسة الحجازية** و **المدرسة الجوزية** و**المدرسة الأحمدية**[5] وغيرهم التي جلّها دّرست العلوم الدّينية وعلوم اللّغة والعلوم العقلية في مؤسساتها التعليمية[6].

هذا إضافة إلى حلقات التدريس التي كانت تتم في التكايا العثمانية كالسليمية والسليمانية وغيرهما وفي الجوامع التي شيّدوها في دمشق كجامع الدرويشية الذي أمر ببنائه **درويش باشا** في عام **980هـ/1572م** ووقف عليه أوقافا وشرط التدريس فيه للشيخ العا لم **إسماعيل النابلسي** الشافعي[7]، الشافعي[7]، وأيضا لدينا مسجد السياغوشية [8]إلى غير ذلك. وعليه إنّ هذه المدارس والتكايا وغيرهما كثير ظلّت تمثل إشعاعا ثقافيا نشطت به الحركة التعليمية والثقافية وبلورت تفكير ذلك العصر الذي طغت عليه الثقافة الدّينية.

في الأخير نخلص إلى:

---

[1]- نعيسة، المرجع السابق،ج2، ص 384.
[2]- الملحق رقم (02)، ص 162 .
[3]- كرد، المصدر السابق، ج6، ص ص 98 – 99.
[4]- نفسه، ج6، ص 99.
[5]- **المدرسة الأحمدية**: أنشأت عام 1166ه- / 1752م من قبل القاضي **أحمد بن طه زاده الجلبي**. كرد، المصدر السابق،ج6، ص 116.
[6]- للمزيد انظر، كرد، المصدر السابق، ج 6.
[7]- الغزي، المصدر السابق، ج3، ص ص 135 – 136.
[8]- المحبي، المصدر السابق، ج 2، ص 25.

1–صنفت المدارس في دمشق إلى مؤسسات تعليمية وجدت قبل التواجد العثماني على اختلاف مذاهبها السنية الأربعة وكثرت خاصة في العهود السابقة، كما وجدت مدارس عثمانية شيّدت من قبل ولاة دمشق (أسرة آل العظم) وبعض رجال الدّين والتجار والتي كان أغلبها على المذهب الحنفي.

2– الشيء الملاحظ على هذه المدارس أنها كانت وقفية، يوقف الواقف على وقفه حسب مذهبه وممكن نجد مدرسة تجمع المذهبين مثل **المدرسة الأسدية** التي قامت على المذهب الحنفي والمذهب الشافعي، وكذا **المدرسة الدّماغية**. هذا فيه دلالة على تعايش المذاهب الدّينية في دمشق بالرغم من اختلافات كل مذهب.

3– عملية وقف المدارس لم تقتصر على الرجال فقط بل كذلك النّساء أوقفن المؤسسات التعليمية ك**المدرسة الخاتونية الحوانية** و**البرانية** ونستشف من هذا أنّ المرأة في هذه الفترة كانت حقوقها في الميراث مصونة ولها القدرة على التصرف في مالها، كذلك اهتمام المرأة بالأوقاف يدلّ على مكانتها واجتهادها لسبيل الخيرات.

4– معظم المدارس التي شيّدت في دمشق كانت من طرف الغرباء لأجل أغراض سياسية وأخرى دينية، كما يعكس لنا ازدهار الوضع الاقتصادي في تلك الحقبة.

5– المدّرسون القائمون على تلك المدارس عملوا على تدريس علوم الدّين وعلوم اللّغة وغيرهما، كما كانوا يورثون وظائفهم حتى تصل إلى ولد الولد مثل **المدرسة المسمارية** التي تولتها أسرة **ابن المنجا**.

6– جلّ المدارس التي بنيت في دمشق مع مرور الوقت أصابها الزوال أو التحول وهذا راجع لأسباب منها: تطاول أيدي المختلسين على أموال أوقاف تلك المؤسسات التعليمية، حيث أهملوا الصرف عليها و أهملوا ترميمها، ولم يعيدوا بناء ما تهدم منها، ناهيك عن تحول بعضها لمساكن [1]، أو حتى إلى حانات مثل: **دار الحديث الأشرفية** التي تحولت إلى حانة لبيع الخمور[2]. والأمر لم يكن مقتصرا على على دمشق من ناحية تقلص المدارس بل هو نفسه حصل في القدس حيث بلغ عددها خلال العهدين الأيوبي والمملوكي حوالي **70مدرسة** لكن عددها تقلص إلى **35 مدرسة** في القرن **12هـ/18م** وهذا راجع لأسباب منها انعدام الضبط وتسرب الفوضى إلى من كانوا يشرفون على

[1]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 385.
[2]- المرادي، سلك الدرر،ج 3، ص 65.

أوقاف هذه المدارس، ناهيك عن تردي الأوضاع الاقتصادية والعدوات الشخصية وما إلى ذلك من الأسباب.[1]

7– وجدت مدارس أخرى بنيت في دمشق تعود إلى القرن **6هـ/ 12م** خصصت لتلقين تعاليم الطرق الصوفية المختلفة التي كانت منتشرة بالشام وقد أولتها الدولة العثمانية كلّ الاهتمام باعتبارها مراكز للتربية والتعليم وتحصيل المعارف الدّينية، ناهيك عن نشر تعاليم الطريقة.

8– استخدمت المساجد والجوامع كمؤسسات تعليمية أسهمت في التحصيل المعرفي الدّيني إضافة إلى وظائفه الأخرى كالعبادات وغيرها.

9– المدارس في دمشق فعّلت الحركة الفكرية خلال القرن **12هـ/18م** وأسهمت في تبلور معالم الحضارة العربية الإسلامية حين شكلت نخبة مثقفة حملت على عاتقها تحصيل العلم وتأليف مؤلفات صورت لنا المجتمع الدمشقي بملامحه خلال ذلك العصر.

10–سخرت دمشق كلّ طاقاتها ووسائلها لأجل تمكين المجتمع الدمشقي من التحصيل المعرفي القائم على العلوم الدّينية والعلوم اللّغوية، حتى التاريخ والجغرافيا، الفلسفة، حيث وصفت مدارس الشام لتنوع معارفها ببيت شعر هو:

فلديها كل الفنون و فيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي[2].

11– لم كانت المؤسسات التعليمية تمثل نبراس العلم لدمشق، نظم **أبو الفضل بن منقذ الكناني** أبياتا في هذه المدارس فقال:

ومدارس لم تأتها في مشكل إلاّ وجدت فتى يحل المشكلا

ما أمّها مرء يكابد حيرة وخصاصة إلاّ اهتدى وتمولا

وبها وقوف لا يزال مغلما يستنقذ الأسرى ويغني العيلا

وأئمة تلقي الدروس و سادة تشفي النفوس ودواؤها قد أعضلا

ومعاشر تخذوا الصنائع مكسبا وأفاضل حفظوا العلوم تحملا[3].

---

[1]- سلامة النعيمات، **الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن عشر الميلادي** ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للقدس في الفترة ما بين 4-8 /2009/1م، وزارة الثقافة الأردنية، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2009م.

[2]- كرد ، المصدر السابق، ج 6، ص 69.

[3]- نفسه، ص 69.

المراكز العلمية وإجازات العلماء:

1-الحواضر العلمية:

أ- جامع الأزهر:

كان الأزهر[1] محط أنظار طلاب العلم والمعرفة باعتباره أهم المراكز العلمية في العهد العثماني، واستطاع أن يأخذ مكانته ويلعب دوره في التوجيه الفكري، فعرفه الناس وراحت جموعهم تتوافد على رحابه للدرس والمناظرة وتحصيل العلوم الشرعية والعقلية والنقلية[2]. وقد بلغ عددهم في القرن **9هـ/ 15م** (**750 طالبا**) من أصول مختلفة، أمّا في أواخر القرن **12هـ/ 18م** وصل العدد إلى (**9441 طالبا**) منهم**4571** شافعية و**3710** مالكية، **1130** حنفية، **40** حنابلة[3]. أما **إحسان أوغلي** قدّم إحصاء آخر قدّر ب **3 آلاف** طالبا في نفس القرن **-18م-** موزعين على ما يقرب **25 رواقا**، لكلّ رواق شيخه وهيئته التعليمية ونقابته الخاصة [4]. أما عدد الطلبة الذين كانوا يحضرون عند المدّرس الواحد قد تباين حسب الدروس فقد درّس **الحنفناوي** في حلقته نحو **500** مستمعا وعند **محمد بن إبراهيم العوفي** حضره **300** طالبا خلال القرن **12هـ / 18م**[5].

ولقد استقطب الأزهر إليه الكثير من العلماء الشاميين طلبا للعلم وللأخذ من شيوخها واستطاعوا أن يتوظفوا بها وينالوا احترام وتقدير علمائها وأهلها، ولعلّ **عبد اللّطيف المكتبي** [6] الدمشقي من هؤلاء الذين قصدو ها ونزل بها ومارس التدريس بالأزهر وصار شيخ رواق الشام به [7]

---

[1]- هذا الجامع يعدّ أوّل مسجد أسّس بالقاهرة أنشأه القائد **جوهر الكاتب الصقلي** لما اختط القاهرة، شرع في بنائه يوم السبت من جمادى الأولى **359ه-/970م** وكملّ لتسع خلون من شهر رمضان **361ه / 973م.** للمزيد انظر: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بروي الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج 4، تح: محمد حسين شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م، ص 29.

[2]- نفسه، ص 90.

[3]- علواش، المرجع السابق، ص 201.

[4]- أوغلي، ج 2، المرجع السابق، ص 334.

[5]- توفيق الطويل، **التصوف في مصر إبان العصر العثماني**، مكتبة الآداب، مصر، د س، ص 31.

[6]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 119.

[7]- وكان بجامع الأزهر الأروقة فيقال رواق الصعايدة وواق اليمنية ورواق الأتراك ورواق الشوام ورواق المغاربية، حتى رواق العميان. انظر: نفسه،ج2، ص 119.

و**علي كربز** الشافعي الدمشقي ارتحل إلى الجامع وجاوره مدّة وأخذ وقرأ على جماعة منهم **الشيخ منصور المنوفي** و**الشيخ محمد عبد الله المغربي الفاسي** و**أحمد النفراوي الأزهري** من المالكية

[1]وغيرهم. كذلك **محمد الحنفي** الذي لازم الأزهر للإفادة منه بالرّغم من أنّه نزيل القسطنطينية[2].

وقد كان العلماء يمكثون بالديار المصرية طلبا للعلم لمدة أعوام حيث نجد **علي بن حبيب الله** مكث بالأزهر فترة **15 عاما** حتى غلب عليه علم الحديث [3]، أما **محمد بن محمد الطيب** فقد الذي مدة **عامين وثمانية أشهر**[4]. على أنّ أمر المكوث بالجامع الأزهر للإفادة والانتفاع لم يقتصر على الوافدين فقط، بل كذلك من داخل مصر نفسها، إذ ذكر **المرادي** شخصية **علي الأسمر** الإسكندراني المالكي كان يأتي في كل سنة للجامع من اسكندرية يدرس ثم ي قفل راجعا إلى بلدته في أول ثلاث أشهر[5].

استطعنا من خلال مؤلف **المرادي** الوقوف على أسماء رجال علم شغلوا مناصبا بالأزهر وكانوا خير زاد لل معرفة وذخرا للأمة الإسلامية ، حيث قصدوهم الطلبة والعلماء من كلّ بقاع العالم الإسلامي للانتفاع بعلومهم الغزيرة، ولعل أبرز شخصية كانت **عبد الله الشبراوي** القاهري الشافعي الذي برع في العلم حتى صار شيخ الجامع [6]، كما استطاع **عطية لله الأجهوري** القاهري الشافعي تصدر في جامع الأزهر لإقراء الدروس ووردت عليه الطالبون [7]. في حين **محمد البقري** المصري الأزهري الذي كان ضريرا فقد لقب بشيخ القراء بالجامع وقرأ عليه القرآن بالروايات عدد لا يحصى مثل الشيخ العالم **أبو المواهب الدمشقي**[8].ونوّه إلى أمر هم أنّ العمل بالجامع الأزهر لم يكن حكرا حكرا على المصريين دونهم بل هناك علماء مارسوا التدريس فيه من كلّ المذاهب وأقطار الإسلامي ة، إذ نجد **محمد البليدي** المغربي المالكي نزيل مصر تضلع كانت في علم القراءات ودرّس تفسير

[1] - المرادي، سلك الدرر، ص 119، ص 205.
[2]- نفسه، ج 4، ص 108.
[3]- نفسه، ج 3، ص 209.
[4]- نفسه، ج 4، ص 103.
[5]- نفسه، ج 3، ص 259.
[6]- نفسه، ص 107.
[7]- نفسه، ص 265.
[8]- نفسه، ج 4، ص 123.

البيضاوي في الأزهر وحضره عدد كبير من طلبة العلم[1]، كذلك **محمد الخراشي** المالكي الذي تصدر للإقراء بالجامع وحضر درسه غالب المالكية[2].

بهذا ظل الأزهر طيلة قرون ينشر الثقافة العربية ويحافظ على التراث الإسلامي على مرّ العصور ومصدر إشعاع ثقافي يقصده الطلبة والعلماء لتحصيل العلم والأدب وغير ذلك، إذ يذكر لنا **خليل إينالجيك** في هذا الصدد أنّ الثقافة العثمانية خلال القرنيين **9-10هـ/15-16م** تشكلت بفضل توجه رجال العلم الأتراك صوب الأزهر ليستفيدوا من العلماء المعروفين في تلك البلاد بغرض التعمق في التفسير والعقيدة مثل **محمد الفناري**[3] و**على الفناري**[4].ولما كان الأزهر يمثل مركز الثّقل الحضاري في كلّ حقب التاريخ الإسلامي، فلا جرم أن يمدحه أحد الغربيين بقوله:«لقد أعلن الأزهر ذو الألف عام كيف استطاع أن يحصل على العجائب من قدرة الإنسان وعظمته وتاريخ القاهرة لم يتأخر ولم يتغير وظل دائما تاريخا عربيا إسلاميا لأنّ في هذه المدينة ولد الأدب العربي»[5].

وخير ما نختم به الكلام في فضل الجامع الأزهر قول الشيخ **عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي** الذي وصف الأزهر إبان رحلته إلى القاهرة فقال:«وبتنا تلك الليلة في الجامع الأزهر المعمور بالتعليم والتلاوة والذكر آناء الليل وأطراف النهار، لا تنقطع منه العبادة ليلا ونهارا، صيفا وشتاء، فهو عديم النظير في مساجد الدّنيا حاشا المساجد الثلاث لما لها عند الله من الفضل، وغير مستنكر وجود مزية في المفضول ليست في الفاضل، إذ الفضل بوجود التفضيل لا بوجود الفضيلة»[6].

إلى جانب الأزهر وجدت دار الحكمة كجامعة حرة التي نافست الجامع وعملت على تدريس علوم اللغة والطب والرياضة والمنطق الفلسفة وما إليها[7]. وقد حوّت كتب بفعل ما زودت به من الأزهر الأزهر وجامع براشدة لها[8].

---

[1]- نفسه، ص 111.
[2]- نفسه، ص 63.
[3]- **محمد الفناري**: توفي عام 841هـ/1341م، يعدّ شيخ الدولة العثمانية، درّس في الأناضول ومصر، وعلي الحفناوي توفي 903هـ/1497م حفيد محمد الفناري، كان مدرّسا وقاضيا للعسكر. انظر: إينالجيك، المرجع السابق، ص 255.
[4]- نفسه، ص 255.
[5]- عطا الله، المرجع السابق، ص 116.
[6]- عبد الجواد صابر إسماعيل، **دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني** ، ط 1، مكتبة وهبة، مصر، 1996م، ص 18.
[7]- عطا الله، المرجع السابق، ص ص 115 – 116.
[8]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص ص 266 – 267.

ب– مدارس اسطنبول:

ارتحل العديد من العلماء الشاميين إلى اسطنبول والمدن العثمانية الكبرى ودرسوا بمدارسها وتخرجوا منها، إذ كان التعليم في إحدى هذه المؤسسات التعليمية مرحلة فريدة في مجال التعليم ليس فقط من حيث المناهج والمواد المدرّسة؛ بل لأنها أيضا تؤهل صاحبها لاستلام مناصب هامة في الدولة[1].

وقد أطلعنا **المرادي** في مؤلفه على أكثر المدارس العثمانية ذيوعا في تلك الفترة و التي كان رجال العلم في دمشق يقصدونها،ولعل أبرزها كانت مدرسة سراي الغلطة ومدرسة يار حصار ومدرسة الداخل بين الموالي ومدرسة سليمان صوباشي ومدرسة شيخ الإسلام ومدرسة بهرانية ومدرسة حافظ باشا ومدرسة خديجة سلطان[2]، مدرسة مولاي خسرو كتخدا، مدرسة روم محمد باشا، مدرسة بيري باشا، مدرسة شاه سلطان[3]، مدرسة ذي الفقار، مدرسة اينجه قره، مدرسة طوطئ لطف [4] ومدرسة أبهم[5]. وتأتي على رأس هذه المدارس **المدرسة السليمانية** التي كانت تمثل أعلى مراحل التدريس المتخصص، إذ تمنح لطلابها مراتب علمية مختلفة كابتدائي خارج، حركتي خارج ثم ابتدائي داخل[6]وغيرها.

ومن بين العلماء الذين وفدوا الباب العالي نجد الشيخ **عبد القادر البانقوسي** الحلبي الذي درَس بآيا صوفيا صحيح البخاري وانتفع بأفاضلها ثم قفل راجعا إلى حلب **1181هـ/1767م**[7] و **أبو الإسعاد بن أيوب** الخلوتي الدمشقي الذي فلازم شيخ الإسلام **المولى علي**[8]. وهناك من رجال العلم العلم الدمشقيين من قصد اسطنبول ومُنح التدريس في أكثر من مدرسة لمكانته العلمية ك .**السيد أبو المواهب العرضي** الذي أعطي مدرسة سراي الغلطة ومدرسة يار حصار ومدرسة سليمان صوباشي[9]وغيرهم. أما **أحمد البكري** نزيل القسطنطينية فقد أعطيّ مدرسة مولاي خسرو كتخدا

---

[1]- نعيسة، المرجع السابق،ج 2، ص 389.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 70.
[3]- نفسه، ص ص 149 – 150.
[4]- نفسه، ج 3، ص 138.
[5]- نفسه، ج 1، ص 51.
[6]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 390.
[7]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص ص 49 – 50.
[8]- نفسه، ج 1، ص 51.
[9]- نفسه، ص 70.

ومدرسة روم محمد باشا ومدرسة بيري باشا [1]. في حين **السيد عبد المعطي** الدمشقي استقر في اسطنبول وتمكن من التدريس في مدرسة ذي الفقار ومدرسة اينجه قرة ومدرسة طوطئ لطف[2].

ولما كانت مدارس اسطنبول تمثل للعلماء الدمشقين محطة تنافس وتسابق للعلم استطاعت ثلة منهم أن تثبت جدارتها في مضمار المعارف حين راحت تعلم العديد من العثمانيين على يدّها، إذ تضلع **أحمد البقاعي** في العلوم سيما فنون الأدب وأخذ عنه جماعة من رؤساء العثمانيين أمثال شيخ الإسلام **محمد أمين حياتي زاده** ورئيس الكتاب **المولى مصطفى بشير آغا**[3]، كذلك عالم الشام **عبد الغني النابلسي** [4] الذي أثر كثيرا في العلماء العثمانيين وأخذوا عنه التصوف والفقه من بينهم **سليمان سعد الدين مستقيم زاده (1701 – 1788م)**[5].

ونظرا لتمكن العلماء الدّمشقيين المدّرسين كان الطلبة بالديار العثمانية يلتفون حولهم بأعداد لا تحصى وتتسع حلقة دروسهم لتصل **مائتي** طالب علم وحيث كان العالم **مصطفى السفرجلاني** ممن علا شأنه عند صدور الدولة وعلمائها نظرا لرفعة تحقيقه وتدقيقه وفضله ومع ذلك كان يذمهم ويتكلم في حقهم ولا يهاب كبيرهم ولا صغيرهم وعلمه ساتر منه كلّ عيب[6].

ج– المسجد الأقصى:

لقد كانت القدس بسبب مركزها الدّيني والعلمي قبلة تجمع عدد كبير من رجال العلم والمدّرسين والطلاب لما تزخر به من معاهد ومؤسسات تعليمية وخوانق وزوايا وفي مقدمتها المساجد، سيما المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة [7] اللّذان مثلا القطب الفعال للحركة العلمية في البيت المقدس.

---

[1]- نفسه، ص ص 149 – 150.

[2]- نفسه، ج 3، ص 138.

[3]- **آغة دار السعادة** : لقب وظيفي يتكون من آغا، دار السعادة، كناية عن العاصمة العثمانية استنبول أو القصر السلطاني بها. وهو أكبر موظفي القصر الهمايوني ويعرف باسم آغا البنات (فيزلر آغا سي) . مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية (دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثاروالوثائق والمخطوطات 1517- 1924م)**، ط1، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص 183.

[4]- المرادي، سلك الدرر، ج3 ، ص 30.

[5]- علواش، المرجع السابق، ص36.

[6]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 210.

[7]- عمّر عبد الملك بن مروان عام 65هـ/ 684 م الحرم والقبة الكبرى التي فوق الصخرة على أسلوب جميل استعاره من الهندسة البيزنطية، ثم هدّم الكنيسة التي كان سيدها **بستنياس** وبنى موضعها المسجد الأقصى الذي أكمل عام 72هـ/ 691 م. انظر: كرد، المصدر السابق، ج 5، ص 250.

ولقد دُرست في هذه الحواضر العلوم الدينية وعلوم اللغة [1]. ويعدّ المسجد من أهم الأقطاب التعليمية وأقدمها ولم ينقطع التدريس فيه عبر القرون المختلفة، وقد أولوه السلاطين العثمانيين الاهتمام حين قام كل من السلطان **محمد الثالث** عام **1006هـ/1597م** والسلطان **محمد الأول** عام**1012هـ/1603م**والسلطان **مصطفى الأول** عام**1617م** بإعادة ترميم قبته الصخرة [2]. أما من حيث التدريس فيه فقد توارثت عائلات معينة من الآباء إلى الأبناء هذه الوظيفة كأسرة **الخليلي** وكانت مصادر الإنفاق على المدرسين بالمسجد الأقصى تنفق فقد الصرة العثمانية [3] والصرة المصرية، ناهيك عن المساعدات العينية المقدمة من قبل السلاطين [4] وغيرها.

كشف لنا **المرادي** عن جملة من رجال العلم الذين درّسوا في المسجد الأقصى وكان لهم باع في تدريس العلوم الدّينية ك**سعيد الخليلي** الشافعي القدسي الذي لازم المسجد الأقصى وأفاد الكثير من الطلبة و لم توفي رثاه**محمد كمال الدين مصطفى البكري** لفضل علمه على الأنام فقال فيه:

له في المسجد الأقصى دروس حلت في ذوق سامعها الفهيم

وكم أحيا به روضا أريضا من التمجيد في الليل البهيم [5].

أما **محمد الخليلي** فقد درّس الحديث والتفسير والوعظ في حجرته بصحن الصخرة [6] و **عبد المعطي الخليلي** جاور الأقصى ودرّس فيه، كما تولى إفتاء الشافعية بالقدس لأكثر من **25 عاما** بلا طلب بل ألزمه شيخه **الخليلي** وأهل القدس لتمكنه في فروع المذاهب [7]، ولا يقل عنه العالم **خالد القدسي** تضلعا في علوم الدين حيث تصدر للإفادة والتّدريس بالمسجد واشتغل عليه جماعة من الطلاب فانتفعوا بعلمه [8]. وهناك من رجال العلم من جمع بين الخطبة والتدريس مثل **جار الله بن أبي**

---

[1]- محمد أحمد، **الحياة الثقافية والفكرية في القدس في العصر العثماني (القدس عاصمة الثقافة العربيةلعام 2009م)**، مجلة جامعة القدس، 2009/04/30م، ص 9.

[2]- كارين ارمسترونج، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث** ، تر: فاطمة نصر ومحمد عناني، دار سطور، القاهرة، 1998م، ص 309.

[3]- **الصرة: لغة** : هي ما يصرّ على الشيء لجمعه و حفظه، كما تطلق عامة على كيس من النقود، **اصطلاحا**: هي ما ترسله الدول الإسلامية سنويا من أموال عينية إلى الحرمين الشريفين لإعانة الدولة والحجيج والمتساكنين بمكة والمدينة. لمياء أحمد عبد الله الشافعي، **الصرة العثمانية الموجهة إلى مكة المكرمة**، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد4، محرم 1433هـ، ص 318.

[4]- أحمد، المرجع السابق، ص 14.

[5]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص ص 149 – 150.

[6]- نفسه، ج 4، ص 95.

[7]- نفسه، ج 3، ص ص 136 – 137.

[8]- نفسه، ج 2، ص 77.

أبي اللطيف الذي أسهم في تفعيل الحركة العلمية بإنشائه بيت علم في القدس [1]، كذا **السيد محمد بن السيد مصطفى** نقيب القدس الذي برع في علم الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث [2]. ومن العلماء الدمشقيين نجد أيضا **مصطفى البكري** الذي كان يلقي الدروس داخل المسجد الأقصى [3] و**إبراهيم الراعي** الذي رحل إلى القدس لخدمة أستاذه **عبد الغني النابلسي** عام **101هـ/719م** وقال شعرا في المدينة:

أيا صخرة الله فيك الهدى ومن قد أنساك غدا أسعدا

لقد خصّنا الله في زوره تذكرنا الحجر الأسعدا[4].

أما كل من **أحمد الكواكبي** و **أسعد البكري** و **الشيخ إسماعيل المنيني** [5] فقدمنحوا رتبة القضاء في بيت المقدس، في حين تولى **زين الدين البصروي**[6] و**عبد الفتاح التميمي**[7] و**السيد محمد محمد البيلوني**[8] وغير ذلك وظفوا في الإفتاء بالمسجد الأقصى. وهذه بعض أسماء من تولى التدريس التدريس والإمامة والخطابة في المسجد الأقصى في القرن **12هـ/18م**، لكي نبين الدور الذي كان يلعبه الأقصى في الحياة العلمية في بيت المقدس في تلك الفترة واستمراره كرافد في الحياة الفكرية وتشجيع التدريس والتعليم على يد أساتذة متضلعين في جلّ العلوم الدينية واللغوية.

إضافة إلى المسجد الأقصى، وجدت مكتبات لا تقل أهمية عن الأقصى التي فعّلت المشهد الثقافي خلال هذا العصر لما حوّت عليه من مؤلفات تشمل موضوعات متعدّدة وتعالج قضايا متفرقة، مما يدلّ على اطلاع رجال العلم الواسع، ومن بينها نجد **مكتبة المسجد الأقصى** التي تعدّ أهم دور للكتب الإسلامية ومركزا للحياة الثقافية بما ضمت من عدد هائل من الكتب في شتى الفنون كاللغة العربية والدّين والتاريخ والحساب والميقات، هذه المؤلفات توزعت بين المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وهذه بعض عناوين كتابها: **نشق الأزهار في عجائب الأقطار** لـ**محمد بن أياس الحنفي** وكتاب **أسد البقاع الناهشة في معتدى المقادسة** للشيخ **برهان الدين بن عمرالقاعي**[9].

---

[1]- نفسه، ص 6.
[2]- النعيمات، المرجع السابق، ص 39.
[3]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 190.
[4]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 32.
[5]- نفسه، ج 1، ص 175، ص 223، ص 241.
[6]- نفسه، ج 2، ص 120.
[7]- نفسه، ج 3، ص 41.
[8]- نفسه، ج 4، ص 124.
[9]- النعيمات، المرجع السابق، ص ص 42-44.

د–المسجد الحرام:

يعد المسجد الحرام من أهم مساجد الذي لم يقتصر دوره على أداء الشعائر والعبادات فقط، بل كان أيضا مكانا للتعليم والتربية ومدرسة علم وأدب وعمل على ترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية. وقد حظيّ هذا الأخير باهتمام السلاطين العثمانين من خلال إنزال العلماء مكانتهم اللائقة وإكرامهم بالهبات والعطايا مما أدّى إلى تنشيط الحياة العلمية، حيث ازدادت الحلقات العلمية وانتشرت في كافة أروقته وساحاته المحيطة وتعدّدت الدّروس أيضا واتسعت الحلقات لتشمل أبناء مكة والزائرين والمجاورين لها لطلب المعرفة[1]. وقد استطاع أن يكون منارة علم ومعرفة وقبلة ليس لأهل مكة فحسب بل حتّى للعالم الإسلامي وغيره، إذ وصفه الرحّالة **ليون روش** بالجامعة فقال:«إنّ أقدم الجامعات في مدينة مكة هو الحرم الشريف» [2] وهذا ما يوحي إلى الأهمية التي كان يكتسبها هذا المسجد الذي عدّ جامعة تضاهي الجامعات الأوروبية في ذلك العصر.

وقد كان يشرف على المسجد الحرام شيخ العلماء الذي كلّف بوظائف منها دينية وأخرى إدارية تتعلّق بصلاحية تعيين رجال العلم في المناصب المناسبة، كما يرأس امتحان المتقدمين لطلب العلم للتدريس بالمسجد[3]وغير ذلك. على الذي يدّرس في ساحة وأروقة المسجد الحرام لا بد أن يتمتع بدراية كافية في العلوم وكفاءة عالية حتى يتمكن من نيل وظيفة التدريس ولا يكون محل سخرية واستهزاء من قبل الطلبة، وقد بلغ عددهم –المدرسين– خلال القرن **13هـ/19م** حوالي **107** مدرّسا الذي كان للكثير منهم خلاو بالمسجد يطالعون فيها دروسهم التي يلقونها على الطلاب[4]. ومثل هذه هذه الأماكن تسمح وتسهل في نفس الوقت عملية التواصل بين الطالب وشيخه.

أما عدد الطلاب فقد تفاوت بحسب المادة وشيخها، على أنّ حلقة الدّرس تكوّنت من **10** إلى **30** دارسا الذين كان لهم مطلق الحرية في اختيار الحلقة التي تناسبهم ومن جملة المواد التي كانت تدّرس في حلقات الحرم التي قسمت بدورها إلى قسمين هما:

---

[1]- آمال رمضان عبد الحميد صديق، **الحياة العلمية في مكة (1115 – 1334ه / 1703 – 1916م)**، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، (مرقونة) المملكة العربية السعودية، 2006م، ص ص 126-227.

[2]- نفسه، ص 271.

[3]- حسن بن محمد بن حسن شعيب، **الدور التربوي لحلقات العلم بالمسجد الحرام في عهد الملك عبد العزيز**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، (مرقونة)، المملكة العربية السعودية، 1429هـ، ص 63.

[4]- رمضان، المرجع السابق، ص 230.

* **العلوم الأساسية** : العقيدة والفقه (على المذاهب الأربعة)، الأصول، الحديث، التفسير، ويكون تدريس هذه العلوم بالحرم من ساعات الصباح الأولى إلى الظهر.

* **العلوم المساعدة** : ويبدأ تدريسها بالحرم بعد صلاة الظهر مباشرة وبعد صلاة العصر كذلك، يحضرها عادة الطلاب المبتدئون لكن بمجيء **رحمة الله الهندي** أضاف على هذه العلوم الدّينية وعلوم اللغة علوما وكتبا جديدة كالمنطق والفلسفة الإسلامية وعلمي الكلام والمناظرة وعلم الهيئة وإقليدس الهندسة وطلب لهذه العلوم كتبا من الهند وشرع في تدريس كتاب **حجة الله البالغة** و**شرح الجغميني** في علم الفلك، كما أنه فصل في تدريسه بين علمي النحو والصرف بعد أن كانا يدرسان معا[1]. وقد كان يوما مشهودا في تاريخ العلم بالحرم المكي الشريف بفضل التعديلات التي أحدثها هذا العالم الجليل في هذه العلوم الدّينية وعلوم اللغة التي راحت تنتشر حلقاتها داخل أروقة المسجد وعند أبوابه الرئيسة كباب السلام وباب إبراهيم وعند المنبر وعند المقامات الأربع كمقام إبراهيم[2].

من خلال مؤلف **المرادي** وقفنا عند جملة من العلماء درسوا ودرّسوا في المسجد الحرام الذي كان أشهرهم **عبد الرحمن المدني** حيث أخذ الفقه عن **الجمال يوسف الكردي** والشيخ **الملا عبد الرحمن الحامي** ، أما الحديث ومصطلحه أخذه عن محدّث المدينة **محمد بن الطيب** وغير ذلك، ثم درّس بالمسجد الشريف النبوي وانتفعت به الطلبة وأقبلوا عليه، إضافة إلى مزاولته الخطبة والإمامة بالمسجد[3]. كذا الأمر بالنسبة ل.**عبد الرحمن الأنصاري** الذي طلب العلم على مشايخ أهمهم:**الجمال عبد الله بن سالم البصري** و**أبي الطيب السندي**[4]وغيرهم. وهناك بعض العلماء من طلب العلم عن والده أو أحد أقربائه مثل **أحمد معلباوي** الذي قرأ عن أبيه **يوسف أفندي الشرواني** و**الجمال عبد الله بن سالم البصري** [5] ثم زاول الإمامة بالمسجد الشريف وخطب به ودرّس كذلك وانتفع به الطلبة [6]، كذا العالم **علي البرزنجي** المدني الذي أخذ عن أخيه **السيد جعفر** و**الشيخ محمد العجمي**[7]. وأخذُ العلم عن الوالد أو أحد الأقارب فيه دلالة على تواجد أسر علمية تتوارث العلوم ولما لا الوظائف فيما بعد كأسرة **الأسكداري** التي احتكرت الإفتاء بالمدينة المنورة بدءً من

---

[1]- شعيب، المرجع السابق، ص ص 68 – 70.
[2]- رمضان، المرجع السابق، ص ص 231-235.
[3]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 230.
[4]- نفسه، ج 2، ص 303.
[5]- نفسه، ج 3، ص 82.
[6]- نفسه، ج 1، ص 81.
[7]- نفسه، ص 213.

أسعد الأسكداري الحنفي المدني [1] و **عبد الله الأسكداري** [2] و**عبد المحسن الأسكداري** [3]. أما العلامة **علي الزهري الشرواني** المدني فقد كان رئيس علماء الحنفية[4].

على أنّ هذه الوظائف المذكورة آنفا لم تكن حكرا على علماء مكة والمدينة فحسب، بل شغلها أيضا رجال علم من أقطار البلاد الإسلامية الأخرى باعتبار أنّ التدريس في المسجد لا يكون إلاّ لذي كفاءة عاليةوفي هذا أعطيّ العالم الدمشقي **أحمد البكري** قضاء المدينة[5]، كذا الأمر بالنسبة بالنسبة لكل من **السيد علي الخباز الدمشقي** [6]و**السيد عبد القادر بن يوسف** نزيل المدينة المنورة الذي صار أحد الخطباء والأئمة، ناهيك عن تدريسه بالمسجد الشريف الذي انتفع بعلمه الطلبة[7].

ومن القاهرة استطاع **عبد الله النمرسي** التدريس بالحرم الشريف [8] ومن المغرب **محمد بن الطيب** الفاسي المالكي الذي انتفع الطلبة من علمه لم ا درّس بالمسجد [9]ونزل بالمدينة أيضا **عبد الرحمن المغربي** الذي تفنن في العلوم وأخذ العلم عن الشيخ **تاج الدين بن إلياس المفتي**، كما قرأ عليه المتعلمين ووقف كتبه لطلاب العلم وحتى من السند [10] علماء قصدوا الحرمين الشريفين أمثال **محمد حياة السندي** الذي لازم الشيخ **أبا الحسن بن عبد الهادي السندي** و**الشيخ عبد الله بن سالم البصري** وغير ذلك، ثم درّس بالمسجد النبوي[11].

وعليه نقول، استطاع المسجد الحرام بتعدد حلقاته العلمية التي كانت تدار في أروقته من أن ينشط الحياة العلمية في الحرمين خاصة مواسم الحج، حيث كان يلتقي العلماء من كلّ فج مما يؤدي إلى تبادل الأفكار وتلاقحها بين هؤلاء، هذا التحاور الذي من شأنه أن يثريّ الحياة الفكرية التي

---

[1]- نفسه، ج 1، ص 222.
[2]- نفسه، ج 3، ص 83.
[3]- نفسه، ج 3، ص 134.
[4]- نفسه، ص 231.
[5]- نفسه، ج 1، ص 149.
[6]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 217.
[7]- نفسه، ص 62.
[8]- نفسه، ج 3، ص 273.
[9]- نفسه، ج 4، ص 61.
[10]- **السند:هي** شيء من بلاد الهند ومكران، كوران والبدهه وشرقي ذلك كله بحر فارس وغربيّها كرمان ومفازة سجستان وأعمالها، وشماليها لبلاد الهند وجنوبيها مفازة ما بين مكران والقفص ومن ورائها بحر فارس، وإنما صار بحر فارس حيط بشرقي هذه البلاد والجنوبي من وراء هذه المفازة من أجل أنّ البحر يمتد من صيمور على الشرقي إلى تير مكران، ثم ينعطف على هذه المفازة إلى أن تيفوس على بلاد كرمان وفارس. انظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، ط1، دار مكتبة الحياة، لبنان، دت، ص 274.
[11]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص ص 86- 87.

كانت آنذاك، وعليه كان للمسجد الحرام في الحجاز دوره الكبير باعتباره أحد المراكز العلمية للإشعاع الثقافي الإسلامي.

ما نستطيع قوله في موضوع الحواضر العلمية، هو أنّ **سلك الدرر** كشف لنا عن عدد هائل من رجال العلم خلال القرن **12هـ/18م** ممن اجتمعوا في حلقات متصلة لطلب العلم في إطار التبادل الثقافي الذي كان مفتوحا على الأقاليم العربية إبان العصر العثماني، فكثيرا من العلماء تلقوا تعليمهم بالأزهر وفي دمشق وفي القدس وغيره م التي كانت بمثابة أهم حواضر علمية البارزة خلال تلك الفترة.

ونلمس من **سلك الدرر** تلك العلاقات التي كانت قائمة بين العلماء في مجال التبادل الثقافي، إذ نجد من المقدسيين العالم **السيد أحمد الخالدي** الذي درس بالجامع الأزهر وصارت له الرّفعة بين أبناء عصره[1]. كذلك الشيخ **محمد الخليلي** الذي ذهب إلى حماه لأخذ الطريقة القادرية ثم قفل راجعا للقدس بعد إذن شيخه الذي أجاز له بالتدريس والإفتاء [2]. كما نجد **علي بن حبيب الله القدسي** الذي سافر لم صر ومكث فيه مدّة تزيد عن **15** عاما درس خلالها الحديث ثم قصد اسطنبول أين درّس صحيح البخاري في جامع آيا صوفيا مدّة **25** عاما وعاد إلى القدس أين توفي فيها **1144هـ/1731م**[3]. في المقابل قصد علماء مصر القدس لأداء فريضة الحج وطلب العلم، ثمّ بحثا عن وظيفة في سلك التدريس وغيرها، حيث نجد **محمد الخلفاوي المقدسي** الذي أخذ العلم عن علماء الأزهر منهم **الشيخ عمر الطحلاوي** و**أحمد النفراوي** وغير ذلك ممن أذنوا له بقراءة الحديث والتدريس بالأزهر ثم عاد للقدس عام **1174هـ/1760م** واستوطنها[4].

كذلك نجد عدد من علماء القدس الذين قصدوا الأزهر ورحلوا بعدها إلى دمشق مثل الشيخ **عبد الغني النابلسي** الذي درّس بصالحية دمشق[5] و**مصطفى البكري** الدمشقي المقدسي الذي سكن سكن بالقدس وتزوج فيها وقام بعدّة رحلات إلى الحجاز وحلب ومصر[6]. ومن المغرب هناك علماء قدموا القدس وسكنوا بها مثل **محمد بن محمد الطيب** الذي سكن في بيت المقدس وتزوج فيها وأضحى من المدرسين الأوائل بالحرم الشريف [7]. عندنا أيضا **أحمد المنيني** الحنفي الطرابلسي الذي

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 97.
[2]- نفسه، ج 4، ص 95.
[3]- نفسه، ج 3، ص 209.
[4]- النعيمات، المرجع السابق، ص 51.
[5]- المرادي، المصدر السابق، ج 2، ص 30.
[6]- نفسه، ج 4، ص 190.
[7]- نفسه،ج4، ص 91.

قدّم دمشق منذ صغره وأخذ العلم عن أفاضلها مثل **الشيخ أبو المواهب الحنبلي** و**الشيخ محمد الكامل** وغير ذلك وأخذ عن علماء الحجاز الإمام **عبد الله بن سالم المكي البصري** و**الشيخ أحمد النخلي** وغيرهما ومن اسطنبول أخذ عن **الشيخ علي المنصوري لصراي** وعلامة **المولى سليمان بن أحمد** رئيس الوعاظ بدار السلطة العلية[1]. والأمر لم يتوقف عند هذه الحدود الجغرافية بل امتد حتى بغداد حيث العلامة **عبد الله السويدي** الشافعي الذي ارتحل إلى الموصل فقرأ عن علمائها المنقول والمعقول ثم عاد ليتصدر التدريس وتوجه بعد ذلك إلى حلب و دمشق أين قدّم بهما دروسا وأخذ عنه خلق كثير، كما درّس بالمدينة المنورة وحضره الأئمة ولم يكتف بهذا فحسب بل قصد مكة وألّف **النفحة المسكية في الرحلة المكية**[2].

2 –الإجازات العلمية:

لما كانت الإجازات العلمية ورتبها تمكّن رجال الدّين في دمشق من نيل مناصب مهمة في كيان الدولة، حرّص علماء القرن **12**هـ / **18**م على الفوز بهذه الشهادات من داخل دمشق ومن خارجها، لأجل تولي وظائف في سلك القضاء أو الإفتاء، التدريس إلى غير ذلك.

والإجازة من مصدر أجاز [3] وتعني **لغة:** إعطاء الأذن، فيقال "أجاز له سوغ له" [4] وتعني عند **التهانوي:**"طيّ المسافة وترك المكان، والانقضاء وإعطاء الإذن لشخص "[5]. أما **اصطلاحا:** إذن وتسويغ... وعلى هذا نقول: أجزت له رواية كذا. نقول: "أذنت له وسوغت له" [6]، وعند المحدّثين هي: الإذن في الرواية لفظا أو كتابة[7].

عرّفها أيضا **يلماز أوزتونا** على أنها عبارة عن شهادة تثبت نجاح الطالب في درس ما، أخذه عن أحد الشيوخ[8]، وكانت تكتب أحيانا بخط المجيز[9] وأحيانا بخط المجاز نفسه، أو يكتبها معين، فقد ذكر ذكر لنا **المرادي** أنّ **السيد إبراهيم** أجيز من ثمانين شيخا من مختلف البلاد العربية[10].

---

[1]- نفسه، ج 1، ص ص 133 – 134.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص ص 84 – 85.
[3]- التهانوي، المرجع السابق، ص 99.
[4]-عبد الله فياض، **الإجازات العلمية عند المسلمين**، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م، ص 21.
[5]- التهانوي، المرجع السابق، ص ص 99 – 100.
[6]- عبد الله فياض، المرجع السابق، ص 21.
[7]- التهانوي، المرجع السابق، ص ص 99 – 100.
[8]- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، المرجع السابق، ص 490.
[9]- المحبي، المصدر السابق، ج 1،ص 333.
[10]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 22.

هذه الإجازات صنفت إلى درجات متباينة باختصاصات مختلفة، فمنها ما كان شفهيا يقدّمها المجيز في مجلس به شهود [1] ومنها ما يكون كتابة نثرا أم نظما[2]، ويراعى في تدوينها العبارات المنسقة، والسّجع المرصع بالبيان، وقد يختلف حجمها من قصر يتراوح بضعة أسطر، يذكر فيها الشيخ فقط اسمه واسم الطالب، وقد تكون في خمسة كراريس يذكر فيها سند العلم الذي أجاز فيه، والشيوخ الذين أخذ عنهم[3].

وللإجازة شروط، حيث يلازم الطالب شيخه في علم ما، وبعد أن يتحقق الشيخ من كفاءة طالبه، يختبر معارفه فيجيزه [4]، وكان بعض الشيوخ المتشددين في منح الإجازة لا يعترفون بالإجازة المطلقة أو بالمراسلة، فلا بد من القراءة على مجموعة من الشيوخ أمثال: **محمد الشوبري** والشيخ **شهاب الدّين القليوني**[5]، في المقابل هناك بعض المشايخ من تساهل في منحها، فكان الطالب لا يتم يتم قراءة الكتاب على شيخه فيجيزه بكلّ كتبه، وهذا ما حدّث مع العالم **محمد الحسني الدمشقي** الذي سمّع بعض صحيح البخاري عن الشيخ الميداني فأجازه إجازة عامة[6].

1) السماعات:

أو الإجازة بالمشافهة[7] وهي شهادة تدلّ على أنّ الطالب حضر الدّرس، ويكتب الشيخ في آخر الكتاب أسماء الذين سمعوا عليه الكتاب والمواضيع التي فاتت الطالب، وهي في الحقيقة لا تعني شيئا[8].

2) الإجازات الخاصة:

تخص علما من العلوم، فعندما يشعر الطالب بتمكّنه في كتاب ما أو علم من العلوم الدّينية، يتقدّم الطالب للشيخ يمنحه في المكاتب المقرّر له، فيفتح صفحات في مواضيع مختلفة من الكتاب ليقرأه، فإذا مضى دون تلعثم، استدل بحفظه ويكتب له الشيخ إجازة على ورقة صغيرة [9]. وهذه الإجازة تكون في عرّافة الكتب، أو في أحد العلوم الدّينية كحفظ القرآن الكريم وتجويده والفقه، الحديث، الفرائض إلى غير ذلك ، وحتى الطرق الصوفية، فقد أورد لنا **المرادي** في ترجمة العالم **علي**

---

[1]- الجبرتي، المصدر السابق، ج 1، ص 597 . 600.
[2]-المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص234.
[3]- البيطار، المصدر السابق، ج 1، ص
[4]- المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص 125.
[5]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 11.
[6]- المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص 125.
[7]- عبد الله فياض، المرجع السابق، ص 21.
[8]- جميل نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 395.
[9]- نفسه، ص ص 395 – 396.

الغزي أنّ الشيخ **عبد الغني النابلسي** أجازه إجازة حافلة وألبسه الخرقة القادرية[1]، كما نظم الشيخ **عبد القادر النابلسي** كذلك أبياتا حين أجيز الفقيه **عبد الغفور الجوهري** من الأستاذ الشيخ **محمد المزطاري المغربي** في الطريقة الشاذلية فقال:

إنّ هذا المجار عبد الغفور — في طريق للشاذلية نور
أسعدته إجازة من مجيز — في مراقي ذوي التقى مشهور
زاده الله هبة و كمالا — وحباه بفضله والأجور
وحماه من كلّ سوء و شر — وعليه وإلى كثير السرور[2].

وهناك نماذج أخرى، أجيزت في الفرق الدّينية ك**حسن المرادي** و**جرجيس الإربلي**[3].

وقد حرّص العلماء على إتقان الخط العربي الذي وصل في هذه الفترة إلى مستوى فنّي رفيع،وأضحى الخطاط عالما وفنانا في آن واحد، لأنّ الخط استخدم كفن تزييني عند المسلمين بأشكاله المتنوعة[4] هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدّ مصدر كسب يؤهل أصحابه لنيل منصب كاتب ولقب ولقب (خط جكان)ليعمل في دوائر الدولة[5].

3) الإجازة العامة:

هي إجازات تشمل جميع العلوم الدّينية آنذاك وكل العلوم المساعدة (علوم اللغة العربية) لفهم معاني القرآن الكريم، وهذه الأخيرة يمكن أن تؤخذ بشكل شفهي أو كتابي أو بالمراسلة مع الشيخ المجيز المطلوب أخذ الإجازة منه قد تفانى علماء دمشق في القرن **12**هـ / **18**م في الحصول على الإجازة العامة من العلماء البارزين في المدينة وخارجها، لأنّ من شأنها «أن ترفع قدر الحاصل عليها»[6]، فقد مدّح العلامة **يوسف الغزي** من قبل العالم **عبد الغني النابلسي** في إجازته راية يقول فيها:

وقائلة والدّمع مني غزيرة — يشابه حان الدجور انهماله
عليك ببكريّ يسرّك وجهه — وأن كنت محتاجا يفيدك ماله
له رتبة في ذروة الفضل سمت — فيا ليت لي يا صاح فينا كماله

---

[1]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص 216.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 30.
[3]- الملحق رقم(03)، ص 178 .
[4]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 356.
[5]- جميل نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 396.
[6]- نفسه، ص 396.

إليك عظيم الوجد أشكو سيدي فبالله خبرني فديتك ماله

أراك الذي الدّنيا غياثا لأهلها وللدّين يا ابن الأكرمين كماله[1].

ومن رجال العلم الذين نالوا الإجازات العامة، عندنا العالم **أحمد الباقاني** الذي أجازه الشيخ **عبد الغني النابلسي** في البيضاوي وصحيح مسلم، الشمائل[2]، و**عبد الرحمن البعلي** الذي أجيز في دمشق من طرف **محمد المواهبي** والشيخ **عبد القادر التغلبي** في العلوم الدّينية[3]، وهناك غيرهم من النماذج منحت شهادات عامة[4]. عندنا أيضا العلامة **بدر الدين القدسي** الذي أجازه علماء مصر بالمراسلة وعلماء دمشق بقراءة الحديث والتفسير وسائر العلوم النقلية العقلية.[5]

في الحقيقة **المرادي** في مؤلفه، ذكر عدد كبير من العلماء نالوا الإجازات، في المقابل حدّد العدد القليل في نوع الشهادات الممنوحة إن كانت خاصة أو عامة، فهو يكتفي بالقول: « أجاز له الأستاذ...»[6]، أو يقول : « أخذ عنهم و أجازوه.» [7] أو « أجازه بجميع مروياته.» [8] وغيرها. ولم يذكر في ثنايا كتابه أنموذجا عن إجازة مدوّنة، فارتأينا أن نقدم مثالا عن إجازة علمية مكتوبة لصاحبها **عبد الرزاق البيطار** في مؤلفه **حلية البشر** هذه الشهادة منحها شيخ الأزهر **حسن بن محمد العطار** لـ**حسن البيطار** في **1227هـ/1802م**جاء فيها: « بسم الله الرحمن الرحيم...أحسن ما يقدّمه السائل في مقاصده و يلزمه في مصادره و موارده حمد الله بأعظم محامده...أما بعد: فإنّ الشاب الفاضل الأديب العالم الشيخ حسن بن الشيخ إبراهيم البيطار... قد حضر عندي فيما حضرت إلى الشام جميع دروسي التي قرأتها بالتمام حضور تدقيق و دراية غير أنه قد حضر تلاوة قليل من الأحاديث الشريفة عن طريق الرواية ثم استجازني بما تجوز لي روايته فتمعنت قدر الإمكان واعترفت بأني لست من أهل هذا الشأن، و عندما ألح علي استخرت الله و أجزته بمطلوبه ومرغوبه، أسعفته تجوز لي روايته و تسند لي درايته من أشياخي الذين اقتبست أدوارهم و اغتنمت أسرارهم ومنهم والله الحمد عدد كبير كل له قد خطير فمنهم العلامة الشيخ أحمد بن يونس والشيخ عبد الرحمن المغربي...»[9].

---

[1]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 239.
[2]- نفسه، ج 1، ص 191.
[3]- نفسه، ج 2، ص ص 304 – 305.
[4]- انظر ملحق رقم (03)، ص 178.
[5]- المرادي، سلك الدرر،ج2، ص 3.
[6]- نفسه، ج 2، ص 141.
[7]- نفسه، ص 117.
[8]- نفسه، ص 326.
[9]- البيطار، المصدر السابق، ج 1، ، ص ص 290-291.

ومثل هذه الإجازات المكتوبة من شأنها أن يشعر صاحبها بالاعتزاز والتباهي أمام الأصحاب، فيكون لصاحبها تأثير معنوي إيجابي على نفسيته، وعليه الطريقة التي تكتب بها الإجازة تكون بإتباع خطوات أهمها البدء بالبسملة والحمدلة، ثم الثناء على المصطفى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يليها مقدمة في أهمية العلم والأسباب الداعية لمنح الإجازة وذكر اسم الطالب ومدحه، ثم يذكر سند العلم الذي أجيز فيه، ثم يذكر أسماء المشايخ الذي حصل منهم المعرفة، ويصل بالسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في العلوم الدّينية، ثم يذكر الكتاب والكتب التي أجيز فيها، وقد تكون في علوم شتى، ويأذن للطالب بروايتها أو تدريسها، ثم يقدم النصح له ويدعو له بالتوفيق، وينهي الإجازة بالصلاة والسلام على أفضل خلق الله النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر اسمه وتاريخ توقيعه الإجازة، وكثيرا ما يمدح نسب الطالب إذا كان عالما أو من بيت علم[1].

لقد تحدثنا سالفا، عن مدى حرص العلماء على نيل الإجازات داخل دمشق وخارجها، ومن المدارس التي التحق بها رجال العلم هي مدارس اسطنبول التي كان أغلب تحصيلها المعرفي ديني يضاف إليه تحميل في ألسن اللغة كالفارسية والتركية، هذه المؤسسات التعليمية كانت تمنحهم درجات معينة تؤهلهم للحصول على وظائف مختلفة[2].

وبدءً من النصف الأول من القرن **18م** كان ترتيب الدّرجات في مدارس اسطنبول كالآتي: « **ابتداء الخارج (ابتداء خارج)، والخارج الثاني، وابتداء الداخل (ابتداء داخل)، والداخل الثاني، وموصلة الصحن، والصحن، وابتداء الستينية (ابتداء آلتمشلي) والستينية الثانية وموصلة السليمانية، والسليمانية** »[3].

مؤلف **سلك الدرر** زاخر برجالات العلم الذين نالوا درجات علمية من اسطنبول أمثال العالم **محمد سعدي الدمشقي** نزيل دار الخلافة الذي دخل طريق العلماء ولازم قاعدتهم وطريقهم، وأعطي قضاء بغداد ثم قضاء اسكدار، رتبة قضاء المدينة المنورة [4]. وقد قام الشيخ **صادق الخراط** بنظم أبيات لمدح العالم **عبد الرحمن القاري** مهنيا إياه بمناسبة نيله رتبة مدرسة الداخل المتعارفة بين الموالي الرومية فقال:

با ابن الأكارم و الأفاضل	يا واحدا ملك الفضائل
يا مفرد إلا وصاف وال	الطاف يا حسن الشمائل

[1]- الجبرتي، المصدر السابق،ج1، ص 447 وما بعدها.
[2]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 397.
[3]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 461.
[4]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص 28.

يا من رقي رتب المعا لي الغر عن إرث الأوائل
آباؤه الأمجاد من ملكوا الفخار ولا مجادل
ورقوا على هام العلا واستوطنوا تلك المنازل
يهنيك قد وافت لك العلياء ترفل في غلائل[1].

من خلال دراستنا لأهم العلماء الذين أخذوا الإجازات في مدارس اسطنبول [2]، استطاعوا بهذه الدّرجات العلمية نيل وظائف في دوائر الدولة العثمانية أو في دمشق أو خارجها، وحتّى في الأقاليم العربية الأخرى، شملت خاصة سلك القضاء والإفتاء، التدريس، مثل **أحمد الكواكبي** الذي كان مفتي الحنفية بحلب ثم لما حاز رتبة السليمانية شغل قضاء القدس الشريف وأزنيق، طرابلس الشام [3]، وتولى **خليل الفتال** قضاء عكة على طريقة التأييد[4]، ومن هذا القبيل يوجد الكثير من النماذج.

قد وليّ السيد **عبد الرحيم أبي اللطيف** قضاء صفد بعد أخذه رتبة موصلة السليمانية [5]، كما عمل كلّ من **رحمة الله الأيوبي** في التدريس [6] و **السيد أحمد الصمادي** [7] و**عبد الرحمن السفرجلاني**[8] في حين وظف العالم **عبد الرحمن الكيلاني** كنقيب على الأشراف[9]. وشغل كلّ من من الشيخ **إسماعيل المنيني**[10] و**حامد العمادي**[11] وظيفة الإفتاء، وما يمكن قوله في هذا الموضوع، هو حرص رجال العلم لتحصيل المعرفة من مدارس اسطنبول لنيل مقام رفيع، يمكّنهم من نيل وظائف في الدوائر الحكومية للدولة العثمانية أو في أقاليمها العربية التابعة لنفوذها. كما استطاع علماء دمشق تحصيل اللغات المختلفة أثناء تواجدهم بمدارس اسطنبول، حتّى هناك من نظم بها الشعر، وآخر ألف نثرا بها، ومن هؤلاء نذكر العلامة **صالح الحلبي** الذي دوّن شعرا باللغات الثلاث، وربما نظم باللغة الكردية والعبرانية والرومية، والشيء المميز في هذا العالم هو أنه كان ضليعا في الموسيقى وكتابة الأشعار

---

[1]- نفسه، ج 2، ص 284.
[2] - الملحق رقم (03)، ص 178.
[3]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص176.
[4]- نفسه، ج 2، ص 99.
[5]- نفسه، ج 3، ص3.
[6]- نفسه، ج 2، ص 115.
[7]- نفسه، ج 1، ص173.
[8]- نفسه، ج 2، ص 294.
[9]- نفسه، ص 294.
[10]- نفسه، ج 1، ص 241.
[11]- نفسه، ج 2، ص 11.

حتى أجيز في هذا [1]، لكن **المرادي** هنا لا يذكر لنا من أجازه، ولم يذكر المشايخ الذين أجازوه ولا حتى في أي اختصاص. كذلك نجد **مراد المرادي** الذي تضلع في ألسن اللغات (العربية والفارسية والتركية)[2] والعلامة **حسن الحلبي** و**سعيد السعساني**[3].

في الأخير نستخلص إلى:

1- حرّص علماء القرن **12هـ/18م** لنيل الإجازات في العلوم الدّينية والعلوم المساعدة لفهم القرآن الكريم، وكلّ هذا لتمكين الرّسالة المحمدية في الأرض، وترسيخ القواعد الإسلامية بين المسلمين، وحماية الدّين الحنيف من كلّ عدو دخيل.

2- اهتم رجال العلم كثيرا في هذه الفترة لنيل الدّرجات العلمية في العلوم الدّينية والمساعدة لفهم المصحف الشريف من علماء بارزين، لي تمكنوا فيما بعد من تولى مناصب عالية في دوائر الدولة العثمانية أو في دمشق و خارجها وفي أقاليمها العربية الأخرى.

3- تنوعت أماكن نيل الإجازات العلمية التي كانت من محلات مختلفة، أولها من دمشق التي كان يجيز فيها رجالات العلم خاصة العالم الجليل **عبد الغني النابلسي** في العلوم الدّينية، وهناك مدن أخرى مجاورة لها كحماة، نابلس وغيرهما. كما سعى الطلبة لأخذ الإجازة من مصر، الحجاز.

4 - قصد علماء القرن **12هـ / 18م** مدارس اسطنبول التي حصلوا منها العلوم الإسلامية إضافة إلى إتقان اللغات كالتركية والفارسية، ومنحوا درجات علمية تختلف عما نالوه في البلاد العربية عموما، ودمشق خصوصا، وجلّ هذه الرتب مكّنتهم من تولي مناصب خاصة في القضاء والإفتاء، التدريس.

5- اختلفت الدّرجات العلمية الممنوحة لرجال العلم في هذه الفترة، فينما اقتصرت الإجازات العلمية الممنوحة في البلاد العربية على إجازة خاصة وأخرى علمية، فإنّ في مدارس اسطنبول تنوعت بين رتبة خارج ورتبة داخل، موصلة الصحن، السليمانية التي كانت أعلى درجة، وهذا بعد التعديلات التي أحدّثت في النصف الأول من القرن **18م**.

---

[1]- نفسه، ص 216.
[2]- نفسه، ج 4، ص 207.
[3]- نفسه،ج2، ص 36، 216.

6- الالتحاق بمدارس اسطنبول، كان يستوجب دراسة العلوم الدّينية، إضافة إلى تحصيل اللغات كالتركية والفارسية، وقد تضلع علماء القرن **12هـ/18م** بدمشق، وهناك من نظم بها شعرا، وألفوا بغير اللغة العربية.

المراكز العلمية وإجازات العلماء:

1-الحواضر العلمية:

أ- جامع الأزهر:

كان الأزهر[1] محط أنظار طلاب العلم والمعرفة باعتباره أهم المراكز العلمية في العهد العثماني، واستطاع أن يأخذ مكانته ويلعب دوره في التوجيه الفكري، فعرفه الناس وراحت جموعهم تتوافد على رحابه للدرس والمناظرة وتحصيل العلوم الشرعية والعقلية والنقلية[2]. وقد بلغ عددهم في القرن **9هـ/ 15م** (**750 طالبا**) من أصول مختلفة، أمّا في أواخر القرن **12هـ/ 18م** وصل العدد إلى (**9441 طالبا**) منهم**4571** شافعية و**3710** مالكية، **1130** حنفية، **40** حنابلة[3]. أما **إحسان أوغلي** قدّم إحصاء آخر قدّر ب **3 آلاف** طالبا في نفس القرن **-18م-** موزعين على ما يقرب **25 رواقا**، لكلّ رواق شيخه وهيئته التعليمية ونقابته الخاصة [4]. أما عدد الطلبة الذين كانوا يحضرون عند المدّرس الواحد قد تباين حسب الدروس فقد درّس **الحنفناوي** في حلقته نحو **500** مستمعا وعند **محمد بن إبراهيم العوفي** حضره **300** طالبا خلال القرن **12هـ / 18م**[5].

ولقد استقطب الأزهر إليه الكثير من العلماء الشاميين طلبا للعلم وللأخذ من شيوخها واستطاعوا أن يتوظفوا بها وينالوا احترام وتقدير علمائها وأهلها، ولعلّ **عبد اللّطيف المكتبي** [6] الدمشقي من هؤلاء الذين قصدو ها ونزل بها ومارس التدريس بالأزهر وصار شيخ رواق الشام به [7] و**علي كربز** الشافعي الدمشقي ارتحل إلى الجامع وجاوره مدّة وأخذ وقرأ على جماعة منهم **الشيخ منصور المنوفي** و**الشيخ محمد عبد الله المغربي الفاسي** و**أحمد النفراوي الأزهري** من المالكية [8]وغيرهم. كذلك **محمد الحنفي** الذي لازم الأزهر للإفادة منه بالرّغم من أنّه نزيل القسطنطينية[9].

---

[1]- هذا الجامع يعدّ أوّل مسجد أسّس بالقاهرة أنشأه القائد **جوهر الكاتب الصقلي** لما اختط القاهرة، شرع في بنائه يوم السبت من جمادى الأولى **359ه-/970م** وكملّ لتسع خلون من شهر رمضان **361ه-/ 973م.** للمزيد انظر: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بروي الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج 4، تح: محمد حسين شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م، ص 29.

[2]- نفسه، ص 90.

[3]- علواش، المرجع السابق، ص 201.

[4]- أوغلي، ج 2، المرجع السابق، ص 334.

[5]- توفيق الطويل، **التصوف في مصر إبان العصر العثماني**، مكتبة الآداب، مصر، د س، ص 31.

[6]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 119.

[7]- وكان بجامع الأزهر الأروقة فيقال رواق الصعايدة وواق اليمنية ورواق الأتراك ورواق الشوام ورواق المغاربية، حتى رواق العميان. انظر: نفسه،ج2، ص 119.

[8]- نفسه، ج 3، ص 119، ص 205.

[9]- نفسه، ج 4، ص 108.

وقد كان العلماء يمكثون بالديار المصرية طلبا للعلم لمدة أعوام حيث نجد**علي بن حبيب الله** مكث بالأزهر فترة **15 عاما** حتى غلب عليه علم الحديث[1]، أما **محمد بن محمد الطيب**فقد الذي الذي مدة **عامين وثمانية أشهر**[2]. على أنّ أمر المكوث بالجامع الأزهر للإفادة والانتفاع لم يقتصر على الوافدين فقط، بل كذلك من داخل مصر نفسها، إذ ذكر **المرادي** شخصية **علي الأسمر** الإسكندراني المالكي كان يأتي في كل سنة للجامع من اسكندرية يدرس ثم يرقفل راجعا إلى بلدته في أول ثلاثة أشهر[3].

استطعنا من خلال مؤلف **المرادي** الوقوف على أسماء رجال علم شغلوا مناصبا بالأزهر وكانوا خير زاد لل معرفة وذخرا للأمة الإسلامية ، حيث قصدوهم الطلبة والعلماء من كلّ بقاع العالم الإسلامي للانتفاع بعلومهم الغزيرة، ولعل أبرز شخصية كانت **عبد الله الشبراوي** القاهري الشافعي الذي برع في العلم حتى صار شيخ الجامع [4]، كما استطاع **عطية لله الأجهوري** القاهري الشافعي تصدر في جامع الأزهر لإقراء الدروس ووردت عليه الطالبون [5]. في حين **محمد البقري** المصري الأزهري الذي كان ضريرا فقد لقب بشيخ القراء بالجامع وقرأ عليه القرآن بالروايات عدد لا يحصى مثلا لشيخ العالم **أبو المواهب الدمشقي**[6]. وننوّه إلى أمر هم أنّ العمل بالجامع الأزهر لم يكن حكرا حكرا على المصريين دونهم بل هناك علماء مارسوا التدريس فيه من كلّ المذاهب وأقطار الإسلامي ة، إذ نجد **محمد البليدي** المغربي المالكي نزيل مصر تضلع كانت في علم القراءات ودرّس تفسير البيضاوي في الأزهر وحضره عدد كبير من طلبة العلم[7]، كذلك **محمد الخراشي** المالكي الذي تصدر تصدر للإقراء بالجامع وحضر درسه غالب المالكية[8].

بهذا ظل الأزهر طيلة قرونا ينشر الثقافة العربية ويحافظ على التراث الإسلامي على مرّ العصور ومصدر إشعاع ثقافي يقصده الطلبة والعلماء لتحصيل العلم والأدب وغير ذلك، إذ يذكر لنا **خليل إينالجيك** في هذا الصدد أنّ الثقافة العثمانية خلال القرنيين **15 – 16م** تشكلت بفضل توجه رجال العلم الأتراك صوب الأزهر ليستفيدوا من العلماء المعروفين في تلك البلاد بغرض التعمق في

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 209.
[2]- نفسه، ج 4، ص 103.
[3]- نفسه، ج 3، ص 259.
[4]- نفسه، ص 107.
[5]- نفسه، ص 265.
[6]- نفسه، ج 4، ص 123.
[7]- نفسه، ص 111.
[8]- نفسه، ص 63.

التفسير والعقيدة مثل **محمد الفناري**[1] و**على الفناري**[2].ولما كان الأزهر يمثل مركز الثّقل الحضاري في كلّ حقب التاريخ الإسلامي، فلا جرم أن يمدحه أحد الغربيين بقوله:«لقد أعلن الأزهر ذو الألف عام كيف استطاع أن يحصل على العجائب من قدرة الإنسان وعظمته وتاريخ القاهرة لم يتأخر ولم يتغير وظل دائما تاريخا عربيا إسلاميا لأنّ في هذه المدينة ولد الأدب العربي»[3].

وخير ما نختم به الكلام في فضل الجامع الأزهر قول الشيخ **عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي** الذي وصف الأزهر إبان رحلته إلى القاهرة فقال:«وبتنا تلك الليلة في الجامع الأزهر المعمور بالتعليم والتلاوة والذكر آناء الليل وأطراف النهار، لا تنقطع منه العبادة ليلا ونهارا، صيفا وشتاء، فهو عديم النظير في مساجد الدّنيا حاشا المساجد الثلاث لما لها عند الله من الفضل، وغير مستنكر وجود مزية في المفضول ليست في الفاضل، إذ الفضل بوجود التفضيل لا بوجود الفضيلة»[4].

إلى جانب الأزهر وجدت دار الحكمة كجامعة حرة التي نافست الجامع وعملت على تدريس علوم اللغة والطب والرياضة والمنطق الفلسفة وما إليها[5]. وقد حوّت كتببفعل ما زودت به من الأزهر الأزهر وجامع براشدة لها[6].

ب– مدارس اسطنبول:

ارتحل العديد من العلماء الشاميين إلى اسطنبول والمدن العثمانية الكبرى ودرسوا بمدارسها وتخرجوا منها، إذ كان التعليم في إحدى هذه المؤسسات التعليمية مرحلة فريدة في مجال التعليم ليس فقط من حيث المناهج والمواد المدرّسة؛ بل لأنها أيضا تؤهل صاحبها لاستلام مناصب هامة في الدولة[7].

وقد أطلعنا **المرادي** في مؤلفه على أكثر المدارس العثمانية ذيوعا في تلك الفترة و التي كان رجال العلم في دمشق يقصدونها ، ولعل أبرزها كانت مدرسة سراي الغلطة ومدرسة يار حصار

---

[1]- **محمد الفناري** : توفي عام 841هـ/1341م، يعدّ شيخ الدولة العثمانية، درّس في الأناضول ومصر، وعلي الحفناوي توفي 903هـ/1497م حفيد محمد الفناري، كان مدرّسا وقاضيا للعسكر. انظر: إينالجيك، المرجع السابق، ص 255.

[2]- نفسه، ص 255.

[3]- عطا الله، المرجع السابق، ص 116.

[4]- عبد الجواد صابر إسماعيل، **دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني** ، ط 1، مكتبة وهبة، مصر، 1996م، ص 18.

[5]- عطا الله، المرجع السابق، ص ص 115 – 116.

[6]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص ص 266 – 267.

[7]- نعيسة، المرجع السابق،ج 2، ص 389.

ومدرسة الداخل بين الموالي ومدرسة سليمان صوباشي ومدرسة شيخ الإسلام ومدرسة بهرانية ومدرسة حافظ باشا ومدرسة خديجة سلطان[1]، مدرسة مولاي خسرو كتخدا، مدرسة روم محمد باشا، مدرسة بيري باشا، مدرسة شاه سلطان [2]، مدرسة ذي الفقار، مدرسة اينجه قره، مدرسة طوطئ لطف [3] ومدرسة أبهم[4]. وتأتي على رأس هذه المدارس **المدرسة السليمانية** التي كانت تمثل أعلى مراحل التدريس المتخصص، إذ تمنح لطلابها مراتب علمية مختلفة كابتدائي خارج، حركتي خارج ثم ابتدائي داخل[5]وغيرها.

ومن بين العلماء الذين وفدوا الباب العالي نجد الشيخ **عبد القادر البانقوسي** الحلبي الذي درَس بآيا صوفيا صحيح البخاري وانتفع بأفاضلها ثم قفل راجعا إلى حلب **1181هـ/1767م**[6] و**أبو** و**أبو الإسعاد بن أيوب** الخلوتي الدمشقي الذي فلازم شيخ الإسلام **المولى علي**[7]. وهناك من رجال رجال العلم الدمشقيين من قصد اسطنبول ومُنح التدريس في أكثر من مدرسة لمكانته العلمية ك**السيد أبو المواهب العرضي** الذي أعطي مدرسة سراي الغلطة ومدرسة يار حصار ومدرسة سليمان صوباشي[8]وغيرهم. أما **أحمد البكري** نزيل القسطنطينية فقد أعطيّ مدرسة مولاي خسرو كتخدا ومدرسة روم محمد باشا ومدرسة بيري باشا[9]. في حين **السيد عبد المعطي** الدمشقي استقر في اسطنبول وتمكن من التدريس في مدرسة ذي الفقار ومدرسة اينجه قرة ومدرسة طوطئ لطف[10].

ولما كانت مدارس اسطنبول تمثل للعلماء الدمشقين محطة تنافس وتسابق للعلم استطاعت ثلة منهم أن تثبت جدارتها في مضمار المعارف حين راحت تعلم العديد من العثمانيين على يدّها، إذ تضلع **أحمد البقاعي** في العلوم سيما فنون الأدب وأخذ عنه جماعة من رؤساء العثمانيين أمثال شيخ الإسلام **محمد أمين حياتي زاده** ورئيس الكتاب **المولى مصطفى بشير آغا**[11]، كذلك عالم الشام

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 70.
[2]- نفسه، ص ص 149 – 150.
[3]- نفسه، ج 3، ص 138.
[4]- نفسه، ج 1، ص 51.
[5]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 390.
[6]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص ص 49 – 50.
[7]- نفسه، ج 1، ص 51.
[8]- نفسه، ص 70.
[9]- نفسه، ص ص 149 – 150.
[10]- نفسه، ج 3، ص 138.
[11]- آغة دار السعادة: لقب وظيفي يتكون من آغا، دار السعادة، كناية عن العاصمة العثمانية استنبول أو القصر السلطاني بها. وهو أكبر موظفي القصر الهمايوني ويعرف باسم آغا البنات (فيزلر آغا سي) . مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية(دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثاروالوثائق والمخطوطات 1517- 1924م)**، ط1، دار غريب، القاهرة، 2000م، ص 183.

عبد الغني النابلسي [1] الذي أثر كثيرا في العلماء العثمانيين وأخذوا عنه التصوف والفقه من بينهم **سليمان سعد الدين مستقيم زاده (1701 – 1788م)**[2].

ونظرا لتمكن العلماء الدّمشقيين المدّرسين كان الطلبة بالديار العثمانية يلتفون حولهم بأعداد لا تحصى وتتسع حلقة دروسهم لتصل **مائتي** طالب علم وحيث كان العالم **مصطفى السفرجلاني** ممن علا شأنه عند صدور الدولة وعلمائها نظرا لرفعة تحقيقه وتدقيقه وفضله ومع ذلك كان يذمهم ويتكلم في حقهم ولا يهاب كبيرهم ولا صغيرهم وعلمه ساتر منه كلّ عيب[3].

ج– المسجد الأقصى:

لقد كانت القدس بسبب مركزها الدّيني والعلمي قبلة تجمع عدد كبير من رجال العلم والمدّرسين والطلاب لما تزخر به من معاهد ومؤسسات تعليمية وخوانق وزوايا وفي مقدمتها المساجد، سيما المسجد الأقصى وقبة الصخرة المشرفة [4] اللّذان مثلا القطب الفعال للحركة العلمية في البيت المقدس. ولقد دُرست في هذه الحواضر العلوم الدينية وعلوم اللغة [5]. ويعدّ المسجد من أهم الأقطاب التعليمية وأقدمها ولم ينقطع التدريس فيه عبر القرون المختلفة، وقدأولوه السلاطين العثمانيين الاهتمام حين قام كل من السلطان **محمد الثالث** عام **1006هـ/1597م** والسلطان **محمد الأول** عام **1012هـ/1603م** والسلطان **مصطفى الأول**عام**1617م** بإعادة ترميم قبته الصخرة[6]. أما من حيث حيث التدريس فيه فقد توارثت عائلات معينة من الآباء إلى الأبناء هذه الوظيفةكأسرة **الخليلي**

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج3 ، ص 30.

[2]- علواش، المرجع السابق، ص36.

[3]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 210.

[4]- عمّر عبد الملك بن مروان عام 65هـ/ م الحرم والقبة الكبرى التي فوق الصخرة على أسلوب جميل استعاره من الهندسة البيزنطية، ثم هدّم الكنيسة التي كان سيدها **بستنياس** وبنى موضعها المسجد الأقصى الذي أكمل عام 72هـ/ م. انظر: كرد، المصدر السابق، ج 5، ص 250.

[5]- محمد أحمد، **الحياة الثقافية والفكرية في القدس في العصر العثماني (القدس عاصمة الثقافة العربيةلعام 2009م)**، مجلة جامعة القدس، 2009/04/30م، ص 9.

[6]- كارين ارمسترونج، **القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث** ، تر: فاطمة نصر ومحمد عناني، دار سطور، القاهرة، 1998م، ص 309.

وكانت مصادر الإنفاق على المدرسين بالمسجد الأقصى تنفق فقد الصرة العثمانية[1] والصرة المصرية، ناهيك عن المساعدات العينية المقدمة من قبل السلاطين[2] وغيرها.

كشف لنا **المرادي** عن جملة من رجال العلم الذين درّسوا في المسجد الأقصى وكان لهم باع في تدريس العلوم الدّينية ك**سعيد الخليلي** الشافعي القدسي الذي لازم المسجد الأقصى وأفاد الكثير من الطلبة و لم توفي رثاه **محمد كمال الدين مصطفى البكري** لفضل علمه على الأنام فقال فيه:

له في المسجد الأقصى دروس حلت في ذوق سامعها الفهيم

وكم أحيا به روضا أريضا من التمجيد في الليل البهيم[3].

أما **محمد الخليلي** فقد درّس الحديث والتفسير والوعظ في حجرته بصحن الصخرة [4] و **عبد المعطي الخليلي** جاور الأقصى ودرّس فيه، كما تولى إفتاء الشافعية بالقدس لأكثر من **25 عاما** بلا طلب بل ألزمه شيخه **الخليلي** وأهل القدس لتمكنه في فروع المذاهب [5]، ولا يقل عنه العالم **خالد القدسي** تضلعا في علوم الدين حيث تصدر للإفادة والتّدريس بالمسجد واشتغل عليه جماعة من الطلاب فانتفعوا بعلمه[6]. وهناك من رجال العلم من جمع بين الخطبة والتدريس مثل **جار الله بن أبي أبي اللطيف** الذي أسهم في تفعيل الحركة العلمية بإنشائه بيت علم في القدس [7]، كذا **السيد محمد بن السيد مصطفى** نقيب القدس الذي برع في علم الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث[8]. ومن العلماء الدمشقيين نجد أيضا **مصطفى البكري** الذي كان يلقي الدروس داخل المسجد الأقصى [9] و**إبراهيم الراعي** الذي رحل إلى القدس لخدمة أستاذه **عبد الغني النابلسي** عام **101هـ/719م** وقال شعرا في المدينة:

أيا صخرة الله فيك الهدى ومن قد أنساك غدا أسعدا

---

[1]- **الصرة: لغة** : هي ما يصرّ على الشيء لجمعه و حفظه، كما تطلق عامة على كيس من النقود.
اصطلاحا: هي ما ترسله الدول الإسلامية سنويا من أموال عينية إلى الحرمين الشريفين لإعانة الدولة و الحجيج و المتساكنين بمكة و المدينة. لمياء أحمد عبد الله الشافعي، **الصرة العثمانية الموجهة إلى مكة المكرمة**، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد4، محرم 1433هـ، ص 318.

[2]- أحمد، المرجع السابق، ص 14.

[3]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص ص 149 – 150.

[4]- نفسه، ج 4، ص 95.

[5]- نفسه، ج 3، ص ص 136 – 137.

[6]- نفسه، ج 2، ص 77.

[7]- نفسه، ص 6.

[8]- النعيمات، المرجع السابق، ص 39.

[9]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 190.

لقد خصّنا الله في زوره تذكرنا الحجر الأسعدا[1].

أما كل من **أحمد الكواكبي** و**أسعد البكري** و**الشيخ إسماعيل المنيني**[2] فقد منحوا رتبة القضاء في في بيت المقدس، في حين تولى **زين الدين البصروي** [3] و **عبد الفتاح التميمي** [4] و **السيد محمد البيلوني**[5] وغير ذلك وظفوا في الإفتاء بالمسجد الأقصى. وهذه بعض أسماء من تولى التدريس والإمامة والخطابة في المسجد الأقصى في القرن **12هـ/18م**، لكي نبين الدور الذي كان يلعبه الأقصى في الحياة العلمية في بيت المقدس في تلك الفترة واستمراره كرافد في الحياة الفكرية وتشجيع التدريس والتعليم على يد أساتذة متضلعين في جلّ العلوم الدينية واللغوية.

إضافة إلى المسجد الأقصى، وجدت مكتبات لا تقل أهمية عن الأقصى التي فعّلت المشهد الثقافي خلال هذا العصر لما حوّت عليه من مؤلفات تشمل موضوعات متعدّدة وتعالج قضايا متفرقة، مما يدلّ على اطلاع رجال العلم الواسع، ومن بينها نجد **مكتبة المسجد الأقصى** التي تعدّ أهم دور للكتب الإسلامية ومركزا للحياة الثقافية بما ضمت من عدد هائل من الكتب في شتى الفنون كاللغة العربية والدّين والتاريخ والحساب والميقات، هذه المؤلفات توزعت بين المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وهذه بعض عناوين كتابها: **نشق الأزهار في عجائب الأقطار** لـ**محمد برأباس الحنفي** وكتاب **أسد البقاع الناهشة في معتدى المقادسة** للشيخ **برهان الدين بن عمرالقاعي**[6].

د–المسجد الحرام:

يعد المسجد الحرام من أهم مساجد الذي لم يقتصر دوره على أداء الشعائر والعبادات فقط، بل كان أيضا مكانا للتعليم والتربية ومدرسة علم وأدب وعمل على ترسيخ مبادئ العقيدة الإسلامية. وقد حظيّ هذا الأخير باهتمام السلاطين العثمانين من خلال إنزال العلماء مكانتهم اللائقة وإكرامهم بالهبات والعطايا مما أدّى إلى تنشيط الحياة العلمية، حيث ازدادت الحلقات العلمية وانتشرت في كافة أروقته وساحاته المحيطة وتعدّدت الدّروس أيضا واتسعت الحلقات لتشمل أبناء مكة

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 32.
[2]- نفسه، ج 1، ص 175، ص 223، ص 241.
[3]- نفسه، ج 2، ص 120.
[4]- نفسه، ج 3، ص 41.
[5]- نفسه، ج 4، ص 124.
[6]- النعيمات، المرجع السابق، ص ص 42-44.

والزائرين والمجاورين لها لطلب المعرفة[1]. وقد استطاع أن يكون منارة علم ومعرفة وقبلة ليس لأهل مكة فحسب بل حتّى للعالم الإسلامي وغيره، إذ وصفه الرحّالة **ليون روش** بالجامعة فقال:«إنّ أقدم الجامعات في مدينة مكة هو الحرم الشريف» [2] وهذا ما يوحي إلى الأهمية التي كان يكتسبها هذا المسجد الذي عدّ جامعة تضاهي الجامعات الأوروبية في ذلك العصر.

وقد كان يشرف على المسجد الحرام شيخ العلماء الذي كلّف بوظائف منها دينية وأخرى إدارية تتعلّق بصلاحية تعيين رجال العلم في المناصب المناسبة، كما يرأس امتحان المتقدمين لطلب العلم للتدريس بالمسجد[3]وغير ذلك. على الذي يدّرس في ساحة وأروقة المسجد الحرام لا بد أن يتمتع بدراية كافية في العلوم وكفاءة عالية حتى يتمكن من نيل وظيفة التدريس ولا يكون محل سخرية واستهزاء من قبل الطلبة، وقد بلغ عددهم –المدرسين– خلال القرن **13هـ/19م** حوالي **107** مدرّسا الذي كان للكثير منهم خلاو بالمسجد يطالعون فيها دروسهم التي يلقونها على الطلاب[4]. ومثل هذه هذه الأماكن تسمح وتسهل في نفس الوقت عملية التواصل بين الطالب وشيخه . أما عدد الطلاب فقد تفاوت بحسب المادة وشيخها، على أنّ حلقة الدّرس تكوّنت من **10** إلى **30** دارسا الذين كان لهم مطلق الحرية في اختيار الحلقة التي تناسبهم ومن جملة المواد التي كانت تدّرس في حلقات الحرم التي قسمت بدورها إلى قسمين هما:

* **العلوم الأساسية** : العقيدة والفقه (على المذاهب الأربعة)، الأصول، الحديث، التفسير، ويكون تدريس هذه العلوم بالحرم من ساعات الصباح الأولى إلى الظهر.

* **العلوم المساعدة** : ويبدأ تدريسها بالحرم بعد صلاة الظهر مباشرة وبعد صلاة العصر كذلك، يحضرها عادة الطلاب المبتدئونلكن بمجيء **رحمة الله الهندي** أضاف على هذه العلوم الدّينية وعلوم اللغة علوما وكتبا جديدة كالمنطق والفلسفة الإسلامية وعلمي الكلام والمناظرة وعلم الهيئة وإقليدس الهندسة وطلب لهذه العلوم كتبا من الهند وشرع في تدريس كتاب **حجة الله البالغة** و**شرح الجغميني** في علم الفلك، كما أنه فصل في تدريسه بين علمي النحو والصرف بعد أن كانا يدرسان معا [5]. وقد

---

[1]- آمال رمضان عبد الحميد صديق، **الحياة العلمية في مكة (1115 – 1334ه / 1703 – 1916م)**، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، (مرقونة) المملكة العربية السعودية، 2006م، ص ص 126-227.

[2]- نفسه، ص 271.

[3]- حسن بن محمد بن حسن شعيب، **الدور التربوي لحلقات العلم بالمسجد الحرام في عهد الملك عبد العزيز**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى، (مرقونة)، المملكة العربية السعودية، 1429هـ، ص 63.

[4]- رمضان، المرجع السابق، ص 230.

[5]- شعيب، المرجع السابق، ص ص 68 – 70.

كان يوما مشهودا في تاريخ العلم بالحرم المكي الشريف بفضل التعديلات التي أحدثها هذا العالم الجليل في هذه العلوم الدّينية وعلوم اللغة التي راحت تنتشر حلقاتها داخل أروقة المسجد وعند أبوابه الرئيسة كباب السلام وباب إبراهيم وعند المنبر وعند المقامات الأربع كمقام إبراهيم[1].

من خلال مؤلف **المرادي** وقفنا عند جملة من العلماء درسوا ودرّسوا في المسجد الحرام الذي كان أشهرهم **عبد الرحمن المدني** حيث أخذ الفقه عن **الجمال يوسف الكردي** والشيخ **الملا عبد الرحمن الحامي** ، أما الحديث ومصطلحه أخذه عن محدّث المدينة **محمد بن الطيب** وغير ذلك، ثم درّس بالمسجد الشريف النبوي وانتفعت به الطلبة وأقبلوا عليه، إضافة إلى مزاولته الخطبة والإمامة بالمسجد[2]. كذا الأمر بالنسبة ل.**عبد الرحمن الأنصاري** الذي طلب العلم على مشايخ أهمهم:**الجمال عبد الله بن سالم البصري** و**أبي الطيب السندي**[3]وغيرهم. وهناك بعض العلماء من طلب العلم عن والده أو أحد أقربائه مثل **أحمد معلباوي** الذي قرأ عن أبيه **يوسف أفندي الشرواني** و**الجمال عبد الله بن سالم البصري** [4] ثم زاول الإمامة بالمسجد الشريف وخطب به ودرّس كذلك وانتفع به الطلبة [5]، كذا العالم **علي البرزنجي** المدني الذي أخذ عن أخيه **السيد جعفر** و**الشيخ محمد العجمي**[6]. وأخذُ العلم عن الوالد أو أحد الأقارب فيه دلالة على تواجد أسر علمية تتوارث العلوم ولما لا الوظائف فيما بعد كأسرة **الأسكداري** التي احتكرت الإفتاء بالمدينة المنورة بدءً من **أسعد الأسكداري** الحنفي المدني [7] و **عبد الله الأسكداري** [8] و**عبد المحسن الأسكداري** [9]. أما العلامة **علي الزهري الشرواني** المدني فقد كان رئيس علماء الحنفية[10].

على أنّ هذه الوظائف المذكورة آنفا لم تكن حكرا على علماء مكة والمدينة فحسب، بل شغلها أيضا رجال علم من أقطار البلاد الإسلامية الأخرى باعتبار أنّ التدريس في المسجد لا يكون إلاّ لذي كفاءة عاليةوفي هذا أعطيّ العالم الدمشقي **أحمد البكري** قضاء المدينة [11]، كذا الأمر

---

[1]- رمضان، المرجع السابق، ص ص 231-235.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 230.
[3]- نفسه، ج 2، ص 303.
[4]- نفسه، ج 3، ص 82.
[5]- نفسه، ج 1، ص 81.
[6]- نفسه، ص 213.
[7]- نفسه، ج 1، ص 222.
[8]- نفسه، ج 3، ص 83.
[9]- نفسه، ج 3، ص 134.
[10]- نفسه، ص 231.
[11]- نفسه، ج 1، ص 149.

بالنسبة لكل من **السيد علي الخباز الدمشقي**[1] **والسيد عبد القادر بن يوسف** نزيل المدينة المنورة الذي صار أحد الخطباء والأئمة، ناهيك عن تدريسه بالمسجد الشريف الذي انتفع بعلمه الطلبة[2].

ومن القاهرة استطاع **عبد الله النمرسي** التدريس بالحرم الشريف [3] ومن المغرب **محمد بن الطيب** الفاسي المالكي الذي انتفع الطلبة من علمه لم ا درّس بالمسجد [4]ونزل بالمدينة أيضا **عبد الرحمن المغربي** الذي تفنن في العلوم وأخذ العلم عن الشيخ **تاج الدين بن إلياس المفتي**، كما قرأ عليه المتعلمين ووقف كتبه لطلاب العلم وحتى من السند [5] علماء قصدوا الحرمين الشريفين أمثال **محمد حياة السندي** الذي لازم الشيخ **أبا الحسن بن عبد الهادي السندي** و**الشيخ عبد الله بن سالم البصري** وغير ذلك، ثم درّس بالمسجد النبوي[6].

وعليه نقول، استطاع المسجد الحرام بتعدد حلقاته العلمية التي كانت تدار في أروقته من أن ينشط الحياة العلمية في الحرمين خاصة مواسم الحج، حيث كان يلتقي العلماء من كلّ فج مما يؤدي إلى تبادل الأفكار وتلاقحها بين هؤلاء، هذا التحاور الذي من شأنه أن يثريّ الحياة الفكرية التي كانت آنذاك، وعليه كان للمسجد الحرام في الحجاز دوره الكبير باعتباره أحد المراكز العلمية للإشعاع الثقافي الإسلامي.

ما نستطيع قوله في موضوع الحواضر العلمية، هو أنّ **سلك الدرر** كشف لنا عن عدد هائل من رجال العلم خلال القرن **12هـ/18م** ممن اجتمعوا في حلقات متصلة لطلب العلم في إطار التبادل الثقافي الذي كان مفتوحا على الأقاليم العربية إبان العصر العثماني، فكثيرا من العلماء تلقوا تعليمهم بالأزهر وفي دمشق وفي القدس وغيره م التي كانت بمثابة أهم حواضر علمية البارزة خلال تلك الفترة.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 217.
[2]- نفسه، ص 62.
[3]- نفسه، ج 3، ص 273.
[4]- نفسه، ج 4، ص 61.
[5]- **السند:** هي شيء من بلاد الهند ومكران، كوران والبدهه وشرقي ذلك كله بحر فارس وغربيّها كرمان ومفازة سجستان وأعمالها، وشماليها لبلاد الهند وجنوبيها مفازة ما بين مكران والقفص ومن ورائها بحر فارس، وإنما صار بحر فارس حيط بشرقي هذه البلاد والجنوبي من وراء هذه المفازة من أجل أنّ البحر يمتد من صيمور على الشرقي إلى تير مكران، ثم ينعطف على هذه المفازة إلى أن تيفوس على بلاد كرمان وفارس. انظر: أبي القاسم بن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، ط1، دار مكتبة الحياة، لبنان، دت، ص 274.
[6]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص ص 86- 87.

ونلمس من **سلك الدرر** تلك العلاقات التي كانت قائمة بين العلماء في مجال التبادل الثقافي، إذ نجد من المقدسيين العالم **السيد أحمد الخالدي** الذي درس بالجامع الأزهر وصارت له الرّفعة بين أبناء عصره[1]. كذلك الشيخ **محمد الخليلي** الذي ذهب إلى حماه لأخذ الطريقة القادرية ثم قفل راجعا للقدس بعد إذن شيخه الذي أجاز له بالتدريس والإفتاء [2]. كما نجد **علي بن حبيب الله القدسي** الذي سافر لم صر ومكث فيه مدّة تزيد عن **15** عاما درس خلالها الحديث ثم قصد اسطنبول أين درّس صحيح البخاري في جامع آيا صوفيا مدّة **25** عاما وعاد إلى القدس أين توفي فيها **1144هـ/1731م**[3]. في المقابل قصد علماء مصر القدس لأداء فريضة الحج وطلب العلم، ثمّ بحثا عن وظيفة في سلك التدريس وغيرها، حيث نجد **محمد الخلفاوي المقدسي** الذي أخذ العلم عن علماء الأزهر منهم **الشيخ عمر الطحلاوي** و**أحمد النفراوي** وغير ذلك ممن أذنوا له بقراءة الحديث والتدريس بالأزهر ثم عاد للقدس عام **1174هـ/1760م** واستوطنها[4].

كذلك نجد عدد من علماء القدس الذين قصدوا الأزهر ورحلوا بعدها إلى دمشق مثل الشيخ **عبد الغني النابلسي** الذي درّس بصالحية دمشق [5] و **مصطفى البكري** الدمشقي المقدسي الذي سكن بالقدس وتزوج فيها وقام بعدّة رحلات إلى الحجاز وحلب ومصر[6]. ومن المغرب هناك علماء قدموا القدس وسكنوا بها مثل **محمد بن محمد الطيب** الذي سكن في بيت المقدس وتزوج فيها وأضحى من المدرسين الأوائل بالحرم الشريف [7]. عندنا أيضا **أحمد المنيني** الحنفي الطرابلسي الذي قدّم دمشق منذ صغره وأخذ العلم عن أفاضلها مثل **الشيخ أبو المواهب الحنبلي** و**الشيخ محمد الكامل** وغير ذلك وأخذ عن علماء الحجاز الإمام **عبد الله بن سالم المكي البصري** و**الشيخ أحمد النخلي** وغيرهما ومن اسطنبول أخذ عن **الشيخ علي المنصوري لصراي** وعلامة **المولى سليمان بن أحمد** رئيس الوعاظ بدار السلطة العلية[8]. والأمر لم يتوقف عند هذه الحدود الجغرافية بل بل امتد حتى بغداد حيث العلامة **عبد الله السويدي** الشافعي الذي ارتحل إلى الموصل فقرأ عن علمائها المنقول والمعقول ثم عاد ليتصدر التدريس وتوجه بعد ذلك إلى حلب و دمشق أين قدّم بهما

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 97.
[2]- نفسه، ج 4، ص 95.
[3]- نفسه، ج 3، ص 209.
[4]- النعيمات، المرجع السابق، ص 51.
[5]- المرادي، المصدرالسابق، ج 2، ص 30.
[6]- نفسه، ج 4، ص 190.
[7]- نفسه،ج4، ص 91.
[8]- نفسه، ج 1، ص ص 133 – 134.

دروسا وأخذ عنه خلق كثير، كما درّس بالمدينة المنورة وحضره الأئمة ولم يكتف بهذا فحسب بل قصد مكة وألّف **النفحة المسكية في الرحلة المكية**[1].

2 –الإجازات العلمية:

لما كانت الإجازات العلمية ورتبها تمكّن رجال الدّين في دمشق من نيل مناصب مهمة في كيان الدولة، حرّص علماء القرن **12**هـ / **18**معلى الفوز بهذه الشهادات من داخل دمشق و من خارجها، لأجل تولي وظائف في سلك القضاء أو الإفتاء، التدريس إلى غير ذلك.

والإجازة من مصدر أجاز [2] وتعني **لغة**: إعطاء الأذن، فيقال "أجاز له سوغ له" [3] وتعني عند **التهانوي**: طيّ المسافة وترك المكان، والانقضاء وإعطاء الإذن لشخص [4].أما **اصطلاحا**: إذن وتسويغ... وعلى هذا نقول: أجزت له رواية كذا. نقول: "أذنت له وسوغت له" [5]، وعند المحدّثين هي: الإذن في الرواية لفظا أو كتابة[6].

عرّفها أيضا **يلماز أوزتونا** على أنها عبارة عن شهادة تثبت نجاح الطالب في درس ما، أخذه عن أحد الشيوخ[7]، وكانت تكتب أحيانا بخط المجيز[8] وأحيانا بخط المجاز نفسه، أو يكتبها معين، فقد فقد ذكر لنا **المرادي** أنّ **السيد إبراهيم** أجيز من ثمانين شيخا من مختلف البلاد العربية[9].

هذه الإجازات صنفت إلى درجات متباينة باختصاصات مختلفة، فمنها ما كان شفهيا يقدّمها المجيز في مجلس به شهود[10] ومنها ما يكون كتابة نثرا أم نظما[11]، ويراعى في تدوينها العبارات المنسقة، والسّجع المرصع بالبيان، وقد يختلف حجمها من قصر يتراوح بضعة أسطر، يذكر فيها الشيخ فقط اسمه واسم الطالب، وقد تكون في خمسة كراريس يذكر فيها سند العلم الذي أجاز فيه، والشيوخ الذين أخذ عنهم[12].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص ص 84 – 85.
[2]- التهانوي، المرجع السابق، ص 99.
[3]-عبد الله فياض، **الإجازات العلمية عند المسلمين**، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م، ص 21.
[4]- التهانوي، المرجع نفسه، ص ص 99 – 100.
[5]- عبد الله فياض، المرجع نفسه، ص 21.
[6]- التهانوي، المرجع نفسه، ص ص 99 – 100.
[7]- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، المرجع السابق، ص 490.
[8]- المحبي، المصدر السابق، ج 1،ص 333.
[9]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 22.
[10]- الجبرتي، المصدر السابق، ج 1، ص 597 . 600.
[11]-المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص234.
[12]- البيطار، المصدر السابق، ج 1، ص

وللإجازة شروط، حيث يلازم الطالب شيخه في علم ما، وبعد أن يتحقق الشيخ من كفاءة طالبه، يختبر معارفه فيجيزه [1]، وكان بعض الشيوخ المتشددين في منح الإجازة لا يعترفون بالإجازة المطلقة أو بالمراسلة، فلا بد من القراءة على مجموعة من الشيوخ أمثال: **محمد الشوبري** والشيخ **شهاب الدّين القليوني**[2]، في المقابل هناك بعض المشايخ من تساهل في منحها، فكان الطالب لا يتم يتم قراءة الكتاب على شيخه فيجيزه بكلّ كتبه، وهذا ما حدّث مع العالم **محمد الحسني الدمشقي** الذي سمّع بعض صحيح البخاري عن الشيخ الميداني فأجازه إجازة عامة[3].

1) السماعات:

أو الإجازة بالمشافهة[4] وهي شهادة تدلّ على أنّ الطالب حضر الدّرس، ويكتب الشيخ في آخر الكتاب أسماء الذين سمعوا عليه الكتاب والمواضيع التي فاتت الطالب، وهي في الحقيقة لا تعني شيئا[5].

2) الإجازات الخاصة:

تخص علما من العلوم، فعندما يشعر الطالب بتمكّنه في كتاب ما أو علم من العلوم الدّينية، يتقدّم الطالب للشيخ يمنحه في المكاتب المقرّر له، فيفتح صفحات في مواضيع مختلفة من الكتاب ليقرأه، فإذا مضى دون تعثم، استدل بحفظه ويكتب له الشيخ إجازة على ورقة صغيرة[6].وهذه الإجازة الإجازة تكون في عرّافة الكتب، أو في أحد العلوم الدّينية كحفظ القرآن الكريم وتجويده والفقه، الحديث، الفرائض إلى غير ذلك ، وحتى الطرق الصوفية، فقد أورد لنا **المرادي** في ترجمة العالم **علي الغزي** أنّ الشيخ **عبد الغني النابلسي** أجازه إجازة حافلة وألبسه الخرقة القادرية[7]، كما نظم الشيخ **عبد القادر النابلسي** كذلك أبياتا حين أجيز الفقيه **عبد الغفور الجوهري** من الأستاذ الشيخ **محمد المزطاري المغربي** في الطريقة الشاذلية فقال:

إنّ هذا المجار عبد الغفور — في طريق للشاذلية نور
أسعدته إجازة من مجيز — في مراقي ذوي التقى مشهور
زاده الله هبة و كمالا — وحباه بفضله والأجور

---

[1]- المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص 125.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 11.
[3]- المحبي، المصدر السابق، ج 4، ص 125.
[4]- عبد الله فياض، المرجع السابق، ص 21.
[5]- جميل نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 395.
[6]- نفسه، ص ص 395 – 396.
[7]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص 216.

وحماه من كلّ سوء و شر وعليه وإلى كثير السرور[1].

وهناك نماذج أخرى، أجيزت في الفرق الدّينية لك**حسن المرادي** و**جرجيس الإربلي**[2].

وقد حرّص العلماء على إتقان الخط العربي الذي وصل في هذه الفترة إلى مستوى فنّي رفيع،وأضحى الخطاط عالما وفنانا في آن واحد، لأنّ الخط استخدم كفن تزييني عند المسلمين بأشكاله المتنوعة[3] هذا من جهة، ومن جهة أخرى عدّ مصدر كسب يؤهل أصحابه لنيل منصب كاتب ولقب ولقب (خط جكان)ليعمل في دوائر الدولة[4].

3) الإجازة العامة:

هي إجازات تشمل جميع العلوم الدّينية آنذاك وكل العلوم المساعدة (علوم اللغة العربية) لفهم معاني القرآن الكريم، وهذه الأخيرة يمكن أن تؤخذ بشكل شفهي أو كتابي أو بالمراسلة مع الشيخ المجيز المطلوب أخذ الإجازة منه قد تفانى علماء دمشق في القرن **12**هـ / **18**م في الحصول على الإجازة العامة من العلماء البارزين في المدينة وخارجها، لأنّ من شأنها «أن ترفع قدر الحاصل عليها»[5]، فها هو العلامة **يوسف الغزي** يمدح من قبل العالم **عبد الغني النابلسي** في إجازته راية يقول فيها:

وقائلة والدّمع مني غزيرة يشابه حان الدجور انهماله

عليك ببكريّ يسرّك وجهه وأن كنت محتاجا يفيدك ماله

له رتبة في ذروة الفضل سمت فيا ليت لي يا صاح فينا كماله

إليك عظيم الوجد أشكو سيدي فبالله خبرني فديتك ماله

أراك الذي الدّنيا غياثا لأهلها وللدّين يا ابن الأكرمين كماله[6].

ومن رجال العلم الذين نالوا الإجازات العامة، عندنا العالم **أحمد الباقاني** الذي أجازه الشيخ **عبد الغني النابلسي** في البيضاوي وصحيح مسلم، الشمائل[7]، و**عبد الرحمن البعلي** الذي أجيز في في دمشق من طرف **محمد المواهبي** والشيخ **عبد القادر التغلبي** في العلوم الدّينية[8]، وهناك غيرهم

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 30.
[2]- الملحق رقم (03)، ص 172 .
[3]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 356.
[4]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 396.
[5]- نفسه، ص 396.
[6]- المرادي، المصدر السابق، ج 4، ص 239.
[7]- نفسه، ج 1، ص 191.
[8]- نفسه، ج 2، ص ص 304 – 305.

من النماذج منحت شهادات عامة [1]. عندنا أيضا العلامة **بدر الدين القدسي** الذي أجازه علماء مصر بالمراسلة وعلماء دمشق بقراءة الحديث والتفسير وسائر العلوم النقلية العقلية.[2]

في الحقيقة **المرادي** في مؤلفه، ذكر عدد كبير من العلماء نالوا الإجازات، في المقابل حدّد العدد القليل في نوع الشهادات الممنوحة إن كانت خاصة أو عامة، فهو يكتفي بالقول: « أجاز له الأستاذ...»[3]، أو يقول : « أخذ عنهم و أجازوه.» [4] أو « أجازه بجميع مروياته.» [5] وغيرها. ولم يذكر في ثنايا كتابه أنموذجا عن إجازة مدوّنة، فارتأينا أن نقدم مثالا عن إجازة علمية مكتوبة لصاحبها **عبد الرزاق البيطار** في مؤلفه **حلية البشر** هذه الشهادة منحها شيخ الأزهر **حسن بن محمد العطار** لـ**حسن البيطار** في **1227هـ/1802م**جاء فيها: « بسم الله الرحمن الرحيم...أحسن ما يقدّمه السائل في مقاصده و يلزمه في مصادره و موارده حمد الله بأعظم محامده...أما بعد: فإنّ الشاب الفاضل الأديب العالم الشيخ حسن بن الشيخ إبراهيم البيطار... قد حضر عندي فيما حضرت إلى الشام جميع دروسي التي قرأتها بالتمام حضور تدقيق ودراية غير أنه قد حضر تلاوة قليل من الأحاديث الشريفة عن طريق الرواية ثم استجازني بما تجوز لي روايته فتمعنت قدر الإمكان واعترفت بأني لست من أهل هذا الشأن، وعندما ألح علي استخرت الله و أجزته بمطلوبه ومرغوبه، أسعفته تجوز لي روايته و تسند لي درايته من أشياخي الذين اقتبست أدوارهم واغتنمت أسرارهم ومنهم و الله الحمد عدد كبير كل له قد خطير فمنهم العلامة الشيخ أحمد بن يونس والشيخ عبد الرحمن المغربي...»[6].

ومثل هذه الإجازات المكتوبة من شأنها أن يشعر صاحبها بالاعتزاز والتباهي أمام الأصحاب، فيكون لصاحبها تأثير معنوي إيجابي على نفسيته، وعليه الطريقة التي تكتب بها الإجازة تكون بإتباع خطوات أهمها البدء بالبسملة والحمدلة، ثم الثناء على المصطفى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، يليها مقدمة في أهمية العلم والأسباب الداعية لمنح الإجازة وذكر اسم الطالب ومدحه، ثم يذكر سند العلم الذي أجيز فيه، ثم يذكر أسماء المشايخ الذي حصل منهم المعرفة، ويصل بالسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في العلوم الدّينية، ثم يذكر الكتاب والكتب التي أجيز فيها، وقد

---

[1]- الملحق رقم (03)، ص 172.
[2]- المرادي، سلك الدرر،ج2، ص 3.
[3]- نفسه، ج 2، ص 141.
[4]- نفسه، ص 117.
[5]- نفسه، ص 326.
[6]- البيطار، المصدر السابق، ج 1، ، ص ص 290-291.

تكون في علوم شتى، ويأذن للطالب بروايتها أو تدريسها، ثم يقدم النصح له ويدعو له بالتوفيق، وينهي الإجازة بالصلاة والسلام على أفضل خلق الله النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر اسمه وتاريخ توقيعه الإجازة، وكثيرا ما يمدح نسب الطالب إذا كان عالما أو من بيت علم[1].

لقد تحدثنا سالفا، عن مدى حرص العلماء على نيل الإجازات داخل دمشق وخارجها، ومن المدارس التي التحق بها رجال العلم هي مدارس اسطنبول التي كان أغلب تحصيلها المعرفي ديني يضاف إليه تحميل في ألسن اللغة كالفارسية والتركية، هذه المؤسسات التعليمية كانت تمنحهم درجات معينة تؤهلهم للحصول على وظائف مختلفة[2].

وبدءً من النصف الأول من القرن **12هـ/18م** كان ترتيب الدّرجات في مدارس اسطنبول كالآتي: « **ابتداء الخارج (ابتداء خارج)، والخارج الثاني، وابتداء الداخل (ابتداء داخل)، والداخل الثاني، وموصلة الصحن، والصحن، وابتداء الستينية (ابتداء آلتمشلي) والستينية الثانية وموصلة السليمانية، والسليمانية** »[3].

مؤلف **سلك الدرر** زاخر برجالات العلم الذين نالوا درجات علمية من اسطنبول أمثال العالم **محمد سعدي الدمشقي** نزيل دار الخلافة الذي دخل طريق العلماء ولازم قاعدتهم وطريقهم، وأعطي قضاء بغداد ثم قضاء اسكدار، رتبة قضاء المدينة المنورة [4]. وقد قام الشيخ **صادق الخراط** بنظم أبيات لمدح العالم **عبد الرحمن القاري** مهنيا إياه بمناسبة نيله رتبة مدرسة الداخل المتعارفة بين الموالي الرومية فقال:

با ابن الأكارم والأفاضل	يا واحدا ملك الفضائل
يا مفرد إلا وصاف وال	الطاف يا حسن الشمائل
يا من رقي رتب المعا	لي الغر عن إرث الأوائل
آباؤه الأمجاد من	ملكوا الفخار ولا مجادل
ورقوا على هام العلا	واستوطنوا تلك المنازل
يهنيك قد وافت لك	العلياء ترفل في غلائل[5].

[1]- الجبرتي، المصدر السابق،ج1، ص 447 وما بعدها.
[2]- نعيسة، المرجع السابق، ج 2، ص 397.
[3]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 461.
[4]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص 28.
[5]- نفسه، ج 2، ص 284.

من خلال دراستنا لأهم العلماء الذين أخذوا الإجازات في مدارس اسطنبول، استطاعوا بهذه الدّرجات العلمية نيل وظائف في دوائر الدولة العثمانية أو في دمشق أو خارجها، وحتّى في الأقاليم العربية الأخرى، شملت خاصة سلك القضاء والإفتاء، التدريس، مثل **أحمد الكواكبي** الذي كان مفتي الحنفية بحلب ثم لما حاز رتبة السليمانية شغل قضاء القدس الشريف وأزنيق، طرابلس الشام [1]، وتولى **خليل الفتال** قضاء عكة على طريقة التأييد[2]، ومن هذا القبيل يوجد الكثير من النماذج. قد وليّ السيد **عبد الرحيم أبي اللطيف** قضاء صفد بعد أخذه رتبة موصلة السليمانية [3]، كما عمل كلّ من **رحمة الله الأيوبي** في التدريس[4] و**السيد أحمد الصمادي**[5] و**عبد الرحمن السفرجلاني**[6] في في حين وظف العالم **عبد الرحمن الكيلاني** كنقيب على الأشراف [7]. و شغل كلّ من الشيخ **إسماعيل المنيني**[8] و **حامد العمادي**[9] وظيفة الإفتاء، وما يمكن قوله في هذا الموضوع، هو حرص رجال العلم لتحصيل المعرفة من مدارس اسطنبول لنيل مقام رفيع، يمكّنهم من نيل وظائف في الدوائر الحكومية للدولة العثمانية أو في أقاليمها العربية التابعة لنفوذها. كما استطاع علماء دمشق تحصيل اللغات المختلفة أثناء تواجدهم بمدارس اسطنبول، حتّى هناك من نظم بها الشعر، وآخر ألف نثرا بها، ومن هؤلاء نذكر العلامة **صالح الحلبي** الذي دوّن شعرا باللغات الثلاث، وربما نظم باللغة الكردية والعبرانية والرومية، والشيء المميز في هذا العالم هو أنه كان ضليعا في الموسيقى وكتابة الأشعار حتى أجيز في هذا[10]، لكن **المرادي** هنا لا يذكر لنا من أجازه، ولم يذكر المشايخ الذين أجازوه ولا حتى في أي اختصاص. كذلك نجد **مراد المرادي** الذي تضلع في ألسن اللغات (العربية والفارسية والتركية)[11] والعلامة **حسن الحلبي** و**سعيد السعساني**[12].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص176.
[2]- نفسه، ج 2، ص 99.
[3]- نفسه، ج 3، ص3.
[4]- نفسه، ج 2، ص 115.
[5]- نفسه، ج 1، ص173.
[6]- نفسه، ج 2، ص 294.
[7]- نفسه، ص 294.
[8]- نفسه، ج 1، ص 241.
[9]- نفسه، ج 2، ص 11.
[10]- نفسه، ص 216.
[11]- نفسه، ج 4، ص 207.
[12]- نفسه،ج2، ص 36، 216.

في الأخير نستخلص إلى:

1- حرّص علماء القرن **12هـ/18م** لنيل الإجازات في العلوم الدّينية والعلوم المساعدة لفهم القرآن الكريم، وكلّ هذا لتمكين الرّسالة المحمدية في الأرض، وترسيخ القواعد الإسلامية بين المسلمين، وحماية الدّين الحنيف من كلّ عدو دخيل.

2- اهتم رجال العلم كثيرا في هذه الفترة لنيل الدّرجات العلمية في العلوم الدّينية والمساعدة لفهم المصحف الشريف من علماء بارزين، لي تمكنوا فيما بعد من تولى مناصب عالية في دوائر الدولة العثمانية أو في دمشق و خارجها وفي أقاليمها العربية الأخرى.

3- تنوعت أماكن نيل الإجازات العلمية التي كانت من محلات مختلفة، أولها من دمشق التي كان يجيز فيها رجالات العلم خاصة العالم الجليل **عبد الغني النابلسي** في العلوم الدّينية، وهناك مدن أخرى مجاورة لها كحماة، نابلس وغيرهما. كما سعى الطلبة لأخذ الإجازة من مصر، الحجاز...إلخ.

4 - قصد علماء القرن **12هـ / 18م**مدارس اسطنبول التي حصلوا منها العلوم الإسلامية إضافة إلى إتقان اللغات كالتركية والفارسية، ومنحوا درجات علمية تختلف عما نالوه في البلاد العربية عموما، ودمشق خصوصا، وجلّ هذه الرتب مكّنتهم من تولي مناصب خاصة في القضاء والإفتاء، التدريس.

5- اختلفت الدّرجات العلمية الممنوحة لرجال العلم في هذه الفترة، فينما اقتصرت الإجازات العلمية الممنوحة في البلاد العربية على إجازة خاصة وأخرى علمية، فإنّ في مدارس اسطنبول تنوعت بين رتبة خارج ورتبة داخل، موصلة الصحن، السليمانية التي كانت أعلى درجة، وهذا بعد التعديلات التي أحدّثت في النصف الأول من القرن **18م**.

6- الالتحاق بمدارس اسطنبول، كان يستوجب دراسة العلوم الدّينية، إضافة إلى تحصيل اللغات كالتركية والفارسية، وقد تضلع علماء القرن **12هـ/18م** بدمشق، وهناك من نظم بها شعرا، وألفوا بغير اللغة العربية.

المبحث الثالث: الإنتاج الفكري

1 – العلوم النقلية.

2 – العلوم العقلية.

أ– العلوم الرياضية

ب– العلوم التجريبية

3– الدراسات الأدبية والاجتماعية

*** الإنتاج الفكري**

ترجم لنا **المرادي** في مؤلفه **سلك الدرر** عن مختلف العلوم التي عرفها ذلك العصر، وقدّم لنا إنتاج فكري جادت به قريحة علماء القرن **12هـ /18م** الذي لم يقف عند حدود العلوم النقلية [1] الإسلامية، ولا حتى عند حدود العلوم الدّينية وإتقان اللّغات الثلاث بل تجاوز ليشمل العلوم العقلية [2] أيضا، فعالم هذه المرحلة كان موسوعيا له باع في الفقه وفروعه ومتمكّن من اللّغة العربية وآدابها، كما له يد طول في العلوم الدنيوية التي ألّف فيها العديد، وبهذا تظهر لنا الحياة الفكرية في صورة منسجمة في فنونها ;متناسقة في ألوانها تعكس لنا مدى تطور العلوم المختلفة بإنتاجها في تلك الحقبة.

1- العلوم النقلية:

أ- الفقه:

هناك إشارات عديدة إلى علم الفقه [3] ودارسيه وإنتاجه الثري، فقد ظهرت شروح ومؤلفات في هذا المجال على اختلاف المذاهب السنيّة الأربعة، و لما كان المذهب الحنفي الرئيس في الدولة العثمانية وعملت على نشره في أقاليمها، لكن مع ترك الحرية للمسلمين في تبنيه، ألّف المترجم **أحمد الحرستي** رسالة عن **الكواكب المضيئة في فرائض الحنفية** و**المنح السنية في فرائض الحنفية**[4]، وكتب العالم **عبد الفتاح التميمي** أيضا عن نفس المذهب مؤلفا بعنوان **الفوائد الفتاحية في فقه الحنفية**[5]، وفي الفقه الحنفي كذلك ألّف **إلياس الكردي** حاشية على الفقيه **لإمام أبي حنيفة**

---

[1]- **العلوم النقلية:** هي علوم ينقلها الإنسان عمن وضعها و تتوارثها الأجيال. ولا مجال للعقل فيها إلا عند إلحاق الفروع بالأصول، وتسعى هذه الأخيرة لشرح كتاب الله تعالى، كما ترتبط ببعض العلوم المساعدة. للمزيد انظر: رلى نبيه مخلوطة، علوم العمران والتربية والتعليم عند ابن خلدون، أطروحة ماجستير في الآداب (مرقونة)، إشراف: عدنان الأمين، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1998، ص 43.

[2]- **العلوم العقلية:** هي طبيعة في الإنسان من حيث أنه ذو فكر وهي غير مختصة بملة من الملل أو شعب من الشعوب فقط. وهذه الأخيرة موجودة منذ الأزل، وتتطلب جهدا فكريا وتقوم على العقل الذي يعد نورا روحانيا، فيه تدرك النفس العلوم الضرورية. للمزيد انظر: عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، تح: عبد الرحمن عادل بن سعد، ط 1، الدار الذهبية، القاهرة، دت، ص 537 وما بعدها وأيضا انظر: الفيروز آبادي: **قاموس المحيط**، ج4، ط3، الهيئة المصرية، 1301ه، ص 18.

[3]- **علم الفقه:** يسمّى بعلم الدّراية، وهو معرفة النفس ما لها وما عليها، والمراد بالمعرفة إدراك الجزئيات عن دليل، وما لها وما عليها يراد بهما ما تنتفع به النّفس وما تتضرر به في الآخرة، وتصرف الناس في اسم الفقه فحصوه بعلم الفتوى والوقوف على دلائلها وعللها. محمد علي التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم**، ج 1، تح: علي دحروج، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1996م، ص 40.

[4]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 81.

[5]- نفسه، ج 3، ص 42.

النّعمان[1]. ومن الفقهاء نجد أيضا العالم **أحمد العكّي** الذي جمع فتاوى سماها بلقبه **فتاوى ببطحيش** وله في الفقه **حاشية عن تنوير الإبصار بالفقه**[2] وترك المترجم **أسعد الإسكداري الفتاوى الأسعدية**[3] التي كان معوّل عليها كثيرا في بلاد الشام، وترك **حافظ الدين بن مكية شرح الملتقى بالفقه** و**منح الغفار**[4].

في الحقيقة ومن خلال اطّلاعنا على مؤلف **سلك الدرر** فقد وجدناه غزيرا بالمختصرات والشروحات وتعليقات في العلوم الدينية ولا يمكن حصرها كلها، فقد ألّف المترجم **السيد عبد الرحمن بن أبي اللطف** في الفقه **الفتاوى الرحيمية** وكتاب **منح الغفار** في نحو «عشرين كرارس» وأيضا **الفتاوى الخيرية من كتب الفقه** [5]. وترك لنا المفتي **مصطفى بن عبد الفتاح النابلسي** كتابا سماه **إرشاد المفتي إلى جواب المستفتي** وله رسائل في مهمات الفرائض [6] وألف المترجم **عمر البغدادي** مؤلفا بعنوان **شرح القدورى بالفقه**[7].

ما يمكن أن نقول، أنّ هذه الشروحات والحواشي والمختصرات ألّفها علماء ضليعون في اختصاص الفقه، حيث أنّهم استكملوا الناقص فيها وعلّقوا على فحواها بأساليبهم التي تناسب روح تلك الفترة.

ب– التفسير:

إنّ جلّ المصنفات التي ألّفت في تفسير [8] القرآن الكريم من طرف علماء الشام خلال القرن **12هـ/18م** عبارة عن حواشي وشروح وتلخيصات لتفاسير التفاسير السابقة خاصة **تفسير البيضاوي**، حيث وضع له المفسرين عدّة مؤلفات وأشهر هؤلاء نجد **الشيخ عبد الغني النابلسي** الذي ألّف تصنيفا عنونه بـ **تصنيف التحرير الحاوي بشرح تفسير البيضاوي** في ثلاث مجلدات [9]،

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 273.
[2]- نفسه، ج 1، ص 152.
[3]- نفسه، ج 1، ص 233.
[4]- نفسه، ج 2، ص 10.
[5]- نفسه، ج 3، ص 3.
[6]- نفسه، ج 4، ص 184.
[7]- نفسه، ج 1، ص 179.
[8]- **علم التفسير**: هو علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والأساليب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيّها ومدينها ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها. التهانوي، المرجع السابق، ص 31.
[9]- المرادي، المصدر السابق، ج 3، ص 32.

وترك المترجم **عبد الله بن محمد بن يوسف شرحا على البيضاوي ومسلم** أيضا[1]، وهناك مجموعة تعليقات على أماكن من تفسير **حاشية عن تفسير البيضاوي**[2]، أمّا العالم **محمد همات زاده** قام بتخريج أحاديث البيضاوي[3].

قد حاول مفسرو هذا العصر تقديم بعض التفاسير عن آيات القرآن الكريم فوقف المفسر **أبو المواهب الحنبلي** على سورة يوسف وألّف رسالة فيها تعليق لقوله تعالى: « **مالك لا تأمنا على يوسف**» ورسالة أخرى عن قوله عزّ وجلّ: « **فبدت لها** »[4] وفي نفس المنحى حاول العالم **الكواكبي** تفسير جزء النبأ لوحده[5]، وترك **حامد العمادي** رسالة في **الحوقلة في الزلزلة** وحاول تحديد الفرق بين التفسير والتأويل من خلال مؤلفه الذي سماه **التفصيل في الفرق بين التفسير والتأويل**[6]. وفي رسالة وضعها المفسر **عبد الكريم بن أحمد** حاول تقديم رسالة في قراءة سورة الكرسي، ناهيك عن كتب ألّفت في **تفسير المولى أبي السعود العمادي** [7] من قبل العالم **خالد العرضي الحلبي**. ومن المؤلفات التي سعت كذلك لتفسير معاني الكتاب المبين تفسير المفسر **محمد الضرير الإسكندري** الذي سماه **تفسير في منظوم القرآن الكريم** الذي ألفه في عشر مجلدات كاملة وانتفع الناس بتفسيره [8]. كما كان للمحقق **خليل الحمصاني** يد طولى في التفسير وكان يحل مشكلات البيضاوي[9].

وفي العموم، هذه التفاسير والحواشي المختلفة عملت على ترسيخ الدين الإسلامي في نفوس المسلمين وإن كانت عبارة عن إعادة تفاسير لمؤلفات سابقة، لكن نقلت المعاني الجليلة لآيات الكتاب المبين بلغة العصر وردعت كلّ لحن و دخيل من شأنه أن يحرّف القرآن الكريم.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج3 ، ص 88.
[2]- نفسه ، ج 4، ص 111.
[3]- نفسه، ج 4، ص 38.
[4]- نفسه، ج 1، ص 68.
[5]- نفسه، ص 176.
[6]- نفسه، ج 2، ص 12.
[7]- نفسه، ص 78.
[8]- نفسه، ج 4، ص 123.
[9]- نفسه، ج 2، ص 98.

ج- الحديث:

وردت عدّة تآليفات في **سلك الدرر** تتبعت السيرة النبوية الشريفة واهتمت بأحاديث [1] النبي صلى الله عليه وسلم حيث نجد **اختصار للسيرة النبوية**[2] ألّفه **أحمد الغزي** وفي نفس المسار ترك **أحمد السفاريني النابلسي** من خلال كتاب **معارج الأنوار في سيرة النبي المختار** وفيه زيادات وشرح لنونية الصرصري في السيرة [3]. ووضعت عدّة شروح خلال الفترة المدروسة شملت صحيح البخاري وشرح الأربعين النووية للإمام النووي، وألّف على هذا المنحى كلّ من العالم **أبو المواهب الحنبلي**[4] و**عبد الله بن الحملي** و**محمد حياة بن إبراهيم السندي** . وقد اشتهر الشيخ **إسماعيل العجلوني** في علم الحديث بمؤلفاته التي منها **حلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال** وقدّم شروحا مثل: **أسس الوسائل بشرح الشمائل** وله شرح صحيح البخاري سماه **الفيض والجاري بشرح صحيح البخاري**[5]، وترك لنا الشيخ **أحمد الكفيري** كتابا في الأحاديث سماه **إضاءة إضاءة النور اللامع فيما اتصل من أحاديث النبي الشافع**[6].

استطاعت هذه المؤلفات وغيرها اقتفاء سيرة سيّد الخلق وسرد أحاديثه الشريفة للاقتداء بها وصون الدّين الإسلامي من كلّ بدعة ومزلات.

د- القراآت:

نزل القرآن الكريم بعدّة ألسن عرفت بالقراآت [7] السّبع وهناك من وصل بها إلى عشر أو أربعة عشر[8] وبالفعل مؤلفات علماء القرن **12هـ/18م** كانت عبارة عن إعادة شرح القراآت ونظمها في وأضافوا ما يستحق الإضافة لتعميم الفائدة.

ومن أبرز العلماء الذين ألّفوا في هذا الميدان المترجم **أبو المواهب الحنبلي** الذي دوّن رسالة في

---

[1]- **علم الحديث:** يسمّى علم الرواية والأخبار والآثار، وهو علم تعرف به أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله. التهانوي، المرجع السابق، ص 36.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 117.
[3]- نفسه ، ج 4، ص 31.
[4]- نفسه، ج 1، ص 68.
[5]- نفسه، ص 261.
[6]- نفسه، ج 4، ص 42.
[7]- **علم القراءة**: هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن و موضوعه القرآن من حيث إنّه كيف يقرأ. التهانوي، المرجع السابق، ص 35.
[8]- المرادي، المرجع السابق، ج 3، ص ص 257 – 258 وج1، ص 227.

قواعد القراءة من طريق الطيبة[1] وترك العالم **محمد منير** الذي ذيع صيته شرحا سماه **شرح الطيبة ومنظومة في ورش** وشرحها وأخرى **رسالة في رواية حفص**[2]، كما ألّف **محمد الدكدكجي** شرحا بعنوان **طبية النشر في القرآت العشر**[3].

يمكن أن نقول، تمكّن علماء القرن **12هـ/ 18م**في علم القرآت من أمثال **محمد الدمياطي** الذي أخذ القرآت للسبع وللعشر [4] و**علي البدري** الذي برع في قرآت السبع والعشر والأربعة عشر من طريق الشاطبية والدّرة والطيبية والقباقبية من غير مراجعة[5] ومثله الكثير ورد ذكرهم في تراجم **سلك الدرر** الذين أسهموا في انفاع الطلبة والخلق الكثير.

هـ- علم الفرائض:

اهتم علماء هذا العصر بعلم الفرائض [6] الذي أُختص بتقسيم المواريث، فقد اشتهر لعالم الفقيه **أحمد الحرستي** الذي كان فرضيا حيسوبا وألّف في هذا العلم رسالتين سماهما: **الكواكب المضيئة في فرائض الحنفية** و**المنح السنية في فرائض الحنفية** [7]. ولا يقل العالم **عبد الرحمن بن عبد الرزاق** براعة في هذا المضمار فقد نظم فيه منظومة نحو أربعمائة سماها **قلائد المنظوم في منتقى فرائض العلوم** وشرحها شرحا كشف عن وجوه معانيها لم ينسج على منواله ونثرا سماه **نثر لآلي المفهوم شرح قلائد المنظوم** [8]. ولما كان **عبد الغني بن فضل الله** مشهورا بالفرائض فقد اتخذته الزراعات لمسح الأراضي [9]، أما الفقيه الفرضي **إبراهيم الصلحاني** فقد ترك شرحا سماه **فرائض ابن الشحنة**، كذلك أبدع المترجم **كمال الدّين البكري** الذي ألّف **الروض الرائض في علم الفرائض** نظمها وسماها **الدّرة البكرية في نظم الفرائد البكرية** [10]. وعليه اهتم علماء القرن **12هـ/18م** بعلم الفرائض لما له من أهمية في حياة المجتمع الدمشقي الدّيني والاقتصادي ونحو ذلك.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 1، ص 68.
[2]- نفسه، ج 4، ص 122.
[3]- نفسه، ص 26.
[4]- نفسه ، ج 4، ص 111.
[5]- نفسه ، ج 3، ص ص 257 – 258.
[6]- **علم الفرائض**: هو علم يبحث فيه عن كيفية قسمة تركة الميّت بين الورثة، وموضوعه قسمة التركة بين المستحقين، وقيل موضوعه التركة ومستحقوها. التهانوي، المرجع السابق، ص 42.
[7]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 81.
[8]- نفسه، ج 2، ص 267.
[9]- نفسه، ج 3، ص 38.
[10]- نفسه، ج 4، ص 14.

و– التصوف:

أبدى علماء هذا العصر اهتماما بالتأليفات الصوفية [1] على شكل رسائل نثرية ومنظومات شعرية وأذكار وأوراد ومواعظ وأخرى في المناقب الصوفية وفي الحكم والآداب والمدائح الدّينية [2].

وأكثر المؤلفات التي دوّنت في هذا الميدان كانت عبارة عن شروح وحواشي وتعليقات عن كتب السادة الصوفية كمؤلف **الفتوحات المكية لابن العربي** [3] وقد شغلت كذلك العلماء فكرة وحدة الوجود[4]. ومن المؤلفات التي دوّنت نجد رسالة **خليل المصري** في نظم التصوف بعنوان **دوام الراحات في اتخاذ الخلوات** تنوف عن حجم كراس، وكان مطلعها يقول: «دراجي من به التكميل المحيوي عبده خليل...»[5]، وكتب **مصطفى البكري** ألفية في التصوف وتسعة أجازير في علوم الطريقة، الطريقة، ودوّن **رشف قناني الصفا في الكشف عن معاني التصوف والمتصوف** وله **الصفا والمدام البكر في بعض أقسام الذكر** [6] وقد ترك **حسن البيتماني** ترجمة مختصرة في **سنّة تلقين الذكر**[7].

وهناك العديد من التراجم قدّمها **المرادي** في مؤلفه في هذا المجال مثل المترجم **إلياس الكردي**[8] **الكردي**[8] و**السيد شعيب الكيالي**[9] و**عبد الغفور الجوهري**[10] و**عبد الله الجوهري**[11]، لكن المؤلف المؤلف هنا لا يفصح عن مسميات هذه المؤلفات إنّما يكتفي بالقول: **"لهم رسائل في التصوف"**.

كما دوّن علماء هذه الحقبة مؤلفات في التصوف بحسب انتمائهم إلى الطرق صوفية التي انشرت في دمشق، فعمدوا إلى التدوين فيها وهذا ما قام به المترجم **محمد منير** في رسالته المسماة

---

[1]- **التصوف:** هو التخلق بالأخلاق الإلهية وخرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده لأمور منها : التحلي بزيّ المراد ليتلبس باطنه بصفاته، كما يتلبس بلباسه وهو لباس التقوى ظاهرا وباطنا. التهانوي، المرجع السابق، ص 456.

[2]- أوغلي، ج2، المرجع السابق، ص 337.

[3]- **ابن العربي (505-617هـ/1164- 1240م)** من كبار الفلاسفة الصوفيين المسلمين. انظر: أوغلي، المرجع السابق، ج2، ص 277.

[4]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 179.

[5]- نفسه، ج 2، ص 103.

[6]- نفسه، ج 4، ص 195.

[7]- نفسه، ج 2، ص 103.

[8]- نفسه، ج 1، ص 273.

[9]- نفسه، ج 2، ص 160.

[10]- نفسه، ج 3، ص 30.

[11]- نفسه، ص 89.

تحفة السالكين والآداب السنية لمريد سلوك طريق السادة الخلوتية [1] وأبدع أيضا العالم **عبد الرحيم بن شقيشقه** في نفس الطريقة في كتابه **هدية الله السنية في شرح ورد الخلوتية**[2].

هكذا كان فكر وعلم علماء القرن **12هـ/18م** الذي سعى فيه رجال العلم لتحصيله والتأليف فيه وكلّ هذا للحفاظ على الدّين الإسلامي من أيّ دخيل ولعلّ القصة التي أوردها **المرادي** في مؤلفه أكبر دليل على هذا الكلام، حيث أن العلامة **إبراهيم بن مصطفى الحلبي** توجه إلى مصر (القاهرة) من بلده لقراءة العلوم واستقام بها سبعة سنين مشتغلا وأتقن فيها المعقولات ثم توجه إلى بلده فسُئل عن المنقول فأظهر أنّه لم يحققه كما ينبغي فقالوا له:"احتجنا إلى المنقول أكثر من احتياجنا إلى المعقول" هذا الكلام جعله يسافر مرة أخرى إلى الحج عن طريق الشام أين وأخذ بها عن جماعة ثم قفل راجعا إلى القاهرة فأخذ المعقولات والمنقولات[3].

من خلال هذا العرض، نستشف الأهمية التي نالتها العلوم الدّينية في حياة العلماء الدمشقيين، فلا بد للعالم أن يتسلّح بما هو منقول أولا ثم يليه المعقول وهو مطالب بهذا، لأنّ مهام العالم هاهنا هو حماية الدّين الإسلامي وتسديد خطى المسلمين للصلاح والفلاح.

2- العلوم العقلية:

اهتم علماء الشام في القرن **12هـ/18م** بالعلوم العقلية التي شملت العلوم الرّياضية والعلوم التجريبية وفي هذا الصدد أورد **المرادي** جملة من العاملين الأفذاذ في حقلها وذكر تصانيفهم الكثيرة، وفي هذا تأكيد لوجود مثل هذه العلوم التي دأب العلماء على دراستها.

أ- العلوم الرّياضية

وقد ضمت "الحساب والهيئة والفلك والموسيقى".[4]

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 1، ص 122.
[2]- نفسه، ج 3، ص 11.
[3]- نفسه ، ج 1، ص ص 37– 38.
[4]- نفسه ، ج 2، ص 47.

* **الحساب:**

هناك إشارات عديدة إلى علم الحساب في **سلك الدرر** وإلى دارسيها والمؤلفين في مجالها مما يدل على نشاطها ومن الذين اجتهدوا في تحصيلها نجد العالم **أبو المواهب الحنلي** الذي قرأ الحساب على يد الشيخ **زين العابدين الغزي العامري**[1]، وقد برع الفقيه الفرضي الحيسوب **أحمد الحرستي** في الحساب[2] و كذا الأمر للفاضل البارع **حسين القصيفي** الذي كانت له اليد الطولى في الحساب[3].

ويظهر الاهتمام بالحساب أيضا في ترجمة **السيد عبد الوهاب الحلبي** حيث أتى فيها «قرأ الحساب [...]على السيد علي الباني »[4] والأمر نفسه وجدناه عند الفقيه الفرضي **عبد الرحيم الطواقي** الذي أخذ الحساب على الشيخ **عبد القادر التغلبي**[5] وهذا الأخير أخذ هذا العلم من عند الشيخ **محمد البلباني**[6]. وقد تمكن الإمام **عبد اللطيف المكتبي** في هذا العلم حين قيل عنه «له يد يد الطولى في العلوم لا سيما الحساب »[7]، وفي تعريف الفقيه **محمد النابلسي** أنّ « له باع في الفرائض والحساب »[8] وهذا ما يَنم على الاهتمام بمثل هذا الفن حدّ التمكن منه. وعمل العلامة **عثمان الشمعة** على الإقراء لإفادة العلوم بالجامع الأموي وعكف عليه نجباء الطلبة في كلّ فن من العلوم النافعة ومن العلوم التي درسها الحساب[9]. وفي الحديث عن **مصطفى اللقيمي** وتأكيدا للاهتمام للاهتمام بعلم الحساب حتى وصفه **المرادي** بـ«الحيسوب» وكان يتعاطى المقاسمات والفرائض والحساب وله رسائل كثيرة في هذا المجال مشهورة [10]، لكن المؤلف هنا لا يفصح عن عناوين هذه الرّسائل. وألّف المفتي **أحمد العكي** حاشية على نزهة النظار في علم الغبار في الحساب [11] وكان للفقيه **السيد أحمد البعلي** أيضا تعليقات في الحساب والفرائض[12].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 1، ص 67.
[2]- نفسه، ص 81.
[3]- نفسه، ص 48.
[4]- نفسه، ج 3، ص 146.
[5]- نفسه، ج 3، ص 10.
[6]- نفسه، ص 58.
[7]- نفسه، ص 119.
[8]- نفسه ، ج 4، ص 112.
[9]- نفسه، ج 3، ص 166.
[10]- نفسه، ج 1، ص 154.
[11]- نفسه، ج 2، ص 152.
[12]- نفسه، ج 1، ص 132.

في الحقيقة هناك أمثلة كثيرة تثبت عناية علماء ذلك العصر بالحساب الذي اقترن بعلم الفرائض، فجلّ التراجم التي وقفنا عندها يذكر **المرادي** ازدواجية العلمين في نماذج عديدة منها في ترجمة **أحمد السجّان** حيث يقول: «أخذ الفرائض والحساب »[1] و **درويش الملحمي**« قرأ الفرائض والحساب »[2] و **شعبان الصالحي**«قرأ الفرائض والحساب » و **عبد الرحمن الغزي** « برع في الفرائض والحساب »[3].

وعليه نقول، اهتم علماء هذه الفترة بفن الحساب، وإذا تساءلنا: لماذا اهتم هؤلاء بعلم الحساب؟ ولماذا اقترن هذا العلم بفن الفرائض؟ لوجدنا فن الحساب ذا صلة بحياة العامة في بلاد الشام، وبما أنّ علم الفرائض له علاقة بتوزيع التركات فعلم الحساب أساسه.

*** علم الهندسة:**

أبدى علماء هذا العصر اهتماما لدراسة علم الهندسة[4] ويتجلى لنا ذلك من خلال سعيهم الحثيث لمعرفة هذا العلم الذي اقترن كثيرا بعلم المساحة[5]. فقد جاء في ترجمة **خليل الموصلي** العلامة العلامة الماهر أنّه «قرأ الهندسة والمساحة»[6] وكان للعالم المحدّث **السيد سعدي بن حمزة** خبرة ومعرفة ومعرفة بالهندسة[7]، كما اهتم الإمام الفقيه **أحمد الراشدي** بالهندسة وأخذها عن أستاذه **شمس الدين محمد الغمري** [8]. وقد اقترن فن الهندسة بفن المساحة لما له من علاقة بالعمران، فهما متداخلان إذا تعلّق الأمر بالبناء والتشييد والمساحة والمدارس والقصور، ورغم عدم ذكر المؤلفات في هذا العلم إلاّ أنه عرّف إقبالا من قبل العلماء وهذا كلّه خدمة للأمة الإسلامية.

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ج 1، ص 26.
[2]- نفسه، ج 2، ص 107.
[3]- نفسه، ص 263.
[4]- **علم الهندسة**: هو من أصول الرياضي، وهو علم يبحث فيه عن أحوال المقادير من حيث التقدير على ما في شرح أشكال التأسيس.التهانوي، المرجع السابق، ص 58.
[5]- **علم الحساب**: هو علم تتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والأجسام، وما بقدرها من الخط و المربع والمكعب، ومنفعته جليلة في أمر الخراج وقسمة الأرضية وتقدير المساكن وغيرها .التهانوي، المرجع السابق، ص 60.
[6]- المرادي، المصدر السابق، ج 2، ص 98.
[7]- نفسه، ص 157.
[8]- نفسه، ج 1، ص 172.

*** علم الفلك:**

قدّم **المرادي** في تراجمه مجموعة كبيرة من رجال العلم ممن أولوا اهتماما وعناية بعلم الفلك ومدَّنا بعدّة مؤلفات ولعلّ حرص أولئك بهذه المعرفة ناتج أساسا عن ارتباط هذا الأخير بالتوقيت من جهة وبعبادات المسلمين من جهة أخرى، ناهيك عن علاقته بالأسفار والحياة اليومية العملية في المجتمع الدمشقي[1].

ويبدو واضحا إقبال علماء هذا العصر على دراسة علم الفلك من خلال حرص بعض العلماء لأخذه عن جملة من الأساتذة أمثال الفاضل الفقيه **السيد علي العطار** الذي درس علم الفلك على **الشيخ عبد القادر المغربي**[2] وكذا الأمر بالنسبة للإمام **خليل الموصلي** الذي درس الفلك أيضا[3]. أيضا[3]. ولما كانت العناية بهذا العلم قائقة فقد برز عدد من رجال العلم تمكنوا في هذا الميدان واشتهروا به، حيث ورد في ترجمة الفاضل **إبراهيم البهنسي** أنّ له «مشاركة في سائر الفنون وانتهى إليه علم الفلك [...] وكان له اليد الطولى فيه وعليه المعول به. »[4]. كذلك كان للعالم **عبد الله القدسي**« باع طويل في علم الفلك »[5] وكذا قيل نفس القول عن العلامة **عبد الرحيم المخللاتي**[6]. **المخللاتي**[6]. وتأكيدا لاهتمام **إبراهيم الحافظ** بفن الفلك فقد وصفه **المرادي** بـ**الفلكي**[7] أما العارف **محمد المنير** ترجم عنايته بهذا العلم بتأليف منظومة فيه وشرحها، كما قام البعض الآخر بتدريس هذا الأخير أمثال **السيد علي العطار**[8] و**عبد اللطيف المكتبي**[9].

وفي العموم أقبل رجال العلم في هذا العصر على دراسة وتحصيل علم الفلك، ثم التمكن فيه لدرجة التأليف في مجالاته لما له صلة وثيقة بالدّين الإسلامي حين يتعلّق الأمر بمواقيت الصلاة والسّفر للحج ولو أردنا أن نعقد مقارنة بين ما كان حاصل في الدولة العثمانية في القرن **12هـ/18م** وما كان يجري في بلاد الشام بخصوص علم الفلك، لوجدنا أن شيخ الإسلام بدار الخلافة أصدر فتوى خلال هذه الفترة (**10-11هـ/16-17م**)تحظر أي تجديد في العلوم العقلية. وأوقفت الكتب

---

[1]- أوغلي، ج 2، المرجع السابق، ص 347.
[2]- المرادي، ، سلك المرادي، ج 3، ص 202.
[3]- نفسه، ج 2، ص 98.
[4]- نفسه، ج 1، ص 9.
[5]- نفسه، ج 3، ص 89.
[6]- نفسه، ص 6.
[7]- نفسه، ج 1، ص 8.
[8]- نفسه، ج 3، ص 202.
[9]- نفسه، ص 119.

الفلسفية والفلكية والتاريخية على المكتبات [1]، في حين علم الفلك نشطت حركته كما رأينا سابقا في المجتمع الدمشقي.

*** علم الهيئة:**

أورد **المرادي** إشارات عديدة في تراجمه عن علماء اشتهروا بفن الهيئة [2] وتمكنوا فيه، لما له من صلة مباشرة ووطيدة بحياة المسلمين عامة لرصد تحركات التشكلات البدرية والهلالية ومعرفة الكسوف والخسوف. فمن الأمثلة التي جاءت تبرهن عن نشاط هذا الفن سيرة العلامة **إبراهيم البهنسي** الذي كانت له مشاركة في جمع الفنون على رأسها علم الهيئة [3].كما كان للعالم **أحمد الدمنهوري** باع في الهيئة وتفنن فيها [4] وأيضا ما أتى في ترجمة **حسين القصيفي** [5] وترجمة **محمد الريس** [6] اللّذان برعا في في علم الهيئة. وفي التعريف بالعالم **السيد علي العطار** أتى أنّه «كان بحلب يقرئ الهيئة» [7] مع العلامة العلامة **عبد اللطيف المكتبي** [8] وهناك العديد من رجال الفكر عرّفت أسمائهم في هذه الفترة.

وفي الحقيقة أنّ علم الهيئة تفرعت عنه فروع شملت: علم الزيجات والتقاييم [9] التي مهر فيها العالم العالم **إبراهيم البهنسي** واشتغل في عمل الزيجة وقصده الوزير **سليمان باشا بن العظم** لما كان واليا على صيدا ليضع له تقويما فصنع له ذلك [10]، أما العلامة **محمد العبدلي** فقد كان عارفا بالزيج [11] وتضلع

---

[1]-إينالجيك، المرجع السابق، ص 272.

[2]- **علم الهيئة :** هو من أصل رياضي نعرف به أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها وأبعادها بينها وحركات الأفلاك والكواكب ومقاديرها وموضوعه الأجسام المذكورة من حيث كميتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها. التهانوي، المرجع السابق، ص ص 61 -63.

[3]- المرادي، سلك المرادي، ج 1، ص 9.

[4]- نفسه، ص 117.

[5]- نفسه، ج 2، ص 47.

[6]- نفسه، ج 4، ص 590.

[7]- نفسه، ج 3، ص 202.

[8]- نفسه، 119.

[9]- **علم الزيجات والتقاييم** : هو علم تتعرف منه مقادير حركات الكواكب السيارة منتزعا من الأصول الكلية، ومنفعته موضع كلّ واحد من الكواكب السبعة بالنسبة إلى فلكه وإلى فلك البروج، وانتقالاتها ورجوعها واستقامتها. التهانوي، المرجع السابق، ص 62.

[10]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 9.

[11]- نفسه، ج 4، ص 125.

في الإسطرلاب [1]، كذلك شرح **عباس الوسيم**« علم الزيج في علم النجوم »[2].

أما فرع علم الميقات[3]، فقد ألّف مفتي عكا **أحمد العكي** محررا له سماه (الألفة الجيبية في علم الميقات)[4]، وتضلع في هذا الفن العلامة **أحمد الموقت** واشتهر به[5]. والأمر طبيعي إذا اهتم علماء هذا القرن بهذا العلم لأنّ منفعته تكمن في معرفة أوقات العبادات وتوخي جهتها أما الفروع البقية كـ: علم كيفية الأرصاد وعلم تسطيح الكرة وعلم الآلات الظلية [6] فلم يورد **المرادي** في مؤلفه نماذج عن دراستها أو حتى ممن ألّفوا في مجالاتها[7].

*** الموسيقى:**

اهتم علماء دمشق بالموسيقى [8] خلال القرن **12هـ/18م** في حدود ضيقة، لأن ثمة فريق من رجال الدين المتعصبين الذين اعتبروا الموسيقى من الأمور المفسدة، بينما فريق آخر من العلماء من لا يعتبرها تتعارض مع الدين وكان من بينهم **عليم الله الهندي** كان يسمع الآلات الموسيقية وعندما سئل عن حكم سماع الآلات أجاب أنها لا تحدث شيئا جديدا في القلب وإنما تحرك ما كان كامنا فيه. لكن لما عرض السؤال على المفتي **عبد الرحمن العمادي** فأجاب:" أقول قد حرمه من لا يعترض عليه لصدق مقاله و أباحه من لا ينكر عليه لقوة حاله فمن وجد في قلبه من نور المعرفة فليتقدم وإلا فالوقوف عندما حده الشرع الشريف أسلم والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم."[9]

---

[1]- **الإسطرلاب**:كلمة معربة عن اليونانية تتألف من مقطعين Astron وتعني نجم، و Lambahein وهي المرآة، أي مرآة النجوم . خالد العاني، **الإسطرلاب**، جمعية هواة الفلك السورية، من الموقع الإلكتروني www.Saaa-Sy.org. وأول من عمل الإسطرلابات بطليموس وقد عمل ابن خلف المرور وديا الإسطرلاب استجابة لطلب المأمون الذي أراد الرصد. انظر: ابن النديم: **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، ص 396.

[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 230.

[3]- **علم الميقات:** هو علم تتعرف منه على أزمنة الأيام والليالي وأحوالها وكيفية التوصل إليها . التهانوي، المرجع السابق، ص 63.

[4]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 152.

[5]- نفسه، ص 175.

[6]- نفسه، ص ص 63 – 64.

[7]- التهانوي، المرجع السابق، ص 63.

[8]- **الموسيقى:** صناعة في تأليف النغم والأصوات ومناسبتها وإيقاعاتها وما يدخل منها في الجنس الموزون و المؤتلف بالكمية والكيفية. والأصل فيها غريزة في الإنسان خلقتها له الضرورة والرغبة الباطنة فيه، بإخراج الأصوات على أنحاء مختلفة عند الانفعالات الحادثة في النفس، فتلتذ بها عند طلب الراحة أو تسكن بها الانفعالات أو تنمى، أو تكون معينة على تخييل المعني في الأقاويل التي تقترن بها . ولصناعة الموسيقى تحتاج إلى عدة علوم منها : علم اللغة والعلوم الطبيعية، الطب. للمزيد انظر: أبي نصر محمد بن طرخان الفارابي، **كتاب الموسيقى الكبير** ، تح: غطاس عبد الملك خشبه، مرا وتص: محمد أحمد الحفني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ص ص15- 18.

[9]- المرادي، المصدر السابق، ج2، ص 329.

وقد أراد **طاشبري** إثبات أن الموسيقى لا تتعارض مع الدين، حين قال أن ممارسة الغناء والموسيقى من الأمور التي توصل إلى علاقة مع الله تعالى، أما الرقص والموسيقى الذي يستخدم في إثارة الدوافع. هذا الرأي يجب منعه وهو أمر غير ديني.[1] وألف في هذا الصدد **أحمد الحلوي** رسالة رسالة في السماع المجرد بالآلات [2]، وتلاه الشيخ **عبد الغني النابلسي** في تأليف سماه **إيضاح الدلالات في سماع الآلات**[3].

نلاحظ أن قضية سماع الغناء والآلات عرفت جدلا كبيرا بين رجال الدين بين معارض للسماع بحكم أنها كفر بالله وبين مؤيد للسماع وممن تشكلت عندهم هذه القناعة راحوا يتضلعون في الموسيقى خلال هذه الفترة أمثال **صالح الحلبي** الذي كان أعجوبة زمانه، وله معرفة بالموسيقى [4]. كذلك **عبد الرحمن التاجي** الذي امتلك حسن الصوت وله دراية تامة في الألحان [5]، أما **محمد كوجك علي** فقد كانت له ألحان ناهيك عن إحاطته بالموسيقى.[6] وكان **عليم الله الهندي** تضرب في في حضرته الآلات ويسمع الإنشاد.[7]

وننوه هنا إلى أمر مهم هو أنّ دمشق وحلب تأثرتا كثيرا بالطريقة الصوفية الملوية التي جاء بها **جلال الدين الرومي** في قونية وقام أتباعه بنشر مذهبه الذي يقوم على الموسيقى والغناء في جميع البلاد العربية وصار جميع المنشغلين بالموسيقى من أصحاب الملوية [8]. وقد ارتبطت الموسيقى والألحان كثيرا بنظم الشعر، إذ التراجم التي اهتمت بهذا الفن في مؤلف **المرادي** كلهم نظموا الشعر وهذا ليس غريبا إذا علمنا أن الشعر والموسيقى من جنس واحد وهو التأليف والوزن والمناسبة بين الحركة والسكون. فكلاهما صناعة تنطق بالأجناس الموزونة، والفرق بينهما هو أن الشعر يختص بترتيب الكلام في معانيها على نظم موزون مع مراعاة قواعد النحو في اللغة. أما الموسيقى هي تختص بمزاحفة أجزاء الكلام الموزون وإرساله أصواتا على نسب مؤتلفة بالكمية والكيفية في طرائق تتحكم في أسلوبها بالتلحين.[9]

---

[1]- أوغلي، المرجع السابق، ج2، ص 277.
[2]- المرادي، سلك الدرر، ج1، ص 167.
[3]- نفسه، ج3، ص 30.
[4]- نفسه، ج2، ص ص 216-217.
[5]- نفسه، ص 285.
[6]- نفسه، ج4، ص 81.
[7]- نفسه، ج3، ص 260.
[8]- جميل نعيسة، المرجع السابق، ج2، ص 218.
[9]- الفارابي، المصدر السابق، ص ص 16-17.

ب– العلوم التجريبية

وشملت علمي الفيزياء والكيمياء [1] وهناك إشارة تدّل على وجود رجال علم اهتموا بهذا الميدان وإن كان علم البصريات لم يلق اهتماما كبيرا في القرن **12هـ/18م** ولم يذكر لنا **المرادي** في مؤلفه ما يدل على وجوده في دمشق.

***علم الكيمياء:**

يبدو أنّ العلماء كان لهم في هذا العلم باع طويل، إذ استطاعوا أن يفرقوا بين **الكيمياء** باعتباره العلم الحقيقي وبين **السيمياء** التي تعني «تحويل المعادن إلى ذهب »[2]، وهنا ذكرت سيرة **أبو بكر الحزري** الذي كان شقيقه عارفا بالسيمياء [3]. وعلم الكيمياء الذي عمل به العالم **أحمد شاكر الجكواتي** نزيل دمشق أتلف فيه أوقاته وصرف فيه أمواله ولم يرجع عن علمه حتى وفاته، فألمّ به الفقر وضعف البصر وتراكمت عليه الأمراض، وقد لازمته جماعة من دمشق لطلب هذا العلم [4]. من خلال هذا الكلام، يبدو هذا العلم كان يحتاج إلى مال للقيام بالتجارب ناهيك عن بذل الوقت الكثير وربما حتى الوفاة، في المقابل نتائجه غير واضحة والعمل فيه يؤدي إلى الفقر والإصابة بالأمراض، هكذا ترجم **المرادي** العالم **الجكواتي** في تراجمه، ويمكن لمثل هذه النتائج جعلت العلماء يعزفون عن تعاطي مثل هذا العمل بشكل كبير.لكن ورغم هذه العوائق استطاع العلامة **أحمد الدمنهوري** أن يتلقى هذا العلم الذي تمكن منه[5]، وكذا الأمر بالنسبة لـ**عبد اللطيف الأطالسي** الذي الذي كان يجنح إلى علم الكيمياء [6]. وهناك تراجم أخرى أوردها **المرادي** كترجمة **محمد المالكي** و**صالح الحلبي** الذي ذكر بأنهما ادّعى علم الكيمياء، فجاء في الأوّل: «كان يدّعي أنّه يعرف الكيمياء »[7]، وفي الثاني:«كان يدّعي معرفة الكيمياء»[8] ولسنا ندري لما اتهمه بالإدّعاء لهذا العلم.

---

[1]- **علم الكيمياء**: هو علم يراد به سلب الجوهر المعدنية خواصها و إفادتها خواصا لم تكن لها، و الاعتماد فيه على الفلزّات كلها، مشتركة في النوعية، و الاختلاف الظاهر بينها و إنّما هو باعتبار أمور عرضية يجوز انتقالها و يجيء في الفن الثاني. التهانوي، المرجع السابق، ص 57.

[2]- إكمال الدين إحسان أوغلو، ج 2، المرجع السابق، ص 351.

[3]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 45.

[4]- نفسه ، ص 155.

[5]- نفسه، ص 117.

[6]- نفسه، ج 3، ص 127.

[7]- نفسه، ج 2، ص ص 216 – 217.

[8]- نفسه، ج 4، ص 61.

وجدير بالذّكر، يبدو أنّ علم الكيمياء علم جديد لدى علماء دمشق، أو على الأقل قديم لم يعيروه الاهتمام، لكأنّه يدرس بمحض الإرادة عند رجال العلم أو كهواية ويحتاج إلى أموال طائلة لأداء التجارب فيه ناهيك عنالوقت لتتحقق نتائجه وانعكاساته هي المرض والفقر ولهذا عزف عنه العلماء في دمشق، لأنّ كما هو ملاحظ الذي اهتم به هو نزيل دمشق وليس السكان الأصليين للمدينة ولم يقدم لنا **المرادي** مؤلفات في هذا الميدان.

أمّا في علم النبات، علماء هذا القرن لم يغفلوها، «فأحبوا ما كان أسلافهم قد قدّموه في حقليهما شرحا، وتلخيصا،وتحشية، وانتقاء»[1]، فقد اختصر العالم الصوفي **عبد الغني النابلسي** كتابا بعنوان "علم الملاحة في علم الفلاحة"[2].

– علم الطب:

في ميدان (علم الطب) [3] قدّم **المرادي** عددا من تراجم الأطباء في أقطار عربية متفرقة ومن القسطنطينية، فقد كان العالم **عبد الفتاح بن مغيزل** طبيبا بارعا ويراجع المرضى [4]، وكان **محمد عارف** القسطنطيني رئيس الأطباء في عهد السلطان **عبد الحميد خان** الذي اعتمد عليه في الأدوية والعلاجات[5]، وبرع في هذا المجال كل من العراقي **محمد العبدلي** [6] ونزيل حمص **عمر العنز** . وللتمكن من هذا العلم، كان أولئك الأطباء يتدارسونه على يد أساتذة أفذاذ ويطالعونه في المؤلفات، وفي هذا المقام نجد الطبيب **عباس الوسيم** الذي أخذ الطب عن الأستاذ **علي البروسوي** والطبيب السلطاني **عمر الشفائي** الذي طالع أغلب كتبه وكتب أخرى في الاختصاص [7]، كذلك الطبيب **عمر الريس** الغزي الأصل، أخذ الطب عن والده وتخرج عليه بذلك وبرع في علاج الناس[8].

وفي ملمح بسيط، ذكرت لنا بعض تراجم الأطباء عن العلاج الطبي في ذلك العصر، كاستخدام «الأدوية والمراهم والعلاجات»[9]، وفي واقعة ذكرت لنا نمط العلاج من داء أصاب **الشيخ**

---

[1]- أوغلي، المرجع السابق، ج 2، ص 352.

[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 33. ألّف "رضي الدين الغزي" كتاب " رسالة في البيان والصراحة بتلخيص الملاحة في الفلاحة " ثم لخصه "عبد الغني النابلسي " بهذا العنوان. انظر: أوغلي، المرجع السابق، ج2، ص 352.

[3]- **علم الطب:** هو علم بقوانين تتعرف منها على أحوال أبدان الإنسان من جهة الصحة وعدمها، لتحفظ حاصلة وتحصل غير حاصلة ما أمكن. التهانوي، المرجع السابق، ص 64.

[4]- المرادي، ، المصدر السابق، ج 3، ص 42.

[5]- نفسه، ج 4، ص 37.

[6]- نفسه، 125.

[7]- نفسه ، ج 2، ص 230.

[8]- نفسه، ج 4، ص 40.

[9]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص ص 34 – 35.

الشيخ قاسم البكرجي فأقده عينه الواحدة، فأمره الطبيب بشرب الدّخان خوفا على عينه الثانية فشربه للتداوي به[1]. أما في حالة الجروح فقد كان الطبيب **محمد الإسكداري** يغسل الجرح أولا ثم يعلّله بالأدوية[2]، وهناك بعض الأسقام لا يوصف لها دواء، مثل الطبيب **عبد الفتاح بن مغيزل** الذي أصيب بداء المفاصل، فنكّد عيشه وأفناه وصدق عليه قول القائل:

ومن حكم المولى التي تبهر النّهى طبيب يداوي النّاس وهو عليل.[3]

أمّا المؤلفات الطبية، فقد ألّف **عباس الوسيم** كتابا سماه **الدستور الوسيم**[4] وعنوانه بالكامل **دستور الوسيم في الطب الجديد والقديم** يقع في مجلدين، تناول في المقدمة موضوعات الطب الرئيسية، حيث وقف في الباب الأول على الأمراض العضوية وفي الثاني أمراض النساء والطفولة وفي الثالث الأورام والقروح وفي الرابع الأدوية الفردية والمركبة، أمّا في الخاتمة فقد قدّم لنا بعض النصائح الطبية وله مؤلفان في التركية: **وسيلة المطالب في علم التراكيب** و **طب كيمياوي جديد**[5]. كذلك قدّم الطبيب **عمر شفائي** مؤلفا سماه **الطب الجديد** في ثمانية مجلدات[6] والعنوان كاملا **جوهر جوهر الفريد في الطب الجديد** الذي رأى فيه أنّ الكيمياء جزءا من الطب، والمؤلف يتحدث في عمومه عن الأدوية المفردة والمركبة وطريقة تحضيرها وفعاليتها [7] وله مؤلف آخر سمّاه **منهاج الشفائي في طب الكيميائي** هو ترجمة تركية وأضاف عليه بعض الإضافات على الترجمة العربية. وتبدو مهنة الطبيب[8] تحمل من المعاني الإنسانية الكثيرة، لأنّها تتعلق بالأرواح التي أمرنا الله تعالى بالحفاظ عليها باعتبارها من مقاصد الشريعة الإسلامية، إذ نجد الطبيب **محمد الأسكداري** ما إن يحل الظلام حتى يخرج بما يحتاج إليه المرضى فيغسل لهم جراحاتهم ويعلّلهم بالأدوية ويطعمهم الطعام لشدّة نتنه وريحه وظل على طريقته عاكفا على الإفادة والاستفادة إلى أن توفي[9].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 31.
[2]- نفسه، ج 1، ص ص 34 – 35.
[3]- نفسه، ج 3، ص 42.
[4]- نفسه، ج 2، ص 230.
[5]- أوغلي، المرجع السابق،ج 2، ص 675.
[6]- المرادي، المصدر السابق ، ج 3، ص 172.
[7]-أوغلي، المرجع السابق، ، ج 2، ص ص 673 - 674.
[8]- **الطبيب**: اسم لمن يطلب و يداويداءاتهم، و من الواجب أن يكون متخرجا من إحدى الكليات المهمة، حائزا على الشهادات العالية بفنه، فيصبح حينئذ ذا شعور، يفحص المريض بعناية الدّقة، ويشخّص المرض بواسطة دلائل وأمارات مثبتة، ويعطيه علاجا موافقا. القاسمي، الصناعات، ج 2، ص 289.
[9]- المرادي ، المصدر السابق ،ج 4، ص ص 34 – 35.

3– الدّراسات الأدبية و اللغوية:

1– الدراسات الأدبية:

زخر القرن **12هـ/18م** بعدد هائل من الشعراء والأدباء الذين قدّموا لنا لوحة فنية غنية بالألوان الإبداعية، حملت في طياتها أغراض مختلفة في قوالب شعرية وأخرى نثرية شاعت في تلك الفترة.

أ– الشعر:

قدّم **سلك الدرر** فيض كبير من شعراء ألّفوا الكلام المنظوم بأساليب وقوالب متعدّدة وأهم ما تداول ذلك العصر هو:

*** المدح:**

شمل المدح شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث نظم الشاعر **حسن بن الحموي** شعرا رقيقا في المديح النبوي فقال:

ألاّ يا رسول الله يا أشرف الورى ويا من يرجى للمهمات والبلوى.

ومنها أيضا:

عليك صلاة الله ما غاسق دجى وما زال البدر في الأفق يستضوى

كذا الآل والأزواج والسحب كلهم ومن عن رضاهم لم أطق أبدا سلوى.[1]

ونظم الشاعر **حسين أفندي العشاري** لنفس الغرض حين قال:

محمد من له في كلّ مرتبة شماء رسم وأيات وآثار

مصباح فضل لذا تهدى الأنام به كأنّه علم في رأسه نار

بدرا ضاءت به الأكناف وابتهجت ففي مسالكها نور وأنوار[2]

وقد يكون المديح في الأعيان إذا ما تولوا وظائف جديدة، كالشاعر **خالد العرضي** الذي أثنى على قضاة حلب الشهباء فقال:

فكلّ ذي منقبة لو رأى سؤدده دان له قسرا

فإنه بكر الليالي إذا أتى بصنع تلقه بكرا

لو علمت شهباؤنا أنه يسعى إليها لم تطق صبرا

واتدرت تسعى لأعتابه والتمست من فضله العذرا.[3]

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 35.
[2]- نفسه، ج 2، ص 70.
[3]- نفسه، ج 2، ص 70.

في الحقيقة هناك عدّة شعراء برزوا في هذا الغرض مثل **أحمد بن عبد اللّطيف العمري** [1] و**إبراهيم القراحصارى**[2] و**حسين الزيباري**[3] و**مصطفى العلواني**[4].

*** الرثاء:**

وردت نماذج كثيرة في الرّثاء، فهناك من الشعراء من رثاه ولده، كما فعل ولد العالم **عبد الله القدسي** قال فيه:

يا عين سحي دماء و اندبي سندا كنز الوجود و بحر الخير و الرشدا
عبد اللّطيف الذي شاعت مكارمه حتى تناشدها الأصحاب ثم عدا.[5]

إلى أن يقول:

لله ما كان أحلى طيب مجلسه أيام دهر مضت في عيشه رغدا
قد فاق للناس طرا في محاسنه وساد في الناس فجرا زائد وندا
وكم مكارم أخلاق حبا هبها مولاي جلّ تعالى حاكما مدا
تفكروا يا أولي الألباب واعتبروا واندبوا جمعكم هذا الذي فقدا.[6]

وهناك قصيدة **السيد كمال الدّين البكري** الذي رثاه والده **مصطفى البكري**[7].

كما تمّ رثاء الأساتذة من قبل تلاميذهم وعدوا مناقبهم، ويظهر لنا ذلك في قصيدة **الشيخ خليل بن عبد السلام الكاملي** التي رثا بها العلامة **صالح الجنيني** فقال:

مالي أرى الدّمع في عينيك منسجما يا نفس ويحك رب العرش قد حكما[8]

إلى أن يقول:

بحر من العلم يلقى جوهرا رطبا حتى حوى الفضل يسمو في العلى قدما
إمام علم كما راضت موارده فاقت شمائله حتى سما كرما

❖

وكان ذخرا لطلاب الحديث حوى أعلى الأسانيد طرقا لا ترى سقما

---

[1]- المرادي، سلك الدرر،ج 1، ص 127.
[2]- نفسه، ج 1، ص ص 13 – 14.
[3]- نفسه، ج 2، ص 62.
[4]- نفسه، ج 4، ص 150.
[5]-نفسه، ج 3، ص 89.
[6]- نفسه، ج 3، ص 89.
[7]- نفسه، ج 4، ص 200.
[8]- نفسه ، ج 2، ص 209.

يا واحد العلم من فقه و من سنين جاءت من المصطفى تحلوا لنا الظلما.[1]

وردت قصائد في هذا المقام كـ**الجمال عبد الله الشبراوي** لأستاذه[2] و**حسين النخال** الذي رثاه رثاه جماعة من تلامذته[3] و**محمد الخليلي** الذي رثاه تلميذه العارف **السيد مصطفى البكري**[4].

وكان بعض العلماء الشعراء يرثون أصدقائهم وأحبائهم وقد قدمت لنا في هذا الصدد أبياتا عديدة مثل ما ورد على لسان الشاعر **عبد الله الطرابلسي** الذي رثاه العلامة **صالح المزور** فقال:

عل صالح يا قوم تبكي المنابر فقد همعت بالحزن منا المحاجر

به أفلت شمس الكمال فارعدت مصيبتنا و الحزن بالغم ماطر

إلى أن يقول:

لقد كتب بحرا في الفضائل والذكا خطيبا لبيبا نور علياك ظاهر

وقت بأعواد المنابر واعظا محسن بلاغ منه ناه وزاجر

عليك من الرحمن ألف تحية وروضاته ما ناح في الروض طائر.[5]

وعلى هذا المنوال نسج الأديب **سعيد السماني الدمشقي** لما توفي **أحمد الغزي**[6] و**أسعد البكري** الذي رثاه **الشيخ عبد الغني النابلسي**[7] و**السيد علي العطار**[8].

* **الغزل:**

نظم الأديب **محمد اللقيمي** شعرا رقيقا في العذار فقال:

لعب الهوى بعقولنا من أجل من سلب الرقاد بمقلة وسناء

الخدّ منه كجلنار أحمر والقدّ منه كصعدة سمراء.[9]

وقال الشاعر **السيد عبد الرزاق الجندي:**

ولم أنل من هواها غير أربعة فجع وولع وأخلاف وتبديل

فلا تدوم على حال تكون به تروغ في قولها والوعد ممطول

---

[1]- المرادي، سلك الدرر ، ص 209.
[2]- نفسه، ج 1، ص 183.
[3]- نفسه، ج 2، ص 83.
[4]- نفسه، ج 4، ص 97.
[5]- نفسه، ج 2، ص 207.
[6]- نفسه، ج 1، ص 118.
[7]- نفسه، ص 226.
[8]- نفسه، ج 3، ص 202.
[9]- نفسه، ج 4، ص 36.

❖

ضخم مقلدها عبل مقيدها لا يشتكي قصر منها ولا طول
همر جلّ مشيها والله صورها في خلقها عن نبات الفحل تفضيل
غلباء وجناء علكوم مذكرة عرمومة القد لا غنم ولا تعييل.[1]

ونظم أيضا الأديب **مكي الجوخي**في هذا[2].

* **الخمريات:**

نظم الشاعر **إبراهيم بن سفر** في الخمريات فقال:

ساقي الندامة بدالي بكأس خمر الدوالي
قديمة العصر تجلى صرفا بنور الجمال
وقال لي اشرب وعربد واصدح بها لا تبالي
شربت شربا هنيئا منه بدا ما بدا لي
حتى سكرت بحاني وما علمت بحالي.[3]

* **العتاب و اللّوم:**

ورد على لسان الأديب **مكي الجوخي** أبياتا في العتاب فقال:

لست أشكوا امتناعك عني يا من القلب حين عزّ الإياب
سوء حظي أنالني منك هذا فعلى الحظ لا عليك العتاب.[4]

وقال الشاعر **خالد العرضي**في هذا الصدد:

أيا من قد تحول عن ودادي وعهدي لا يحول ولا يزول
فديتك من غضوب ليس يرضى سوى روحي وذا شيء قليل
أيجعل أن تخيب فيك ضني وأنت الماجد الشهم الجليل
وكيف رضيت بي غيري بديل ومالي والهوى العذري بديل
على هذا تعاهدنا قديما أم الجاني الخؤون هو الجهول

❖

فمل واهجر وصد فلا اعتراض عليك و أنت لي نعم الخليل

[1]- المرادي، سلك الدرر،ج 3، ص 14.
[2]- نفسه، ج 4، ص 114.
[3]- نفسه ، ج 1، ص 32.
[4]- نفسه، ج 4، ص 135.

ولكني سأندب سوء حظي وما يجدي بكاء أو عويل
وكيف وكنت آمل منك حبا يدوم وصدق ودّ لا يحول
وكنت أظن أن جبال رضوى تزول وأنّ ودك لا يزول.[1]

وفيه الكثير من نظم فيالعتاب واللّوم كالشاعر **عبد الله اليوسفي**[2].

*** الاعتذار:**

في أبيات بعثها الأديب **محمد سعيد البغدادي** للشاعر البارع **عبد الله اليوسفي** يعاتبه فيها، فجاء رده مداعبا ومعتذرا.

أخا النباهة أجربت العتاب علي حكم التهكم هل أغراك إبليس
أم اعتمدت على فهم أراك فيه خلاف ما هو معقول ومحسوس
لو كنت مصطحبا للغش يلزم أن يكون منه ومدحي فيك محبوس
فإن عفوت عفونا حيث قابلنا منك الوداد وعم القلب تأنيس
لا زلت تسمو سماء الفضل في نعم وحيثما كنت محروس ومأنوس
ما امتاز ربع غرامي حين أرخه وبيت صدق مرامي فيك ملموس.[3]

*** الهجاء:**

نظم الشاعر **عبد الرسول الطريحي** أبياتا في هجو نفسه فقال:

عبد الرسول ابن الطريحي فتى بكلّ ما يحرم فعلا أحاط
قد شرب الخمر وداس الزنا وقبل المرد وغنى ولا طي.[4]

كذلك ينظم الهجاء في أعيان، فها هو الشاعر **السيد الفضل الله البهنسي** قال شعرا هجا فيه رئيس كتاب القسمة العسكرية بدمشق **السيد يحيى الجالقي**

تراه يمشي حبوا وذو ولع في أخذ قسمة الأبتام للقاضي
كأنه ظل شمس عند ناظره أو شبه طيف خيال في الكرى ماضي.[5]

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 2، ص 79.
[2]- نفسه، ج 3، ص 114.
[3]- نفسه، ج 3، ص ص 114 – 115.
[4]- نفسه، ج 1، ص 205.
[5]- نفسه، ج 4، ص 5.

*** التهنئة:**

كان الشعراء ينظمون الأشعار في المناسبات السعيدة لتقديم التهنئة والتعبير عن الفرح والسرور، وفي مثل هذا ألّف **مكي الجوخي** قصيدة بمناسبة العيد لصديقه **المرادي** فقال:

مولاي إني قد أتيك زائرا ومهنئا بالعيد في أيامه
تحيا وتبقى في سرور عائدا في طيب عيش في مدى أعوامه
ما بلبل الأفراح قام مغرّدا فوق الغصن الملذ في ترنامه.[1]

وقد هنأ الشاعر **مصطفى الترزي المولى العمادي** بمناسبة تولية منصب الفتوى فأنشده بقوله:

مولاي أنت أجلّ من حاز العلا بفضائل هي كالطراز المذهب
هنيت بالرّتب التي هي في الورى فخرا كوضع التاج يوم الموكب
هي منصب الفتيا الرفيع مقامها فوق السماك الشامخ العالي الأبي
دامت لك العليا ودام لك الهنا ما سار ركب في فيافي سبب.[2]

هناك أبيات قيلت في الورد وجماله من تنظيم الشاعر **خليلي الصديقي** فقال:

كأنّما ورد الرياض تميله أبدى النسائم بكرة و أصيلا
وجناب غلمان حسان أقبلت لتروم من أمثلها تقبيلا.[3]

وذكرت أبيات أخر عن الورد الجوري فقيل:

جارت ورود خدود. في أوجه كالبدور. فقلت لما تبدت. كزني نصيبي وجوري.[4]

وفي الورد أنشد الشاعر **أحمد شاكر الجكواتي** فقال:

أرى الوردان مرت به الريح فارسا من الشوك قد انضى حدود سيوف
ومزقنا أغصانه لا عتراكه وستر منه وجهه بكفوفه.[5]

وفي حب الوطن و وصف دمشق و مناظرها الساحرة قال الشاعر **إبراهيم الراعي**:

دمشق سادت من كلّ البلاد ولم ينكر لذا القول ذو عقل وتمييز
من بعض أوصافها في الحسن إن وصفت ثلوج كانون في أيام تموز.[6]

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج4، ص 135.
[2]- نفسه، ج 4، ص 171.
[3]- نفسه، ج 2، ص 95.
[4]- نفسه، ج 1، ص 37.
[5]- نفسه، ج 1، ص 155.
[6]- نفسه، ج 1، ص 37.

وهناك أغراض أخرى وردت في **سلك الدرر** في قوالب مختلفة كانت منتشرة في ذلك العصر منها:

– شعر التضمين[1]:

وجدت قصائد لا يمكن حصرها سنحاول عرض بعضها، فقد برع الأديب **إبراهيم الراعي** بقوله:

رشأ أدار الكأس ليلا بيننا من خمرة تحكي عصارة عندم
حتى بدا وجه الصباح فقال لي من عادة الكافور إمساك الدم.[2]

ومن ذلك تضمين الشيخ **عبد الغني النابلسي** حيث قال:

وشقائق النعمان حول الماء في روض أريض بالرّبيع متمم
هطل الندى فيه النظارة ممسكا من عادة الكافور إمساك الدم.[3]

كما نظم في التضمين كلّ من **حسن بن مالك** [4] و **حسن الموصلي** [5] و **خليل الصديقي**[6] و**السعيد عبد الكريم ابن حمزة**[7].

– شعر التخميس[8]:

كثر هذا النوع من الشعر في الشام، مثل قول **خليل بن علي البصير** مخمسا:

نأي الغزال الذي في القلب موضعه يا ليت أي الروض مرتعه
ناديته يا انكساري إذا أودعه يا راحلا و جميل الصبر يتعبه
هل من سبيل إلى لقياك يتفق.[9]

وقال أيضا الأديب **السيد علي المرادي** مخمسا.

أدر الزجاجة بالصبابة علني أن أنتشي طربا فحبك علني

---

[1]- **التضمين**: هو أن يضمّن الشعر من شيء من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء . الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 316.

[2]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 34.

[3]- نفسه، ج 1، ص 35.

[4]- نفسه، ج 1، ص 35.

[5]- نفسه، ج 2، ص 43.

[6]- نفسه، ص 93.

[7]- نفسه، ج 3، ص 79.

[8]- **التخميس**: هو ضرب من الشعر، يضيف فيه الشاعر لكلّ أربعة أبيات من شعر غيره بيتا في نفس المعنى. علواش، المرجع السابق، ص 274.

[9]- المرادي، المصدر السابق، ج 2، ص 102.

يا أهيفا أنا في هواه تفنني لا تخش سلواني عليك فإنني

عن رتبة العشاق لا أتزحزح.[1]

وغير هؤلاء كثيرون نظموا في هذا القالب مثل **عبد الرحمن البهلول**[2] و**حسين الموصلي**[3] و**محمد** و**محمد الدكدكجي**[4].

– شعر المعمى[5]:

أكثر شعراء دمشق خلال هذه الفترة نظموا في المعميات، وبرع فيه العلامة **إبراهيم بن مصطفى** وألّف **رسالة في المعمى**[6]، وكان للأديب **إبراهيم السفرجلاني** يد طولى في المعميات[7] حيث قال في في حيدر معميا:

يا نسيم الصبا إذا جئت نجدا و تيممت روضها المعطارا

حي دارا عنها تناءت غصون قد عهدنا ثمارها الأقطارا.[8]

ونظم **السيد مصطفى الصمادي** معمى في خال فقال:

حين زار الحبيب من غير وعد ورقيبي نأي و زال عنائي

لاح لاح عدمت رؤيته قد حاز قلبا بنقطة سوداء.[9]

وفي هذا قال أيضا **حسين البخشي**[10] و**عبد الحي الخال**[11].

– شعرالألغاز والأحاجيات[12]:

قيل هذا الشعر من باب التسلية وإعمال الذكاء، وبرز الأديب **أحمد السابق** بقوله ملغزا:

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 226.
[2]- نفسه، ج 2، ص 316.
[3]- نفسه، ج 1، ص 46.
[4]- نفسه، ج 3، ص 25.
[5]- **المعمى**: إنه صنع بيتا واحدا يخرج منه ألف اسم بطريق التعمية مع التزام تعدد الإيهام في كلّ اسم، وهذه الأنواع وإن انفرد كلّ واحد منها بأسلوب يخصه، إلا أنها ترجع إلى أصل واحد هو إبراز الكلام على خلاف مقتضى العبارة. المحبي، المصدر السابق، ج 2،ص 393.
[6]- المرادي، المصدر السابق، ج 1، ص 39.
[7]- نفسه، ص 15.
[8]- نفسه، ص 19.
[9]- نفسه، ج 4، ص 183.
[10]- نفسه، ج 2، ص 30.
[11]- نفسه، ج 1، ص 252.
[12]- **الأحجية:**هو أن يؤتى بلفظ مركب ويطلب معناه من تحليل لفظ مفرد. المحبي، المصدر السابق، ج 2، ص 393.

اسم الذي طرزت نظمي به أوله يسحر عقل الأديب

والثاني يا صاح عذار الذي أهواه والباقي دعاء الحبيب.[1]

وفي الألغاز قال أيضا **مصطفى اللقيمي** ملغزا في مشموم:

خماسي تركب من ثلاث حوت سبعا ولم يعرف سداسي

وكل قد تركب من ثلاث ثلاث منه فرد في الأساس

قد اتحدت بل افترقت ولكن بترتيب على وضع قياسي.[2]

وقد يأتي أيضا اللغز على شكل نثر كقول **سليمان السمان** حين قال:

« أخبروني يا جهابذة الروم وأنبئوني يا أساتذة المنطوق والمفهوم عن اسم ذي حرفين أولهما حسن زين وثانيهما كالقوس من غير مين ذنبه مقدم على رأسه في ترتيب حروف الهجاء وهو في الجمل على العكس جا رأسه مجوهر مسبع وذنبه مقوس مركع رأسه في ذنبه مذكور »[3].

أما في الأحاجي فقد ألّف **أحمد شاكر الجكواتي** الأديب الباع في الأحجيات والألغاز[4].

– الزجل والموشحات والمواليا:

هي الأشعار التي يغلب عليها الطابع العامي البسيط وتكون للأغاني، ومن أشهر الشعراء الذين نظموا هذا النوع في الشام هو **أحمد الكجي** حيث قال:

عدنا بوصل عسى تجدي المواعيد وأحسن لنا فبهذا تعرف الصيد

وأرفق بنفس قضت في راحتيك أسى مذ نابها منك تسويف وتنكيد

يا ظالما صدنا من بعد وصلتنا الحب ذنب لنا أم هكذا الغيد.[5]

كما برع **أحمد شاكر الجكواتي** في الزجل المشعر والملحون، وللأديب **علي الدباغ** موشحات[6] موشحات[6] من ذلك قوله:

لرؤية وجه المصطفى النور كله على حسب استعداد رائيه نورها

هي الشمس تعطي الشيء ظلا بمثله و إن قلت الجدوى فمنا قصورها.[7]

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 1، ص 182.
[2]- نفسه، ج 4، ص 159.
[3]- نفسه، ج 2، ص
[4]- نفسه، ج 1، ص 155.
[5]- نفسه، ج 1، ص 197.
[6]- نفسه، ص 155.
[7]- نفسه، ج 3، ص 234.

– شعر الدوبيت[1]:

قيل هذا الشعر قديما وحديثا، ومما يستجاد منه قول بعضهم:

عيني نظرت لنحو شاطئ بردا ظبيا نظم الحسن بفيه بردا

يا من بصدوده رماني بردى لو تسمح لي لهيب قلبي بردا.[2]

– التأريخ الشعري:

أكثر شعراء الشام من هذا الشعر خلال العهد العثماني، لأجل التأريخ للحوادث التاريخية أو في حالة الوفاة والزواج أو ولادة مولود، أو تشييد قصر أو مدرسة. ومن أمثلة ذلك نذكر: قول الشاعر **خليل الشهري المنجم** مؤرخا بشعره لوقعة العجم:

وذاك من بمن الوزير الذي خصصه الله بلطف أعم

قام لنا في حسن تدبيره وارهب لخصم بأعلى الهمم

وجال في عسكره جولة قيل الركن له وانهدم.[3]

كما أرّخ الشاعر **مصطفى البكري** لولد الشيخ **محمد كمال الدين** الذي كان في **1140هـ/1727م** فقال:

في ليلة الجمعة من أنصافها ثالث شعبان أتى غلام

وفيه بشرت قبيل ما أتى وبعده فسرّني الأنعام

ختام مسك قد حواه يفتدى فأرخوا محمد ختام

1041 792

سنة 1140 هـ[4]

وقال **مصطفى اللقيمي** قبل ساعات من وفاته:

قبرية من أوثقته ذنوبه و غدا السوء فعاله متخوّفا

قد ضاع منه عمره ببطالة و العيش فيه بالتكدّر ما صفا

---

[1]- **الدوبيث:** أوّل من اخترعه الفرس ونظموه الفرس ونظموه بلغتهم، ومعناه بيتان ويقال له الرباعي لأربعة مصارعيه، و قد اشتهر بإعجام داله وهو تصحيف، وهو ثلاث أقسام، يكون بأربع قوافي كالمواليات. المرادي، سلك الدرر، ج 3، ص 250.

[2]- نفسه، ج 3، ص 250.

[3]- نفسه، ج 2، ص 106.

[4]- نفسه، ج 4، ص 193.

ماذا ثوى قبر اللقيمي أرخوا مست منح للعفو أسعد مصطفى

229 135 216 091

سنة 1187 هـ[1]

وهناك الكثير من النماذج وردت حيث فنجد **مصطفى الترزي**[2]و**خليل بن علي**[3]و**خليل حداده**[4].

ب– النثر:

عندما نتحدث عن النثر في **سلك الدرر** فإننا نجد جلّ المنثور كان فقط شرحا للمنظوم، فكثيرا من الشعراء أمثال **مصطفى السفرجلاني**[5] و**حسين الغربل**[6] و**عبد الرحمن بهلول**[7] كانوا ينظمون ينظمون شعرا ثم يقومون بنثره، وسنختار نموذجا للناظم الناثر **عبد القادر البانقوسي** الذي وردت في ترجمته قصيدة قال فيها:

فدونكما كالعقد فيه زمرد ودر وياقوت يتيمنه عصما

ممتعة حوراء مقصورة لها جزالة ألفاظ حوت رقة المعنى

حكاية حال بل شكاية حاله ومن قبل قد قالوا ولا بد من شكوى.

ثم أتبعها بقوله نثرا: ((الجناب الأعظم والمقر الأشرف الأكرم بسط الله ظله الوارف وخار له في الظعن والإقامة وسر أولياءه بما أقدمه عليه من النعمة السابغة والسلامة واطلع من وجهه الوضاح على محبيه ما ينكشف به الظلام والظلامة.)) [8].ولكن لم يمنع هذا من بروز أدباء أمثال **أحمد الرسمي** الذي نثر مقامة سماها: **الزلالية البشارية فيما جرى بين ركبان الحادبة** وتشمل على أمثال كثيرة[9].

كما برع الأديب **أحمد الكيواني** في الكناية وكتب عدّة رسائل[10]، أما السيد **عبد الرحمن الكيلاني** الأديب فقد تفوق في البلاغة وله في الأدب [11]، و**أحمد المنيني** نثرا بديعا في بعض الموالي[12].

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج 4، ص 166.
[2]- نفسه، ج 4، ص ص 173 – 174.
[3]- نفسه، ج 2، ص 102.
[4]- نفسه، ج 2، ص 106.
[5]- نفسه، ج4، ص 112.
[6]- نفسه، ج2، ص ص23- 24.
[7]- نفسه، ص 313.
[8]- نفسه، ج3، ص ص53- 54.
[9]- نفسه، ج 1، ص 74.
[10]- نفسه، ص 103.
[11]- نفسه، ج 2، ص 297.
[12]- نفسه، ج 1، ص ص 137 – 138.

4- الدراسات الاجتماعية:

***علم المنطق:**

اهتم علماء القرن **12هـ/18م**بالمنطق[1] وصنفوه ضمن العلوم العقلية [2].ويتجلى لنا هذا الاهتمام الاهتمام من خلال الحرص على تحصيله في المدارس أو من خلال تدريسه وحتى التأليف في مجالاته. وقد أورد لنا **المرادي** أعلاما كثرا ممن درسوا المنطق كعلم من العلوم الأساس التي يجب أن تحصل في المدارس أمثال **أحمد الباقاني** الذي قرأ هذا العلم على الشيخ **عبد الرحيم المخللاتي الدمشقي**[3].و**عليم الله الهندي** الذي قرأه على الشيخ **محمد أفضل شاهيوربي** [4]و**عبد الكريم الداغستاني** الذي قرأ المنطق وتصوراته على المحقق **أبي الصبر أيوب الطاغستاني** والعلامة **عبد الكريم الديار البكري** و**الشهاب محمود بن عباس الكردي**[5]و**محمد المواهبي**[6].

وهناك من رجال العلم من قاموا بتدريسه مثل **أحمد الرسمي**[7]و**أبو الفتح العجلوني** [8]، أما الذين ألفوا في المنطق فكان **أحمد الدمنهوري** له شرح على سلم الأخضري في المنطق. [9]و**أحمد المدني** كذلك له شرح على ايساغوجي في المنطق[10]، وعندنا أيضا **مصطفى السفرجلاني** الذي ألف رسائل مفيدة في المنطق.[11] أما **عطية الله الأجهوري** ألف شرح مختصر السنوسي في المنطق[12]، لكن لم يصرح **المرادي** عما كان يدرس في المنطق ولا عن فحوى ما ألف في هذه الرسائل والشروح.

ولعل عناية رجال العلم بالمنطق يعود إلى قدرته كوسيلة للتمييز بين الصدق والكذب في الأقوال والخير والشر في الأفعال والحق والباطل في الاعتقادات ومنفعته تكمن في تحصيل العلوم النظرية

---

[1]- **علم المنطق:** يسمى علم الميزان إذ به توزن الحجج و البراهين، و هو علم بقوانين تفيد معرفة طرق الانتقال من المعلومات إلى المجهولات و شرائطها، بحيث لا يعرض الغلط في الفكر. انظر: التهانوي، المرجع السابق، ص 44.

[2]- المرادي، سلك الدرر ، ج4، ص 260.

[3]-نفسه ، ج1، ص 191.

[4]- نفسه، ج4، ص 260.

[5]- نفسه، ج3، ص 65.

[6]- نفسه، ص 51.

[7]- نفسه، ج1، ص 66.

[8]- نفسه، ص 65.

[9]- نفسه، ص 117.

[10]- نفسه ، ص 148.

[11]- نفسه ، ج4، ص 210.

[12]- نفسه، ص 260.

والعلمية[1] لهذا أوليَّ تلك الأهمية؛ لأنه في الأخير هو في خدمة الدين الإسلامي وفي خدمة العلوم النقلية ولماَ كان كذلك نظم الشاعر **محمد الصالحي** بيتان فيه فقال:

عليك بعلم المنطق البهج الذي يجلُ به الإنسان إن قام أو دعا
يقلد نحر الدَهر عقدا منظما ويلبس للأقطار تاجا مرصعا.[2]

*** علم الكلام:**

درس علماء هذه الفترة علم الكلام وحصلوه من المشايخ ومن بين هؤلاء نجد **حسنالبخشي**الذي أخذه عن شيخه **السيد محمد الطرابلسي** [3] والعلامة **حسين المصري** الذي كانت له مهارة في هذا الاختصاص. [4] أما المنطقي **علي الغزي** أخذه عن شيوخ متضلعين أمثال الشيخ **عبد الله بن زين الدين البصروي** وقريبه وأيضا ابن عمه **الشمس محمد بن عبد الرحمن**[5].

وقد ألف في علم الكلام العلامة **عبد الحليم الشويكي** رسالة رد بها على معاصره الشيخ **أبي الحسن العاملي الرافضي** في التأليف له وأودعه بعض الدسائس الرافضية [6] و**عمر البغدادي** ألف أيضا حاشية سماها **شرح النونية في علم الكلام للخيالي**[7]. وعموما هذه المؤلفات كانت عبارة عن شروح ومختصرات ألفت على مصادر سابقة.

ودراسة هذا العلم وتحصيله من شأنه أن يحفظ قواعد الدين من شبهة المبطلين، كما يسعى إلى ترقي ذروة الإتقان وإرشاد المسترشدين بإيضاح الحجة لهم وإلزام المعاندين بإقامة الحجة عليهم [8] ولذلك اهتم رجال الدين بهذا العلم.

***التاريخ:**

عرف التاريخ [9] حركة نشطة خلال هذا العصر الذي اقتصر على معرفة تامة في الأسماء والألقاب والوفيات والأنساب، وممكن يتجاوز الأمر إلى حفظ الوقائع. وفي الحقيقة وردت تراجم في

---

[1]- التهانوي، المرجع السابق، ص 46.
[2]- المرادي، المرادي، سلك الدرر ، ج4، ص 65.
[3]- نفسه ، ج3، ص 24.
[4]- نفسه، ج2، ص 26.
[5]- نفسه، ج3، ص 216.
[6]- نفسه، ج4، ص 254.
[7]- نفسه، ج3، ص 179.
[8]- التهانوي، المرجع السابق، ص 46.
[9]- **التاريخ:**في باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو ذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق . انظر: ابن خلدون،المقدمة، المصدر السابق، ص 6.

سلك الدرر عنيت بالتاريخ وأضحت لها اليد الطولى في هذا الاختصاص، حيث نجد **ابراهيم بن سليمان المنيني** الذي لشدة حبه للتاريخ لقبه **المرادي** بالمؤرخ الحافظ للوقائع التاريخية، ناهيك عن تمكنه من في معرفة الأنساب والوفيات [1]. ونفس الأمر نجده عند كل من **اليوسفي الحلبي** [2] و**علي الغزي**[3] ممن لهم دراية في أنساب العرب والرجال والتاريخ.أما المؤرخ **علي الدباغ** فقد ألف شرحا على على البخاري وصل في إلى الغزوات [4]والمؤرخ **زين الدين بن سلطان** الذي زاد أشياء في تاريخ لإمام **جمال الدين محمد بن عزم المغربي** نزيل مكة المكرمة.[5]

في العموم التاريخ في هذه المرحلة لم يتجاوز حد المعرفة بالأنساب وأسماء الرجال والمواليد والوفيات ونحو ذلك، لكن الحركة التاريخية التي نشطت بصفة خاصة هي (مدرسة التراجم) التي تميزت بها بلاد الشام بالذات بإحاطتها بتراجم من العالم الإسلامي بأسره لا من الشام فقط وهذا فيه دلالة على الوحدة الإسلامية.[6]

وعليه نقول، ارتبطت العلوم الشرعية بعلوم اللغة العربية وفنونها، ذلك أنّها تمثل لغة القرآن الكريم، من هذا الباب حرص العلماء على دراستها والإبداع في مجالاتها لأجل فهم معاني الدين وترسيخ اللغة العربية الأصلية البعيدة عن كلّ ملحون ودخيل أعجمي خاصة مع انتشار اللغتين التركية والفارسية في بلاد الشام.

في الأخير نقول، اتسم الإنتاج الفكري في بلاد الشام خلال القرن **12هـ/18م** في عمومه بسمة الإنتاج الفكري الديني الإسلامي، يليه إنتاج فكري لغوي أدبي، ثم يأتي إنتاج لا بأس به في العلوم العقلية، وإذا تساءلنا عن مصوغات هذه الحركة الفكرية الدّينية في هذه الفترة وبهذه السمة، لوجدنا نشاط التيار الديني السني في هذه المرحلة، وذلك لعدّة اعتبارات كـ: « تمكين لأصول الدّين الإسلامي في النفوس وحماية الدّين من البدع، ونشر السنة ودعمها في وجه التيارات الدّينية والمذهبية الأخرى كالتيار الشعبي مثلا، أو الصوفي الشعبي المنحرف... »[7]. نتيجة لهذه العوامل وغيرها، عرّف

---

[1]- المرادي، سلك الدرر، ج1، ص 7.
[2]- نفسه، ج2، ص 120.
[3]- نفسه، ج3، 215.
[4]- نفسه، 233.
[5]- نفسه، ج2، ص 120.
[6]- أوغلي ، المرجع السابق، ، ج2، ص 353.
[7]- ليلى الصباغ، أعلام الفكر، المرجع السابق، ص 21.

هذا القرن كمًا كبيرا من المؤلفات الدّينية التي كانت في عمومها عبارة عن شروح ومختصرات، تعليقات وحواشي على مصادر سابقة.

وإذا تساءلنا عن كثرة العلوم اللّغوية الأدبية لكانت أيضا لخدمة الدّين الإسلامي والخوف عليه من الخرافات والبدع ودلالة على حب الإسلام والخوف عليه، فعلى الذي أن يكون عالما لا بد عليه من إتقان اللغة العربية ليفهم معاني وآيات القرآن الكريم، ولا يتأتى له ذلك إلاّ إذا استوعب اللغة العربية بعلومها المختلفة (النحو والصرف والبيان...)، لذلك راح أولئك العلماء يتطلعون لفهم المفردات والعبارات لتمكين الدّين الإسلامي في الأرض وحماية لغة الضاد من أي لحن أو دخيل.

لكن إذا تساءلنا عن عزوف أغلبية علماء هذا القرن **12هـ/18م** عن العلوم العقلية التي كانت دراستها من طرف رجال العلم كاجتهاد شخصي، لوجدنا الهاجس المخيف عندهم، هاجس الخوف من كلّ جديد، ليس عند أولئك العلماء فقط، بل حتى عند المجتمع بجميع فئاته، هو الخوف من الخروج عن تعاليم الإسلام، إنّه التصلب في مقابل غلق باب الاجتهاد في الدّين، لذلك تخلى رجال العلم عن مثل هذه العلوم التي من شأنها أن تحمل لهم مفاهيم ومضامين جديدة تجعلهم ينحرفون عما هو منصوص عليه في الكتاب العزيز.

الخاتمة

لقد تناولنا في هذا البحث بالدّراسة والتحليل موضوع الحياة الفكرية في بلاد الشام في القرن **12هـ/18م** من خلال كتاب **المرادي سلك الدرر**، والذي يقرأ هذا المؤلف يرى بأنه لم يكن كتابا للتاريخ فقط، إنّما عكَس لنا كتبا أدبية تضم تراجم الأدباء من جميع أصقاع العالم الإسلامي، وأحيانا يتضمن أخبارهم ونوادرهم، كما أعطى لنا نماذج قيّمة عن أشعارهم ونثرهم والتمكن بالتالي ربط الماضي بالحاضر، حيث عكس لنا بالفعل الحياة الفكرية في تلك الحقبة الزمنية بمنطقة الشام، وبالتالي أفادتنا هذه الدّراسة في معرفة المكانة التي احتلها العلم في المجتمع الدمشقي، فمن خلال مؤلف **سلك الدرر** يظهر لنا مدى الاحترام الذي اكتسبه العلماء انطلاقا من ممارساتهم داخل المجتمع، إذ لعبوا دور الوسيط بين الحاكم والرّعية، ناهيك عن منحهم الامتيازات وإغداقهم بالعطايا، وما **المرادي** بكتابه إلاّ نموذجا خصّه لتراجم رجال العلم تبجيلا لهم، وفي هذا دلالة على مدى تفوق العلماء على الحكام والعسكر في حدّ ذاتهم، والأمر سيان بالنسبة للعامة الذين عظّموا هذه الطبقة وأولوها الاهتمام، وانضووا تحت لوائها، فهم ورثة الأنبياء في الأرض.

كما مكنتنا هذه الدّراسة من تقديم لمحة عن المحيط الثقافي بدمشق إبان الفترة المعنية بالدراسة الحكم العثماني **12هـ/18م**، الذي عدّه **أكمل الدّين إحسان أوغلي** مرحلة انتقالية سارت بخطوات ثابتة ومعتادة سواء كان ذلك في ميدان التعليم أو التعلم، أم في ميدان العلوم الدّينية وعلوم اللغة، حتى العلوم العقلية ومختلف المؤلفات.

وبالفعل فهذه الحقبة كانت غزيرة بالعطاء الفكري الذي تلاءم وروح العصر وأجوائه، ومن ثمة لا يمكن أن نصنف هذا العصر بالركود والانحطاط.

استطعنا من خلال هذه الدراسة الوقوف على حقيقة مفادها أنّ الدولة العثمانية لم تكن سببا في تخلف البلاد العربية عموما ودمشق خصوصا، بل بالعكس استطاعت تفعيل المشهد الثقافي من خلال ما أضافته من منشآت تعليمية كالمدارس والجوامع والتكايا وغير ذلك، وإن كانت مؤسساتها قد اقتصرت على المذهب الحنفي، إلاَ أن ذلك لم يمنع من تفاعل الموروث العثماني مع الموروث العربي الدمشقي الذي أنتج لنا صورة فنية بكلّ أبعادها العلمية والأدبية في ذلك العهد العثماني، وعليه فإن هذه الدراسة أظهرت لنا أنّ جلّ المؤسسات التعليمية التي تواجدت في دمشق كانت وقفية بحسب كل مذهب انتشر فيها، مما أسهم في تدافع أهل الشام على طلب العلم فسهل بذلك انتساب الطلاب إليها من جهة ومن جهة أخرى أمَن المال لهذه المؤسسات، فأعتبر الوقف شريان هذه المؤسسات التعليمية، مما شكل لنا طبقة مثقفة راحت تبني البلاد بسواعدها وإبداعاتها الفكرية.

ليس هذا فحسب، بل أنّ مجمل الدّروس التي لقّنت للطلبة كانت تصب في بوتقة واحدة، لم تخرج عن علوم الدّين وعلوم اللّغة؛ كلّ هذا خدمة للدّين الإسلامي من أي انحراف يطاله، لكن ذلك لم يمنع من وجود علوم عقلية وإن كانت لم تصل إلى مستوى العلوم العقلية التجريبية التي بلغتها أوروبا آنذاك.

وبحديثنا عن العلم لا يمكن إهمال تعليم المرأة في المجتمع الدمشقي، إذ لم تحرم من هذا الحق وإن كان في حدود ضيّقة بسبب سيطرة العرف والعادات والتقاليد التي جعلت نشاطها في مجال محصور، لكن رغم عدم الاهتمام الكبير بتعليمها ، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من بروز نساء مثقفات كـ **زبيدة القسطنطينية** وغيرها اللواتي شاع صيتهن في الشعر والأدب مما فعَل الحياة الثقافية خلال هذه الفترة.

لقد عكست الحقبة التي درسناها مدى غزارة الإنتاج الفكري في جلّ المجالات الدّينية والأدبية، وحتى في بعض العلوم العقلية التي سُخرت للدّفاع عن الدّين الإسلامي من أي انزلاق يطاله، مما يفنّد حكم المؤرخين الذين نعتوا هذه الفترة بالجمود والركود، فرغم أن الذي أُلف لم يرق إلى ما كانت عليه الدول الغربية، إلا أن تفكيرهم في تلك الفترة قد تناسب مع العصر ومقتضياته.

ومما تقدم خلصنا إلى أنّ عَالمُ القرن (**12**هـ/ **18**م) كان موسوعيا في كلّ العلوم، خاصة الدّينية والأدبية، وحتى يصل إلى الموسوعية لم يكتف بالبقاء في مدينته، بل راح ينتقل إلى حواضر علمية أخرى مثلت الإشعاع الثقافي بغية التّعرف على المزيد من العلوم والمعارف، يخالط العديد من الشخصيات العالمية والعلمية التي من شأنها أن توسّع مداركه ومعارفه، ناهيك عن تمكينه من نيل وظائف في الدولة خلال هذه الفترة. هذا ما ساعد في بروز أسر علمية ببلاد الشام، أسهمت بشكل فعّال في رسم معالم الصورة الثقافية في المجتمع الدمشقي، هذه الأسر التي لم تورث لأبنائها المال والجاه، بل ورّثت لهم العلوم والمعارف، كما مكّنتها من شغل وظائف في الدولة ردحا من الزّمن، وعليه فإن بقاء مثل هذه العائلات المثقفة في المجتمع دمشق هو في حدّ ذاته بقاء وحفاظ على المورث الفكري من الضّياع، وهذا ما كشف لنا أهمية العلم ومكانته عند العلماء.

قائمة الملاحق:

- **الملحق رقم (01)**: أنواع الطرق الصوفية في دمشق خلال القرن 12هـ/18م، ص 156.

- **الملحق رقم (02)**: المؤسسات التعليمية في دمشق خلال القرن 12هـ/18م، ص 162.

- **الملحق رقم (03)**: الإجازات وأنواعها الممنوحة لعلماء دمشق خلال القرن 12هـ/18م، ص 172.

قائمة المختصرات:

المعنى	الرمز
توفي	ت
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تقديم	تق
جزء	ج
دون تاريخ	دت
دون طبعة	دط
دون صفحة	دص
طبعة	ط
ميلادي	م
هجري	هـ
مجلد	مج
دون دار النشر	ددن
Page	P

-الملحق رقم: (01) أنواع الطرق الصوفية في دمشق خلال القرن 12هـ/18م

1- الطريقة النقشبندية

اسم العالم	اسم العالم الذي اخذها عنه	ج	ص
-ابرهيم الكوراني الشافعي.		01	05
-احمد بك دست الحنفي نزيل مكة.	-محمد معصوم بن احمد الفاروقي السرهندي.	01	107
-احمد المنيني.	-الشيخ محمد شمس الدين الرملي.	01	134
-احمد شاكر الجكواتي	-بهاء الدين مراد البخاري المرادي.	01	156
-احمد النخلي المكي الشافعي.	-السيد مير كلال بن محمود البلخي.	01	172
-الشيخ إسماعيل الاسكداري نزيل مكة.	-شيخ الطائفة النقشبندية في المدينة المنورة.	01	255
-السيد بدر الدين الهندي نزيل دمشق.	/	02	02
-الشيخ حسن البغدادي القادري النقشبندي نزيل دمشق.	/	02	33
-حسين المرادي مفتي الحنفية بدمشق.	-والده بهاء الدين وسائر الطرق السنية.	02	70
-رحمة الله البخاري الحنفي.	/	02	115
-السيد رفيع الازبكي نزيل دمشق.	/	02	
-عبد الجواد الكيالي	/	02	239
-عبد الحي الغزي الشافعي.	-الشيخ مراد اليزبكي الدمشقي.	02	244
-عبد الرحمن التاجي.	-الشيخ السيد مراد	02	286
-الشيخ عبد الرحمن العيدروس.	له رسالتين في الطريقة.	02	328
-الشيخ عبد الغني النابلسي الحنفي الدمشقي.	له شرح الرسالة النقشبندية.	03	33
-علي الشرواني الحنفي من المدينة المنورة.	/	03	201
علي الرومي الحنفي.	-جد المؤلف المرادي اسمه :بهاء الدين مراد البخاري المرادي.	03	213
-علي الكردي الشافعي.	-الشيخ عبد العزيز الهندي النقشبندي	03	218

–طاهر المرادي.	جديه ووالده ووالد والدته.	03	218
–السيد علي المرادي الحنفي البخاري.	/	03	220
–عليم الله الهندي الحنفي نزيل دمشق.	/	03	260
–غياث الدين البلخي الشافعي.	اباؤه ببلخ من مشايخ النقشبنديين.	03	274
–السيد محمد المرادي الحسيني الحنفي البخاري.	/	04	114
–محمود الجزري الكردي الشافعي نزيل دمشق.	–الشيخ محمد الزمان السندي.	04	127
–محب الله بن زين العابدين	هاجر إلى بلاد الهند واخذ الطريقة من الشيخ محمد معصوم لفاروقي وبنى مدرسة النقشبندية مع مسجد ورسائل في الطريقة.	04	130
–مصطفى البكري.	–السيد مراد الازبكي البخاري.	04	190
–مصطفى السفرجلاني الحنفي نزيل القسطنطينية.		04	209

2–الطريقة الخلوتية:

اسم العالم		ج	ص
–ابرهيم الخلوتي.	–السيد غازي الحلبي.	01	05
–ابرهيم الحافظ.	/	01	08
–ابرهيم بن سعد الدين.	/	01	39
–ابو الاسعاد بن ايوب.	/	01	51
–ابوالصفا مفتي.	/	01	62
–ابو السعود الخلوتي.	والده	01	59
احمد الوراق.	/	01	113
احمد المنيني.	–الشيخ حسن المرجاني النقاعي (الطباخ)	01	135
احمد الباقاني.	–الشيخ مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي.	01	192
–اسحاق البخشي.	/	01	221

– اسماعيل بن ايوب	/	01	249
–ابو بكر الدسوقي	/	01	52
–حسن النخال.	–الشيخ مصطفى الصديقي.	02	34
–الشيخ حسن الطباخ.	–الشيخ الكناني الصالحي.	02	35
–خالد بن صنون الحمصي.	/	02	77
–خليل بن عاشور	–الشيخ مصطفى الصديقي.	02	83
–خليل الحمصاني.	–الشيخ ابي السعود ابن الشيخ الخلوتي.	02	98
–درويش الخلوتي.	/.	02	112
–صادق بن الناشف.	–الشيخ عيسى الكناني.	02	199
–عبد الرحمن البعلي.	–الشيخ عيسى الكناني.	02	305
–عبد الرحيم بن حجيج.	احد مشايخ الطرق	03	09
–عبد الرحيم ابن شقيشقة	–محمد بن عيسى الكناني.	03	11
–الشيخ عبد الغني النابلسي.	–الشيخ سعيد البلخي.	03	31
–عبد اللطيف الخلوتي.	/	03	123
–عبد اللطيف العمري.	/	03	133
–عبد الوهاب الغميان.	–الشيخ محمد الغراوي.	03	134
–عمر العينوسي.	–السيد البكري.	03	194
–علي بن ايوب الخلوتي.	/	04	228
–عيسى القدومي.	–السيد البكري.	04	274
–كمال الدين البكري.	والده	04	14
–محمد الحفني المصري.	مصطفى بن كمال الدين البكري.	04	50
–محمد المواهبي القادري.	والده	04	50
–محمد السمان.	–السيد البكري.	04	60
–محمد الامين المحبي.	–الشيخ محمد العباسي الخلوتي.	04	86
–محمد المنير الاحمدي الخلوتي المصري.	/	04	122
–محمد السؤالاتي.	/	04	124
–مصطفى الكيلاني الشافعي	–الشيخ ايوب الخلوتي الدمشقي.	04	219
–موسى الخاشقجي الخلوتي.		04	225

-يوسف الحفني	-السيد البكري	04	241
-يوسف الحفني.	-السيد محمد العباسي.	04	249
-يوسف المالكي.	شيخ الطريقة	04	245
-يوسف الطباخ.	-الشيج حسن البطائحي المرجاني.	04	245

3-الطريقة القادرية

اسم العالم	اسم العالم الذي اخذها منه	ج	ص
-ابو بكر الحلبي.	-الشيخ محمد هلال.	01	50
-احمد المنيني.	-السيد يسن الحموي المرجاني البقاعي (الطباخ).	01	134
احمد الحلوي.	صارشيخ طريقة	01	168
-الشيخ حسن.	/	02	35
-الشيخ حسن البغدادي نزيل دمشق.	/	02	33
-رمضان الحلبي.	-الشيخ قاسم الخاني.	02	116
-السيد سليمان القادري.	/	02	160
-السيد عبد الرحمن الكيلاني الحموي القادري نزيل دمشق.	/	02	294
-الشيخ عبد الغني النابلسي(القادري النقشبندي).	--الشيخ السيدعبد الرزاق الحموي.	03	31
-عبد القادر الكردي	/	03	59
-السيد عبد القادر الصمادي.	/	03	60
-عبد الكافي الحلبي.	-الشيخ صالح المواهبي.	03	80
-عبد اللطيف العمري.	(قادري خلوتي)	03	133
-عمر البغدادي نزيل دمشق.	/	03	179
-عمر الكيلاني	/	03	187
-علي الغزي.	/	03	216
-السيد علي الكيلاني.	شيخ السجادة لحماة 1082هـ	03	246
-علاء الدين العذراوي.	/	03	260
-محمد عقيلة.	لبس الخرقة القادرية من الشيخ قاسم بن محمد البغدادي.	04	30

–محمد المواهبي الحنفي القادري والخلوتي	والده	04	50
–محمد العمري الصوفي.	/	04	69
–السيد اسحاق الكيلاني.	والده	01	220
–جرجيس الاربلي.	اجيز في الطريقة.	01	09
–حسين البيتماني	–السيد يسن الكيلاني الحموي نزيل دمشق.	02	53
–عبد الكافي الحلبي.	–الشيخ صالح المواهبي	03	80
–عثمان العقيلي.	–الشيخ ابو الحسن السندي.	03	151
–مصطفى الترزي.	مدح الشيخ علي الحموي الكيلاني شيخ الطريقة.	04	168
–يسن الكيلاني.	شيخ الطريقة القادرية والسجادة الكيلانية في الاقطار الشامية.	04	238
–السيد عبد القادر بن شاهين.	–حسين الزيات.	03	57
–علي الطيان.	الشيخ محمد بن عبد الهادي العمري.	03	258

4–الطريقة المولوية

اسم العالم	اسم العالم الذي أخذها منه	ج	ص
–عبد الرحمن المولوي نزيل دمشق.	–شيخ تكية المولوية. –شيخ الطريقة في تكية دمشق الكائنة بالقرب من جامع تنكز. خاتمة مشايخ هذا الطريق بدمشق.	02	329
–عبد الله انيس	شيخ زاوية المولوية الكائنة بمصراخذ الطريقة عن الاستاذ اجب المولوي الادرنوي.	03	116
–عثمان المجذوب.		03	161
–عمر شفائي الحنفي السينوبي.	دفن بالزاوية المولوية في بلدة المرقومة.	03	172

05-الطريقة الشاذلية:

اسم العالم	اسم العالم الذي أخذها منه	ج	ص
-ابو الفتح العجلوني.	-الشيخ محمد المزطاري المغربي.	01	66
-احمد الجبالي الشافعي.	-المزطاري.	01	80
-احمدالعلمي.	//	01	116
-حسين الوفائي شيخ سجادة الوفائية	-الشيخ ابي بكر الوفائي.	02	58
-عبد الغفور الجوهري.	//	03	30
-عبد الله الشرابي.	//	03	83
.-عبد الوهاب العفيفي.	-سيد محمد التهامي.	03	83
-عبد الله الجوهري.	-المزطاري.	03	89
- عمر الجوهري.	عمه الشيخ عبد الله.	03	183
-محمد المزطاري المغربي المكناسي المالكي.	شيخ الطائفة اخذها عن قاسم بن احمد القرشي السفياني	04	33
-عبد الفتاح السباعي الحنفي الحمصي.	-الشيخ عبد الغني المغربي.	04	46
-محمد الدكدكجي الحنفي.	له تراجم رجال سلسلة الطريقة الشاذلية+شرح على البحر للشاذلي.	04	27/26

06-الطريقة الرفاعية

اسم العالم	اسم العالم الذي اخدها منه	ج	ص
-ابراهيم بن سعد الدين الجباوي.	/	01	41
-بركات الرفاعي الدمشقي.	/	02	04
-حسين البيتماني.	قادري.رفاعي	02	53
-حيدر بن قرابيك من الموصل.	عن ال السيد يوسف.	02	66
-عبد الجواد الكيالي الشافعي الحلبي.	رفاعي.نقشبندي	03	239
-السيد عبد القادربن شاهين الحلبي.	/	03	57
-يسن طه زاده الحلبي الحنفي.	/	04	238
-يونس الموصلي.	شيخ السجادة الرفاعية بالموصل اخذها عن سادات الموصل.	04	265

الملحق رقم: (02) المؤسسات التعليمية في دمشق خلال القرن 12هـ/18م

المدارس الحنفية	تاريخ التأسيس	المؤسس	اسم المدرسين	العلوم المدرسة	وضعية المدرسة	مكان التواجد
المارداني	**610هـ 1213م**	-عزيزة الدين اخشا خاتون بنت الملك قطب الدين.	-إبراهيم بن حمزة. -السيد سعدي بن حمزة.	-علوم دينية - علوم اللغة	وقفية منذ عام **624**هـ. **1227م** (شرط)	تقع على حافة نهر ثور الجسر الأبيض بالصالحية.
الجمقمقية	**824هـ 1421م**	-سنجر الهلالي وابنه سيف الدين جقمق.	-احمد البكري. -عبد الرحمن السفرجلاني.	//	وقفية	شرق الحديقة التي بها قبة صلاح الدين الأيوبي شمالي الجامع الأموي
الجمالية	**748هـ 1347م**	-الأمير جمال الدين يوسف.	-الشيخ اسعد المجلد	//	وقفية	تقع بمحلة السكة غربي الصالحية بسفح قاسيون.
الجوهرية	**676هـ 1278م**	-نجم الدين أبو بكر محمد بن عياش التميمي الجوهري.	-إسماعيل المحاسني. -عز الدين الحمصي.	//	وقفية على ابي بكر بن محمد بن ابي طاهر بن عياش.	شرقي تربة ام الصلاح داخل دمشق بحارة بلاطة.
الصادرية	**491هـ 1098م**	-صادر بن عبد الله	-عبد الرحمن الكفرسوسي.	//	وقفية	داخل باب البريد على باب الجامع الاموي الغربي.

القجماسية		-قجماس الاسحاقي الشركسي.	-سعيد السعسعاني.	//	وقفية	داخل باب النصر ودار السعادة.
الريحانية	**565هـ /1170م**	-ريحان الطواشي.	-فتح الله الداديخي. -محمدافندي السنطي.	//	وقفية	جوار المدرسة النورية.
المقدمية (جوانية برانية)		-شمس الدين محمد بن عبد الملك.	-ابراهيم النحشي. -حسن البحنشي.	//	وقفية	المقدمية الجونية تقع داخل الفراديس الجديد. المقدمية البرنية في سفح قاسيون شرقي الصالحية.
النورية الكبرى	**563هـ /1255م**	الملك نور الدين محمود بن زنكي	-احمد النحلاوي.	//	وقفية	
النورية الصغرى		الشهيد نور الدين محمود بن زنكي.	-احمد النحلاوي.	//	وقفية	بجامع قلعة دمشق.
الخاتونية الجوانية		-خاتون بنت معين الدين اتر زوجة نور الدين ثم صلاح الدين.	-الصدر بن عقبة ابراهيم بن احمد. -مجد الدين ابو محمد عبد الرحمن. -البرهان بن الموفق.	//	وقفية(اوقفها اخوها سعد الدين على اخته عقبها ونسلها)	بمحلة حجر الذهب محلة البيمارستان النوري.

الخاتونية البرانية		زمردة خاتون ابنت الاميرجاولي.	-جلال الدين ابو محمد عمر بن محمد ابن عمر الحنفي الخجندي. -الشيخ جلال الدين -شمس الدين بن الحريري.	//	وقفية	صنعاء الشام المطل على وادي الشقراء.
الشبلية الجوانية .		-كافور المعظمي.	-محمد قوقسر. الشيخ اسماعيل الحائك.	//	وقفية	قبالة داخل باب الجابية.
الشبلة البرانية.	**626هـ 1229م**	-كافور الحسامي الرومي الطواشي. -حسام الدين بن لاجين.	-محمد قوقسر. -الشيخ اسماعيل الحائك.	//	وقفية	تقع بسفح جبل قاسيون بالقرب من جسر ثوري.

المدارس الشافعية	**تاريخ التاسيس**	**المؤسس**	**اسم المدرس**	**العلوم المدرسة**	**وضعية المدرسة**	**مكان التواجد**
الامجدية		-الملك المضفر عمران بن الملك الامجد بهرام شاه.	-ابراهيم بن حمزة.	الفقه علوم الدين و اللغة	وقفية (شافعية حنفية)	الاعلى الشمالي المطلة على المرجة.
الباذرائية		--ابو محمد	-عبد السلام	حديث	وقفية	داخل باب

		الباذرائي البغدادي.	الكاملي. -علاء الدين العذراوي.	.نحو. معاني.بيان		الفراديس والسلامة شمالي جيرون وشرقي الناصرية.
العذراوية	**580هـ 1184م**	-عذراء بنت سلطان. صلاح الدين يوسف.	-عبد الرحيم الكابلي.		وقفية (شافعية حنفية)	داخل باب النصر جوار دار العدل.
الشامية البرانية		-بنت الشام بنت النجم الدين ايوب بن شاذي.	-احمد الغزي. -عبد الكريم الغزي. -محمد الغزي. -مصطفى بن سوار.	فقه. حديث	وقفية على اولادها+ الفقهاء	بين محلة العقيبة وسوق صاروجا.
الامينية	**524هـ 1130م**	- امين الدين كمشتيكين بن عبد الله الطغتكني.	-محمد امين المحبي.	فقه	وقفية	سوق الحرير قبلي باب الزيادة من ابواب الجامع الاموي.
العادلية الكبرى	**620هـ/ 1184م**	-نور الدين محمود بن رتكي -الملك الدين	-احمد المنيني -عثمان القطان.	تفسير. فقه.نحو. ادب	وقفية	شمالي الجامع بغرب وشرقي خانقاه الشهابية قبلي الجاروخية تجاه باب الظاهرية.
العادلية الصغرى	**655هـ 1257م**	-زهرة خاتون بنت الملك ابي بكر بن ايوب	-الشيخ اسعد المجلد.	فقه .حديث. نحو	وقفية	داخل باب الفرج شرقي باب القلعةèèè

						قبلي الدماغية.
التقوية	**574هـ 1179م**	-الملك تقي عمرابن شاهنشاه بن ايوب.	-اسماعيل المحاسني.	فقه	وقفية	داخل باب الفراديس شمالي الجامع الشرقي الظاهرية والاقبالیتین بدمشق.
الاتابكية	**حوالي 600هـ 1204م**	بنت نور الدين اسلان اتابك (خانون بنت السلطان الماك عز الدين مسعود.	-شعبان الصالحي. -احمد الغزي..	اصول. نحو.منطق حديث.	وقفية	بصالحية دمشق غربيه المرشدية ودار الحديثèèè المقدسية.
الكلاسة	**555هـ 1260م**	.-نور الدين الشهيد	-احمد الغزي. خليل الفتال.	اصول. فقه.	وقفية	لصيقة الجامع الاموي من شمالي.
الظاهرية	**660هـ 1262م**	-ابن الملك الظاهر بيبرس المسمى بالسعيد	-عبد الرحمن القاري. علي المصري.	فقه.ادب	وقفية (حنفية شافعية)	شرقي العادلية الكبرى.
العصرونية		-شرف الدين ابي السعيد عبد الله بن محمد بن ابي عصرون ابن ابي اليسر التميم	-السيد عبد القادر الكيلاني.	فقه. نحو.	وقفية(**10**قراريط ونصف قيراط)	داخل بابي الفرج و النصر شرقي القلعة وغربي الجامع.
القيمرية		-الاميرناصر الدين ابن	-السيد عبد الكريم ابن حمزة		وقفية	سوق بالحريميين.

		علي.	. -عليم الله الهندي.			
الناصرية الجوانية	**653هـ 1255م**	-الملك يوسف بن اصلاح الدين يوسف بن ايوب.	-محمد الديري.		وقفية على القاضي شمس الدين علي الشهرزوري.	داخل باب الفراديس شمالي الجامع والرواحية بشرق وغربي شمال وشرقي القيمرية الصغرى والمقدمية الجوانية.
الفتحية		-الملك فتح الدين الغالب صاحب بارين	-موسى المحاسني.		وقفية	برحيبة خالد.
البولادية			-حسن المغربل.			في محلة باب المقام في الصف الشرقي من الجادة بحلب.
		-علي بن ابي بكر.	-الشيخ قاسم الخاني. -قاسم الدوكالي.			قبلي النورية الحنفية وشرقي تربة زوجة تنكز بقرب الخواصين داخل دمشق.
الحلاوية	**543هـ 1148م**	-نور الدين.				في السوق قبالته من الغرب بحلب

المدارس الحنبلية	المدرسة الجوزية	المدرسة العمرية
تاريخ التاسيس	**652هـ/1254م**	**550هـ/1155م**
المؤسس	-محي الدين ابن الشيخ جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.	-ابو عمرو الكبيرلبحنبلي المعروف بابن قدامة.
اسم المدرسين	-ابراهيم بن حمزة. -عبد الرحمن السفرجلاني.	-احمد المنيني. -صادق الخراط.
العلوم المدرسة	العلوم الدينية و اللغوية	العلوم الدينية واللغوية
وضعية المدرسة	وقفية	وقفية
مكان التواجد	تقع في سوق البزورية المسمى قديما بسوق القمح	وسط دير الحنابلة بسفح الجبل

المدرسة المالكية	الزاوية المالكية
تاريخ التاسيس	/
المؤسس	-السلطان الملك الناصر صلاح الدين.
اسم المدرسين	-الشيخ جمال الدين ابو عمرو عثمان. -الشيخ زين الدين الزواوي. - الشيخ ابو عمروبن الحاجب. -الضياء عبد الرحمن بن عبد الله العمادي المالكي.
العلوم المدرسة	اصول نحو صرف عروض تفسير
وضعية المدرسة	وقفية
مكان التواجد	ملاصق المقصورة الحنفية من غربي الجامع بدمشق

-دور الحديث

اسم الدور	الناصرية البرانية الجوانية	القلانسة	الأشرفية
تاريخ التاسيس	**654هـ** **1256م**	/	**630هـ** **1233م**

المؤسس	-الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز.	/	-الملك الاشرف موسى بن العادل.
اسم المدرسين	-جمال الدين محمد المكنى. -حسام الدين القرمي. شرف الدين ابو العباس. -نجم الدين بن قوام.	-عز الدين بن حمزة بن المؤيد بن القلانسي.	-السيد عبد المنعم ابن الاشرف.
العلوم المدرسة	علوم دينية	علوم دينية	علوم دينية
وضعية الدور	وقفية	وقفية	وقفية
مكان التواجد	بسفح قاسيون قبلي جامع الاقرم	غربي مدرسة أبي عمر بالصالحية.	/

-الخوانق

اسم الخانقاه	الباسطية	السميساطية	اليونسية	الشبلية	النحاسية	الشعبانية
تاريخ التاسيس	بعد **800هـ 1398م**	**453هـ 1061م**	**784هـ 1382م**	/	/	/
المؤسس	-القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل.	-السميساطي ابي القاسم علي بن محمد بن يحي السلمي الحبشي.	-الشرفي يونس داود الظاهر برقوق.	-كافور المعظمي.	-الخواجا شمس الدين ابن النحاس الدمشقي.	/

شيوخ الخانقاه	-القاضي الباعوني	-الشيخ ابي الفتح عمر بن علي بن علي بن محمد بن حمويه. -عبد السلام بن عمربن علي ابن محمد -البكري ابو علي الحسن. -سعد الله الخضر.	-شمس الدين بن عزيز الحنفي. الشيخ شمس الدين بن عوض الحنفي.	-نجم الدين ابراهيم ابن بركات بن علي الفضل بن القرشية البعلبكي. -عثمان بن علي بن بشارة الشبلي الحنفي.		/
العلوم المدرسة	علوم دينية	علوم دينية	علوم دينية	علوم دينية	علوم دينية	علوم دينية
وضعية الخانقاه	وقفية على الفقراء والصوفية	وقفية على الفقراء والصوفية	وقفية على الشيخ والصوفية حنفية الامام حنفي+**10** قراء حنفية.			
مكان التواجد	بالجسر الابيض غربي المدرسة وشمالي الخانقاه العزية.	للشمال الشرقي من الجامع الاموي	في اول الشرف الاعلى الشمالي الشرقي الخانقاه الطواريسية	بسفح قاسيون	غربي الذهبية وشمالي حمام بطرف مقبرة الفراديس.	بحلب

-الترب

اسم التربة	الحافظية	الكاملية	المحمدية	القيمرية
المؤسس	-ارغون الحافظية.	/	/	/
وضعية التربة	اوقفت دارها على خدامها.	وقفت على فاطمة بنت الملك الكامل محمد.	/	/
مكان التواجد	قبلي جسر كحيل وشمالي تربة القميرية بدرب الصالحية	محلة الجلوم الكبرى في زقاق الشيخ عبد الله	/	/

الملحق رقم: (03) نماذج عن الإجازات الممنوحة لعلماء دمشق خلال القرن 12هـ/18م

الاسم ج01	خاصة	عامة	الاساتذة	المكان	المادة	ص
1)ابراهيم الاطلسي		/		مصر	الافتاء والتدريس	14
2)السيد ابراهيم بن حمزة			أجيز من ثمانين شيخا	من اقطار الوطن		22
3)ابراهيم فندق زاده			-عبد الباقي عارف.	القسطنطينية	الكتبة	42
4)أبو الصفا مفتي			والده			62
5)أحمد الكيواني			-محمد العمري.	دمشق	الكتبة	97
6)أحمدالغزي			-محمد بن عبد الرسول البرزنجي	دمشق		117
7)أحمدالنخلي			-الشمس محمد بن علاء الدين البابلي.	مكة	اجازة في الخط	171
8)أحمدالموقت			-عامر محمد الخليلي.	القدس		175
9)أسعد المالكي			-محمد بن سليمان المغربي.	دمشق		241
10)اسماعيل بن الشيخ أيوب			والده	دمشق		249
11)الياس الكردي			محمد بن سليمان المغربي. -ابراهيم بن حسن الكردي	دمشق		276
12)بدر الدين القدسي.ج2			-احمد الملوي الشافعي وحامد العمادي.	مصر ودمشق	حديث وتفسير	02

13)تقي الدين الحصني			-عبد الباقي الحنلي. -ابراهيم بن حسن الكوراني.	الشام المدينة المنورة		**05**
14)جرجيس الاربلي				الموصل	الطريقة القادرية	**09**
15)حامد العجلوني			-محمد الشوبري. -سلطان المزاحي	مصر		**11**
16)حامد العمادي المفتي			-ابو المواهب. -محمد بن علي الكاملي.	دمشق		**11**
17)حسن النخال		/	-مصطفى العزيزي. -مصطفى الصديقي الدمشقي.	مصر غزة	الفتوى والرواية	**34**
18)حسن البيتماني			-الياس كردي. -محمد عقيلة المكي	دمشق مكة		**52**
19)حسين المرادي			-محمد بهاء الدين.	دمشق		**70**
20)زين الدين البصروي			-يحي الشاوي المغربي	الروم		**120**
21)صالح الحلبي				حلب	الموسيقى والشعر	**216**
22)طه الجبريني			-محمد بن سليمان المغربي. -علي بن محمد الكاملي.	الحجاز دمشق		**219**
23)عبد الجواد			-ابرهيم الكوراني.	حلب		**239**

الكيالي			-محمد البرزنجي الكوراني.			
24)عبد الخالق زيادي		/	-محمد الفارسي. -عطية الاجهوري	دمشق	فقه -حديث نحو- اصول	**258**
25)عبد الرحمن المنيني		/	-محمد بن سالم الحنفي. -خليل المغربي المالكي.	من مصر بالمكاتبة		**275**
25)عبد الرحمن بن جعفر			-محمد حياة السندي.	الحرمين الشريفين	الافتاء والتدريس	**291**
26)عبد الرحمن الغزي			-النجم الغزي العامري. -محمد البطيني.	دمشق	الافتاء والتدريس	**293**
27)عبد الرحمن البعلي		/	-عبد القادر التغلبي. -محمد المواهبي.	دمشق	فقه- فرائض نحو -حساب	**304**
28)عبد الرحمن المجلد			-محمد بن سليمان المغربي. -محمد العناني.	دمشق		**327**
29)عبد الرحمن (شقده) ج03			-عبد الغني النابلسي.	دمشق		**05**
30)عبد الرحيم ابن شقيشقة				مصر		**10**
31)عبد الغفور الجوهري			-محمد المزطاري المغربي.	نابلس		**29**
32)عبدالقادر الصديقي			-حسن بن علي العجيمي.	مكة		**49**
33)عبد القادر				مصر		**59**

الكردي				دمشق الحرمين		
34)عبد الله الشرابي			-مصطفى الصديقي الدمشقي.	نابلس		**82**
35)عبد الله يدي قله			-حافظ عثمان.	الروم	الكتبة	**84**
36)عبد الله السويدي			-احمد سويد	بغداد		**84**
37)عبد الله الجوهري			-محمد المزطاري المغربي	نابلس		**88**
38)عبد الله الشبراوي			-محمد بن عبد الله الخرشي المالكي.	القاهرة		**107**
39)عبد المعطي الخليلي			-محمد عقيلة المكي. -محمد الخليلي القدسي.	مصر		**136**
40)عثمان النحاس			-ابي المواهب الحنلي. -محمد بن محمد سليمان المغربي.	دمشق		**147**
41)عمر بن شاهين			-المقري محمد بن مصطفى البصيري	حلب		**176**
42)علي الصعيدي			-محمد بن احمد عقيلة المكي.	مصر		**206**
43)علي الغزي			-عبد الغني النابلسي. -عبد القادر	الشام		**215**

			التغلبي.			
44)علي بن ايوب الخلوتي			-علي كزبر. -عليم الله الهندي.	دمشق		**228**
45)علي الكيلاني		/		حماة	حديث	**246**
46)لطفي الصيداوي ج04			-عبد الغني النابلسي.	صيدا		**15**
47)محمدحياة السندي			-عبد الله بن سالم البصري. -محمد ابو الطاهربن ابراهيم الكوراني.	المدينة المنورة		**34**
48)محمدزين الدين الغزي			-الشمس محمد بن علي الكاملي. -اسماعيل العجلوني.	دمشق		**41**
49)محمد المواهبي			-سليمان النحوي. عبد الرحمن العارف النحوي.	حلب		**50**
50)محمد الغزي			-ابي المواهب الحنبلي. -محمدبن محمد البديري الدمياطي	دمشق دمياط		**53**
51)محمد المواهبي			-عبد الغني النابلسي. -الياس الكردي.	دمشق		**61**
52)محمدالكاملي			-سلطان المزاحي.	مصر		**67**

			-عبد العزيزالزمزمي	بالمكاتبة مكة		
53)محمدامين المحبي			-يحي الشاوي المغربي. -محمد بن سليمان المغربي.	دمشق		**86**
54)محمدالاسبيري		/	-عبد الرحمن افندي الخاكي	عينتاب		**120**
55)محمدالمنير			-ابو حامد محمد البديري الدمياطي. مصطفى البكري الدمشقي.	مصر		**122**
56)محمودالغزي		/	-احمد بن محمد.	القاهرة	الافتاء والتدريس	**126**
57)مصطفى اللقيمي			-محمد الدمياطي. -عبد الله بن سالم البصري. -ابي الطيب المغربي.	مصر مكة المدينة المنورة		**154**
58)مصطفى الغزي			سعدي بن عبد الرحمن(ابن حنة).	دمشق		**166**
59)مصطفى التميمي			-احمد بن محمد عقيلة المكي.	نابلس		**184**
61)مصطفى العمري			-عبد الغني النابلسي.	دمشق		**186**
62)يوسف الغزي (المقري)			مدحه عبد الغني النابلسي.		اجازة بالرواية	**239**

*** أنواع الإجازات الممنوحة لعلماء دمشق من مدارس اسطنبول خلال القرن 12هـ/18م**

اسم العالم و لقبه	رتبة الداخل	اسم المدرسة	ج	ص
–إبراهيم بن سعد الدّين التشاغوري	+	/	1	41
–السيد أبو المواهب الحلبينزيل القسطنطينية	+	مدرسة يار حصار عام **110هـ/728م**	1	67
–أحمد البكري نزيل القسطنطينية	+	مدرسة مولاي خسرو	1	149
–حسين بن معن نزيل القسطنطينية	+	السراي العثماني	2	59
–رحمة الله الأيوبي دمشقي	+	/	2	115
–عبد الرحمن المغربي	+	منحها له شيخ الإسلام مفتي السلطة محمد المعروف بشريف زاده	2	303
–السيد عبد الرحيم بن أبي اللطيف (القدسي)	+	/	3	3
–محمد رحمة الله الأيوبي (دمشقي)	+	/	4	48
–يحيى الأسطواني	+	/	4	230

اسم العالم ولقبه	رتبة الخارج	اسم المدرسة	ج	ص
–أحمد الدمشقي نزيل القسطنطينية	**+ في عام 1115 هـ 1703م**	مدرسة حاج حمزة مكان المولى يحيى زاده المولى زاده عبد الله	1	107
–خليل الفتال (دمشقي)	+	/	2	99
–شاكر العمري (دمشقي)	+	من شيخ الابن المولى فيض الله ما زاده مفتي الدولة		
–عبد الله التوني جوق	+ **1143**		3	106

	هـ 1731م			
–موسى المحاسني (دمشقي)	+	/	4	220
–السيد يعقوب الكيلاني نزيل القسطنطينية	+	/	4	235

اسم العالم ولقبه	رتبة آلتمشلي	اسم المدرسة	ج	ص
– أحمد البكري نزيل القسطنطينية	+ في عام 1098هـ 1687م	مدرسة بير باشا	1	149
– شاكر العمري	+	/	2	183
– أحمد الدمشقي نزيل القسطنطينية	+	منحها له شيخ الإسلام مفتي التخت العثماني في مولى على مفتش الأوقاف	1	107
– إسماعيل المنيني	+	/	1	241

اسم العالم ولقبه	رتبة موصلة الصحن	اسم المدرسة	ج	ص
–السيد أبو المواهب الحلبي نزيل القسطنطينية	+	مدرسة خديجة سلطان	1	67
–أحمد البكري	+	مدرسة بير باشا	1	149 150
–خليل الحمصي الدمشقي	+	/	2	98
–سليمان المحاسني	+	/	2	163
– يوسف الجابري (اسكندراني)	+	/	4	249

اسم العالم ولقبه	رتبة السليمانية	اسم المدرسة	ج	ص
– إبراهيم السفرجلاني (دمشقي)	+	/	1	15
– أحمد المنيني (دمشقي)	+	/	1	136
– أحمد الكواكبي	+	/	1	176
– أحمد التركماني نزيل القسطنطينية	+	/	1	218
– الشيخ إسماعيل المنيني (دمشقي)	+	/	1	241
– حامد العمادي (دمشقي)	+	/	2	11
– حسين الداديخي	+	/	2	49
– الشيخ عبد الرحمن الكيلاني	+	/	2	294
– عبد الرحمن السفرجلاني	+	/	2	309
– السيد عبد القادر بن الكيلاني	+	/	3	46
– يحيى التاجي	+	/	4	232
– السيد أحمد الصمادي (دمشقي)	+	/	1	173

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر و المراجع

***المصادر**

1- إدريسي الإدريسي أبو عبيدة الله محمد ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، ط 1، منشورات عالم الكتب، دب، دت.

2 – ابن جبير، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، ددن، دب، دس.

3-ابن حوقل أبي القاسم النصيبي، صورة الأرض، ط1، دار مكتبة الحياة، لبنان، دس.

4-ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة، تح: عبد الرحمن عادل بن سعد، ط 1، الدار الذهبية، القاهرة، دس.

5- لأتابكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرى بروي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 4، تح: محمد حسين شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1992م.

6- البيطار عبد الرزاق، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تح : محمد بهجة البيطار، ط 2، دار صادر، بيروت، 1993 م.

7-الجبرتي عبد الرحمان الحنفي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ط 1، دار الطباعة محمد قاسم، دب، د ت .

8- الحلاق أحمد البديري، حوادث دمشق اليومية (1154-1175هـ/1741-1762م)، نقحها الشيخ محمد سعيد القاسمي، تح: أحمد عزت عبد الكريم،ط 1، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، 1959 م.

9- الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر أحمد بن محمد، الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

10- الزياني أبو القاسم ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برّا و بحرا، تح: عبد الكريم الفيلالي، ط 1، دار المعرفة، الرباط، 1991 م.

11- الغزي نجم الدين محمد بن محمد ، الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، ج 2، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م.

12- الفارابي أبي نصر محمد بن طرخان ، كتاب الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبه، مرا وتص: محمد أحمد الحفني، ط1، دار الكتاب العربي، القاهرة، دت.

13- المحامي محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: إحسان حقي، ط 1، دار النفائس، بيروت، 1981 م.

14- المحبي محمد أمين، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج 3، ط1، ددن، دب، دت.

15- المرادي أبي الفضل محمد خليل ، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ، ج4، دط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

16- المرادي محمد خليل بن محمد الدمشقي، عرف البشام فيمن وليَ فتوى دمشق والشام، تح: محمد مطيع الحافظ ورياض عبد الحميد مراد، ط 2، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، 1988 م .

17- النعيمي عبد القادر بن محمد الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج 1 وج2، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، دت.

18-كرد محمد علي ، خطط الشام، ج2، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، دت.

*** المراجع**

19- ارمسترونج كارين ، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، تر: فاطمة نصر ومحمد عناني، ط1، دار سطور، القاهرة، 1998م.

20- إسماعيل عبد الجواد صابر ، دور الأزهر السياسي في مصر إبان الحكم العثماني، ط 1، مكتبة وهبة، مصر، 1996م.

21- التفتازاني أبو الوفا الغنيمي ، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط 3، دار الثقافة، القاهرة، د ت.

22- سيار جميل ، تكوين العرب الحديث، ط1، دار الشروق، عمان، 1997 م.

23- الشيخ رأفت ، تاريخ العرب الحديث، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1994 م.

24- الصباغ ليلى ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1973م.

25- الصباغ ليلى ، من أعلام الفكر العربي في العصر العثماني الأول "محمد أمين المحبي المؤرخ وكتابه خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، ط 1، الشركة المتحدة ، سوريا، 1998 م.

26- الطويل توفيق ، التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ط1، مكتبة الآداب، مصر، د ت.

27- الكوثراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي في تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام،ط1، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، دت.

28-أنطونيوس جورج ، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، لبنان، 1987م.

29- أوزتونا يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سليمان، مج 1، ط1، شركة الهلال، إسطنبول، 1990 م.

30- أوغلي أكمل الدين إحسان ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج 2، تر: صالح سعداوي، ط1، استانبول، 1999م.

31-إينالجيك خليل، الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، تر: محمد-م-أرناؤوط، ط 1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002م.

32- باشا أحمد تيمور، المذاهب الفقهية الأربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي وانتشارها عند جمهور المسلمين، ط1، د د ن، د ب، د ت.

33- بيضون جميل، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل، الأردن، 1992 م.

34- جبارة تيسير، تاريخ الدولة العثمانية 1280 / 1924م، ط 1، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، 2015 م.

35- حتي فليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ط1، المطبعة الحديثة، بيروت، 1983م.

36- حنا عبد الله ، حركات العامة الدمشقية في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ، ط 1، دار ابن خلدون، بيروت، 1985م.

37- حوراني ألبيرت، تاريخ الشعوب العربية، تع: أسعد صقر، ط 1، دار طلاس، دمشق، 1997م.

38- راسل ألكسندر وباتريك، تاريخ حلب في القرن الثامن عشر، مج 1، ط 1، د ب، 1997 م.

39-ريمون أندري ، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، تر: لطيف فرج، ط 1، دار الفكر، القاهرة، 1991م.

40- زناتي أنور محمود ، دراسة تحليلية في مصادر التراث العربي ، ط 1، زهران للنشر، جامعة عين شمس، مصر، دت.

41- سيد محمد سيد، مصر في العصر العثماني" دراسة وثائقية في النظم الإدارية والقضائية والمالية والعسكرية"، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1997 م.

42- شلبيشر ليندا، دمشق في القرنين 18- 19م، تر: عمر الملاح، دنيا الملاح، ط 1، دار الجمهورية، سوريا، 1998م.

43- صياغه نايف، الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق منتصف القرن التاسع عشر، ط 1، وزارة الثقافة، دمشق، دت.

44- طربين أحمد، تاريخ المشرق العربي المعاصر، ط1، المطبعة الجديدة، دمشق، 1985-1986م.

45- غب هاملتون وباون هارولد، المجتمع الإسلامي والغرب (دراسة حول تأثير الحضارة الغربية في الثقافة الإسلامية بالشرق الأدنى في القرن الثامن عشر للميلاد، تر: أحمد إيبش، ط 1، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2012م.

46- عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، ط1، دار المعارف، مصر،دت.

47- عزام عبد العزيز محمد، النظام القضائي في الإسلام، ج 1، المؤسسة العربية الحديثة، ط 1، القاهرة، د ت.

48- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1922/1516م، ط1، دار النهضة العربية، بيروت،دت.

49- عودة محمد عبد الله ، تاريخ العرب الحديث، ط1، الأهلية، الأردن، 1989م.

50- عودة محمد عبد الله والخطيب ابراهيم ياسين ، تاريخ العرب الحديث، ط 1، الأهلية، عمان، دت.

51- غربي الغالي ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1916/1288 م، ط 1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

52-فياض عبد الله ، الإجازات العلمية عند المسلمين، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م.

53- كوبريلي محمد فؤاد ، قيام الدولة العثمانية، تر: أحمد السعيد سليمان، تق: أحمد عزة عبد الكريم، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، د ت.

54- كيدو أكرم ، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، تر : هاشم الأيوبي، ط 1، جروس بروس، لبنان، 1992م.

55- لويس برنارد ، اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، تع :سيد رضوان علي، ط 2، الدار السعودية، الرياض، 1982م.

56- مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج 2، تر: بشير السباعي، ط1، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1992م.

57- مسعد بولس ، الدولة العثمانية في لبنان وسورية حكم أربعة قرون (1517-1916م)، ط1، ددن، دب، 1916م.

58- نعيسة يوسف جميل ، مدينة دمشق (1186- 1256هـ/1772- 1840م)، ج2، ط1، دار طلاس، دمشق، 1986م.

59- ياغي إسماعيل أحمد ، العالم العربي المعاصر في التاريخ الحديث، ط 1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997م.

60- يوسف بن عبد الهادي، ثمار المقاصد في ذكر المساجد، ج3،دط، بيروت، 1943م.

المراجع بالفرنسية:

60-Abdul karim Rafeq, The poor in Ottoman Damascus a socio economic and political study ;by: jean-paul pascual ،Poverty and wealth in the muslim mediterranean world , Maisonneuve a larousse ,Fance, sd

المقالات

1- أحمد محمد ، الحياة الثقافية في دمشق في العصر العثماني 1876-1918 م، مجلة جامعة دمشق، العدد الأول والثاني، دمشق، 2011 م.

2- أحمد محمد ، الحياة الثقافية والفكرية في القدس في العصر العثماني (القدس عاصمة الثقافة العربيةلعام 2009م)، مجلة جامعة القدس، 2009/04/30م.

3- السوارية نوفان رجا ، من استثمارات سليمان باشا العظم الزراعية في بعض مناطق بلاد الشام في ضوء مصورات الوثائق العثمانية (1145هـ/1732م-1154هـ/1741م) دراسة توثيقية، المجلة الأردنية للتاريخ و الآثار ، مج4، عدد 4، 2010م.

4- الشافعي لمياء أحمد عبد الله ،الصرة العثمانية الموجهة إلى مكة المكرمة، مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، عدد4، محرم 1433هـ.

5- عامر محمود ، المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، عدد 117 – 118، كانون الثاني حزيران عام 2012م.

6- مبيضين مهند أحمد ، مظاهر الحياة الاقتصادية في دمشق وجوارها خلال القرن الثامن عشر الميلادي، مجلة المنارة، مج 14، العدد 2، 2008م.

7-مبيضين مهند أحمد، الناس و المدينة في العصر العثماني: دمشق في القرن الثامن عشرالميلادي، الإضافات، العددان 20 ،21، خريف وشتاء 2012-2013.

8- مبيضين مهند أحمد، ملاحظات حول تعليم الصبيان في مدينة دمشق خلال العهد العثماني 922هـ – 1337هـ/1516 – 1918م، المجلة الأدبية التاريخ والآثار ، مج 6، عدد 2، دب، 2012م.

المذكرات:

1- التلمساني بن يوسف ، الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر – الإدارة الإستعمارية) 1782-1900 م، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، (مرقونة)، جامعة الجزائر، 1998 م.

2- بعيو غانية ، التنظيمات العثمانية وأثرها على الولايات العربية الشام والعراق نموذجا 1839 / 1876 م ، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2008 - 2009 م.

3- علواش فتيحة ، الحياة الفكرية في مصر والشام خلال الفترة العثمانية من الربع الأول من القرن10هـ/16م إلى منتصف القرن 13هـ/ 19م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2014م.

4- عيسى خالد مطلق بكر ، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة (دراسة نقدية تحليلية)، مذكرة لنيل درجة الماستير في الهندسة المعمارية،(مرقونة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2011م.

5- مخلوطة رلى نبيه ، علوم العمران و التربية و التعليم عند ابن خلدون، أطروحة ماجستير في الآداب ، إشراف: عدنان الأمين، (مرقونة)، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1998م.

-شعيب حسن بن محمد بن حسن ، الدور التربوي لحلقات العلم بالمسجد الحرام في عهد الملك عبدالعزيز، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، تخصص التربية الإسلامية والمقارنة،(مرقونة) جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1429هـ.

6- صديق آمال رمضان عبد الحميد ، الحياة العلمية في مكة (1115 – 1334هـ / 1703 – 1916م)، مذكرة لنيل درجة الدكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2006م.

القواميس

1- آبادي الفيروز: قاموس المحيط، ج4، ط3، الهيئة المصرية، دب، 1301هـ.

2- ابن المنظور بن محمد مكرم، لسان العرب المحيط، إع: يوسف الخياط، دار لسان العرب، بيروت، 1970م.

3- ابن النديم: الفهرست، دط، دار المعرفة، بيروت، دت.

4- التهانوي محمد علي ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج 1، تح: علي دحروج، ط 1، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1996م.

5- الخطيب مصطفى عبد الكريم ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.

6- القاسمي محمد سعيد ، قاموس الصناعات الشامية، تح: ظافر القاسمي، ج 1، ط1، دار طلاس، دمشق، 1988.

7- بركات مصطفى ، الألقاب والوظائف العثمانية(دراسة في تطور الألقاب والوظائف منذ الفتحالعثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثاروالوثائق والمخطوطات 1517-1924م)، دط، دار غريب، القاهرة، 2000م.

8- صابان سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، دط، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م.

المؤتمرات

1- النعيمات سلامة ، الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن عشر الميلادي، بحث مقدم للمؤتمر الدولي للقدس في الفترة ما بين 4-8 /1/ 2009م، وزارة الثقافة الأردنية، قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2009م.

الشبكة الإلكترونية

1- العاني خالد ، الإسطرلاب، جمعية هواة الفلك السورية، من الموقع الإلكتروني www.Saaa-Sy.org.

الفهرس

الفهرس

الإهداء

كلمة شكر وعرفان

قائنة المختصرات

مقدمة.....**02**

مدخل.....**09**

لمحة عن سيرة المرادي ومؤلفاته.....**22**

المبحث الأول: العلماء

– مكانة العلماء في المجتمع الدمشقي.....**27**

منزلة العلماء.....37

علاقة العلماء السلطة.....56

– وظائف العلماء.....**57**

هيئة القضاء 39

هيئة الإفتاء.....47

هيئة التدريس.....51

نقابة الأشراف.....58

– المتصوفون وطرقهم الصوفية.....**62**

الطريقة النقشبندية 62

الطريقة الخلوتية.....63

الطريقة القادرية.....65

الطريقة المولوية.....66

الطريقة الشاذلية.....67

الطريقة الرفاعية.....69

المبحث الثاني: المؤسسات التعليمية

–المدارس التقليدية **78**

المدارس الحنفية.....78
المدارس الشافعية.....79
المدارس الحنبلية.....80
المدارس المالكية.....81
المساجد والجوامع.....82
المدارس الصوفية.....84
-المدارس الحديثة 85
المدرسة النقشبندية البرانية.....86
المدرسة العبدلية.....86
المدرسة القارية.....86
المدرسة المزلقية.....86
-الحواضر العلمية وإجازات العلماء.....89
المراكز العلمية.....89
جامع الأزهر.....89
مدارس اسطنبول.....91
المسجد الأقصى.....93
المسجد الحرام.....95
الإجازات العلمية.....100
السماعات.....101
الإجازات الخاصة.....101
الإجازات العامة.....102

المبحث الثالث: الإنتاج الفكري

- العلوم النقلية.....108
- العلوم العقلية.....114
العلوم الرياضية.....114
العلوم التجريبية.....120

– الدراسات الأدبية والاجتماعية.....124
الدراسات الأدبية.....124
الدراسات الاجتماعية.....135
–الخاتمة.....140
– قائمة الملاحق.....143
– قائمة المصادر والمراجع.....195
– الفهرس